

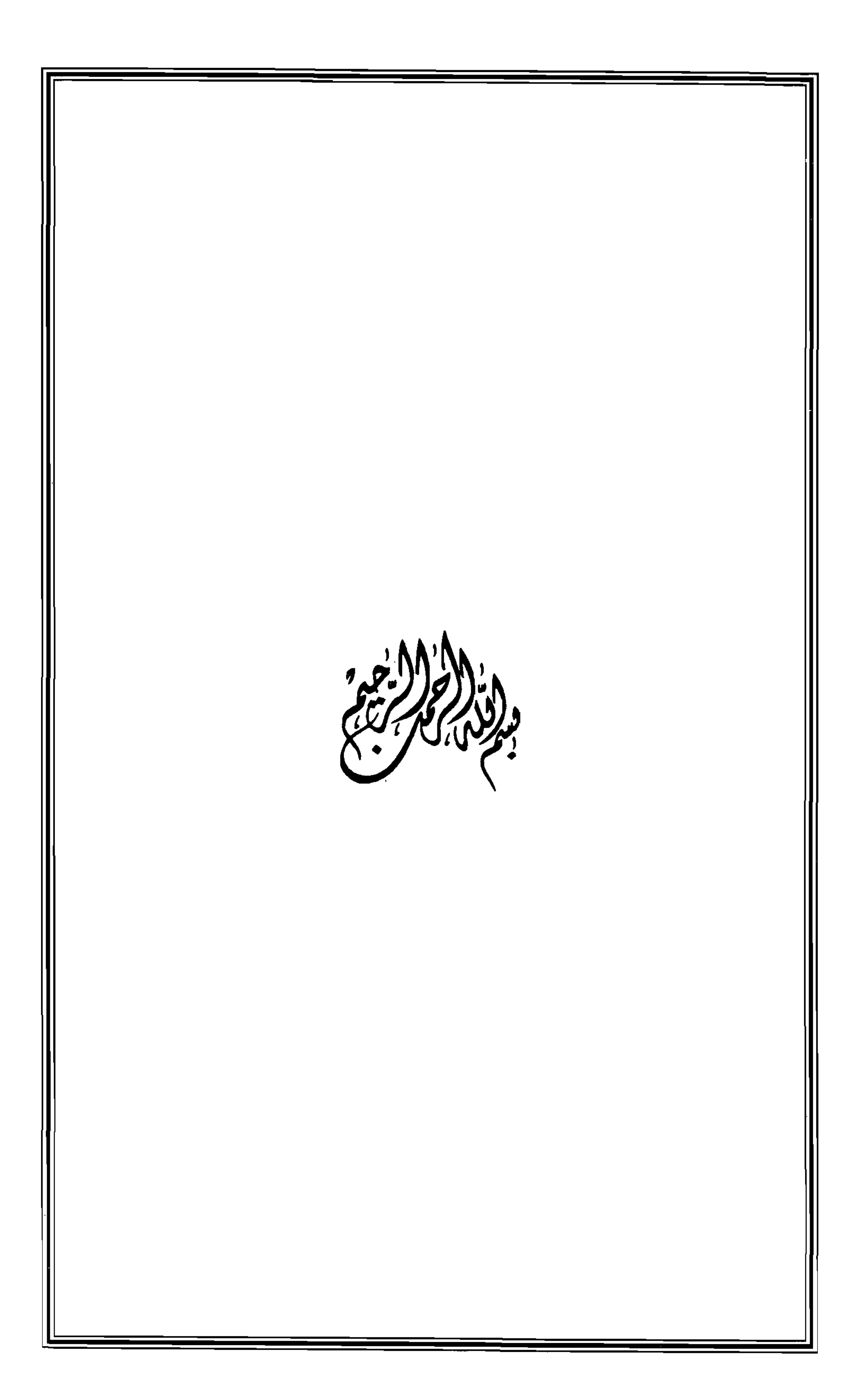
عائض بن عبد الله القرني

تحف نبوية



دار ابن حزم

تحف نبوية


بسم الله الرحمن الرحيم

تحف نبوية

عائض بن عبد الله القرني

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

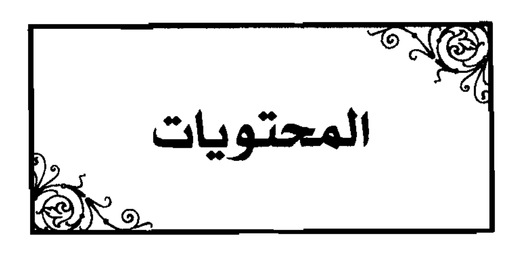
١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

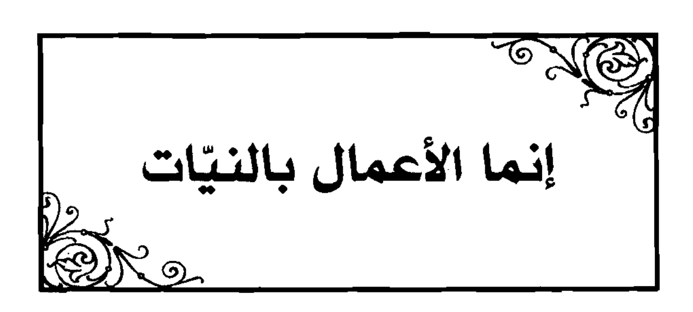
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤





المحتويات





الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

قال البخاري رحمه الله: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيّات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[1].

هذا الحديث **أولاً** صحيح، رواه البخاري، فقد جاوز القنطرة، وإذا رواه البخاري مسنداً فلا تسأل، فقد علمك البخاري أنه صحيح بسنده.

إذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ما قالت حذام

(١) أخرجه البخاري برقم (١)، ومسلم برقم (٤٨٨٣).

المسألة الثانية: هذا الحديث غريب، والغريب هو الذي يكون في طبقة من طبقاته رجل واحد فحسب لا يشاركه في هذه الطبقة غيره، ثم لا يهمنا هل يتواتر قبلها أو بعدها، أو يشتهر، أو يكون عزيزاً.

المسألة الثالثة: لماذا بدأ البخاري كتابه بهذا الحديث؟

بدأ به لأن كل عمل لا يُقْبل إلا بنية، ومن عمل بلا نية لن يقبل الله عمله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وبدأ به ليقول للناس: أنا أنوي أن أكتب كتاباً للأمة، وأنا أريد أن أقدم مصنفاً للناس، وأنا أريد أن أهدي من قلبي ومن ثمرة فؤادي علماً نافعاً للناس، فإن قصدت به وجه الله وجدت ذلك، وإن قصدت به الدنيا وجدت ذلك، ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هُود: ١٥، ١٦].

وحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، عليه مدار أحاديث الإسلام، قال الشافعي الإمام العلامة الكبير: لو ألفت كتاباً لما ابتدأت كل باب إلا بحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**».

وقال عبدالرحمن بن مهدي المحدث، النقاد الكبير: حق على كل من يؤلف كتاباً أن يبدأ بحديث: «**إنما الأعمال بالنيات**».

وقال الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة: مدار الإسلام على ثلاثة أحاديث:

على حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، وحديث عائشة: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»[١]، وحديث: «**بني الإسلام على**

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٤٤٧).

خمس»[١]، وفي بعض الروايات أو حديث: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»**[٢]، أو حديث النعمان بن بشير: «**إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن»**[٣].

وقال أبو داود فقيه الإسلام صاحب السنن رحمه الله رحمة واسعة: دار الإسلام على أحاديث، وذكر منها: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»**.

فهذا الحديث عملاق ولا يتسلق إليه إلا العظماء، كالإمام البخاري الذي جعله مقدمة لكتابه، لأن العلماء جلسوا على الركب متسائلين: لماذا لم يفعل البخاري كما فعل مسلم الذي قدّم بمقدمة يبيّن فيها منهجه وتحريره.

فاعتُذِرَ عنه بأحد ثلاثة أعذار:

١ ـ إما أنه كتب مقدمة فسقطت، وهذا رأي ضعيف هزيل.

٢ ـ وإما أنه أخذ بقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحُجرَات: ١]، فجعل كلام الله مقدماً فلم يتقدم هو.

٣ ـ وإما ـ وهو الصحيح إن شاء الله ـ أنه اكتفى بالبسملة، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق. والبسملة مقدمة ومحاضرة وخطبة، وحسبك بالبسملة أن تأتي في بداية الكتاب.

قال رحمه الله تعالى: حدثنا.

ما أحسن كلمة «حدثنا»! وما أروع كلمة «حدثنا» في القلوب!

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٣٩٩)، ومسلم برقم (٧٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٢٢٩٤)، والترمذي برقم (٢٥٦٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (٤٠٥١).

فإنها تذكِّر بالحديث وبأهل الحديث.

قال الإمام أحمد: إذا رأيت الرجل يكره أهل الحديث فاعلم أنه زنديق.

لماذا؟ لأنه يكره السنة، والأصالة، والعلم، والإيمان، والطموح.

وقال الإمام أحمد لما قرأ حديث الطائفة المنصورة: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

ويقول الشافعي: إذا رأيت مُحدِّثاً ورأيت من يعمل بالحديث لكأني رأيت الرسول ﷺ.

أهلُ الحديثِ هم أهلُ النبيِّ وإنْ لم يصحبوا نفسَهُ أنفاسَهُ صحِبوا

إذا علم هذا، فكلمة «حدثنا» ميزان في الشرع عظيم، وإذا رأيت طالب العلم يحرص على كلمة «حدثنا» في المجالس وفي المساجد والمحافل، فاعلم أنه على خير عميم وأجر عظيم وفضل جسيم.

إخوتي في الله، قال الإمام البخاري: حدثنا الحميدي عبدالله بن الزبير.

والحميدي اثنان: جامع الصحيحين وليس هو صاحبنا هذا.

وهذا عبدالله بن الزبير الحميدي شيخ الإسلام، متقدم بما يقارب مائتي سنة عن الحميدي جامع الصحيحين.

وأما عبدالله فهو ابن الزبير بن عبدالله بن الزبير.

وسفيان في السند اثنان: إما الثوري، وإما ابن عيينة، وكلاهما متلألئان في سماء السنن.

وإذا قال: أخبرني، فمعناه قرأ عليّ الشيخ وحدي وأنا أسمع، أو قرأت على الشيخ وهو يسمع.

وإذا قال أخبرنا: فمعناه قرأنا على الشيخ ونحن مجموعة.

وإذا قال: سمعت، فمباشرة من غير ترجمان.

قال: حدثنا يحيى بن سعيد. ويحيى بن سعيد اثنان، ومن المحدثين من قالوا: هم ثلاثة: يحيى بن سعيد الأنصاري من التابعين، ويحيى بن سعيد القطان من زملاء الإمام أحمد من المتأخرين، ويحيى بن سعيد المصري، رجل فيه كلام، فهم ثلاثة فانتبه لهذا.

قال: حدثني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي قال: سمعت عمر بن الخطاب.

كلكم يعرف عمر، وعمر لا يحتاج إلى ترجمة، فحياته ترجمة وتاريخه ترجمة رضي الله عنه وأرضاه.

قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات**».

أكبر قضية في الحديث هي الإخلاص وقصد الله بالعمل، قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزُّمَر: ١٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيّنَة: ٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزُّمَر: ٣]، والخالص هو: الصافي من شوائب الشرك وتوجيه العمل لغير وجه الله.

قال ابن تيمية في المجلد الثامن عشر يوم يشرح حديث إنما الأعمال بالنيات: أن النية بمعنى القصد والإرادة، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هُود: ١٥، ١٦]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد، فأتي به فعرَّفه نعمته فعرفها، فقال: ما عملْت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدْت، قال: كذبت؛ ولكنك قاتلت لأن يقال:**

جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلْقي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلَّمتُه، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت؛ ولكنك تعلمت العلم ليقال: إنك عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد؛ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[1].

وفي السنن بسند جيد يقول ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من أعراض الدنيا لم يرح رائحة الجنة»، وفي لفظ: «لم يجد عرْف الجنة - أي ريحها - وإن عرْفها يوجد من مسافة أربعين سنة»[2].

وعنه ﷺ بسند حسن قال: «من تعلم علماً لغير الله، أو أراد به غير الله، فليتبوأ مقعده من النار»[3].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا

(١) رواه مسلم برقم (٤٨٧٩).
(٢) رواه أحمد برقم (٨٤٠٥)، وأبو داود برقم (٣٦٦٥)، وابن حبان برقم (٢٥٨)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٢٢٧).
(٣) رواه الترمذي برقم (٢٧٢٥).

كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ٢٠].

وعنه ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»[١].

وفي رواية للإمام أحمد أن الله عز وجل يقول للمرائين يوم القيامة: «**اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**»[٢].

فقضية الإخلاص، إخوتي في الله، قضية كبرى في الإسلام، وقد قالوا في تعريفه: أن لا تريد إلا الله بعملك.

وقالوا: أن لا تريد مكافئاً غير الله.

وقالوا: هو أن تعمل العمل لا يهمك مدح الناس ولا ذمّهم، وأن لا تزيد بمدح الناس طاعة، وأن لا تنقص بذمّهم الطاعة.

وقالوا: الإخلاص هو الذي لا يطلع عليه بشر فيفسده، ولا ملك فيكتبه، ولا يطلع عليه إلا علام الغيوب.

وللمخلص ثلاث علامات:

أولها: لا يزيد بالمدح ولا ينقص بالذم، لأنه قد جعل مقصوده الله تبارك وتعالى. فهو لا يريد به إلا الله، ولا يزيده مدح المادح ولا ذمُّ الذامّ، فإن الذي مدْحه زين وذمّه شين هو الله.

وفي السيرة لابن إسحاق وابن هشام أن وفد بني تميم أتوا الرسول ﷺ في وقت القيلولة فقالوا: يا محمد اخرج إلينا، مدحنا زين وذمُّنا شين.

---

(١) رواه مسلم برقم (٧٤٢٤).

(٢) رواه أحمد برقم (٢٣٢٤٦).

أي: اخرج إلينا الآن، فإنّا إذا مدحناك رفعناك، وإذا ذممناك خفضناك.

فقال ﷺ: «**ذاك هو الله عز وجل**»[1]، أي الذي مدحه زين هو الله، والذي ذمه شين هو الله.

فالله إذا مدح مدح، وإذا ذم ذم سبحانه وتعالى، فليس لمن رفعه الله خافض، وليس لمن خفضه الله رافع.

فموسى عليه السلام اتُّهم وعلِّقت به الشائعات الباطلة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: **٦٩**].

أيها الإخوة:

العلامة الأولى للمخلص كما قلت لكم أن لا يزيد بالمدح ولا ينقص بالذم.

العلامة الثانية: أن يكون في السر والعلن سواء.

لذلك نجد الطلبة المرائين إذا كلفتهم بعمل من الأعمال واختفى عنهم الأستاذ أو المدير كيف يتكاسلون، فإذا أشرف عليهم قاموا بجدهم وعرقهم يتساقط من جباههم ويسعون بجد ونشاط.. لأنهم يريدون ما عنده لا ما عند الله.

العلامة الثالثة: أن لا يطلب ثوابه إلا من الله.

وقد ذكرت كثيراً أن قتيبة بن مسلم أراد أن يختبر الرجل الصالح العابد محمد بن واسع، عندما فتح قتيبة كابول، فأرسل له شيئاً من الغنائم، من ضمنها رأس ثور من الذهب يساوي الألوف المؤلفة من الدنانير.

فأخذه محمد بن واسع.

فتغيّر وجه قتيبة، خشي أنه خُدِع بابن واسع.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٣٩٠)، والنسائي في الكبرى برقم (١١٤١١).

فأرسل جندياً يتبعه ليعلم أين يذهب به، فتبعه الجندي فرآه يعطيه أحد السائلين والمساكين الذين كانوا مع الجيش، فرجع وأخبر قتيبة ففرح فرحاً شديداً.

فهذا مثال لمن لا يريد الثواب إلا من عند الله، ولا يريد على عمله جزاءً ولا شكوراً من البشر.

وهكذا صنع سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عندما قال له سليمان بن عبدالملك الخليفة في عصره، وهما في الحرم: ألك حاجة يا سالم؟

قال: أما تستحي يا سليمان أن تقول هذا وأنت في بيت الله الحرام؟

فلما خرج سالم انتظره سليمان خارج الحرم فقال: ألك حاجة؟

قال: من حوائج الدنيا أم الآخرة؟

قال: من حوائج الدنيا.

قال: أما الدنيا فوالله ما سألتها الذي يملكها، فكيف أسألها الذي لا يملكها!

المسألة الرابعة: ما هو الذي ينافي الإخلاص؟

الذي ينافي الإخلاص هو الرياء، وهو مرض خطير، وهو الشرك الأصغر. وإذا وجد في المجتمع أفسده، وفي القلب أتلفه، وفي الإرادة أضعفها، وفي العزيمة أمرضها.

والرياء مرض أصيبت به الأمم غير الإسلامية، فهي ترائي زعماءها وقوادها.

وفي الإسلام يصاب الناس به فترة بعد فترة لضعف الإيمان.

ويوجد الرياء لثلاثة أسباب:

١ ـ ضعف مراقبة الواحد القهار، فإذا ضعفت المراقبة أتى الرياء.

٢ ـ طلب ما عند الناس من التراث، ومن المنصب، ومن المال، ومن الأغراض الدنيوية.

٣ ـ طول الأمل وتباطؤ ما عند الله على حد قول المتنبي:

خُذ ما رأيتَ ودعْ شيئاً سمعت به ... في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

المسألة الخامسة: أسباب صرف الرياء عن الإنسان، وهي:

الأول: أن تدعو بالدعاء الذي علّمه ﷺ أصحابه وهو صحيح: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم**»[1].

الثاني: أن تطلب أجرك من الواحد الأحد، لأنه الضار والنافع، وهذه من أقوى العقائد عند أهل السنة والجماعة.

الثالث: أن تعرف الناس وحقيقة الناس وعجز الناس وضعف الناس، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفُرقان: ٢٣].

المسألة السادسة: قال ابن تيمية: اختُلف في (إنما) هل هي للحصر بالمنطوق أو بالمفهوم، فقال أبو يحيى الحنبلي وتبعه أناس: إنها تحصر بالمفهوم.

وقال الجمهور: هي بالمنطوق وصدقوا، ومعنى (إنما) أي ليس الأمر إلا هذا الأمر.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النِّساء: ١٧١]،

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده برقم (٥٦).

معنى ذلك: أن من أفضل صفاته وأسمائه الإله والألوهية، وله صفات أخرى كالكرم والحلم والعلم سبحانه وتعالى، إلى غير تلك الصفات التي أثبتها أهل السنة والجماعة، ولكن إنما ذكر هنا (إله) لأن المشركين نفوا الألوهية فأراد الله أن يرد عليهم فيقول: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النِّساء: ١٧١]، مثل أن يقال لك: محمد ليس بكريم

فتقول: إنما الكريم محمد.

كأنك حصرت هذا الشيء فيه.

قال سبحانه وتعالى للرسول ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرّعد: ٧]، وهو له صفات أخرى، فهو مبشِّر، وهو هداية، وهو معلم، وهو مربٌّ، لكن كان أكبر صفاته ﷺ الإنذار، فحصر الله هذا من هذا.

إذن فهي في المنطوق وليس بالمفهوم.

المسألة السابعة: النية محلّها القلب ولا يتلفظ بها في العبادات، ومن تلفظ بها في العبادات فقد أخطأ.. كما يفعل أهل البدع، فهو يقول قبل صلاة الظهر مثلاً: اللهم إني نويت أن أصلي الظهر أربع ركعات.

سبحان الله! ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٦]، تُعلم الله أنك تصلِّي الظهر حتى لا يسجل عليك المغرب!! أنت ما خرجت من بيتك ولا توضأت ولا مشيت إلا لتصلي الظهر وتصلي أربعاً.

فالتلفظ بها بدعة.

قال ابن تيمية وابن القيم: وأخطأ بعض أتباع الشافعي في نسبة هذا القول له.

والرسول ﷺ لم يكن يتلفظ بشيء من العبادات، إنما التلفظ في النسك للتمييز بين المفرد، والمتمتع، والقارن.

المسألة الثامنة: لقد ذكر البخاري هذا الحديث بثلاثة ألفاظ:

١ ـ «**إنما الأعمال بالنيات**»، بالجمع في الأعمال وبالجمع في النيات.

٢ ـ «**إنما العمل بالنية**»، فأفرد العمل وأفرد النية.

٣ ـ «**إنما الأعمال بالنية**»، فجمع الأعمال وأفرد النية، وهو لم يصح إلا من طريق عمر رضي الله عنه.

المسألة التاسعة: قوله: «**فمن كانت هجرته**»، الهجرة من الهجر وهو الترك. والهجرة معناها ومدلولها عند علماء الرقائق والأدب والسلوك على ثلاثة أقسام: هجر الكفر، وهجر الكبائر، وهجر الصغائر.

وأعظم المهاجرين الذين هجروا الكفر والكبائر، وهؤلاء عباد الله الخلص، ثم يليهم من هجر الصغائر، ثم يليهم من هجر الكبائر، ثم يليهم من هجر الكفر.

أما من لم يهجر الكفر فهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

ومن لم يهجر الكبائر فهو على شفا جرف هارٍ، وهو على خوف وإتلاف إن لم يتداركه الله برحمته.

وأما من لم يهجر الصغائر فهو مذنب ومسرف، وإذا استمر على الإسراف التحق بدرجة صاحب الكبيرة، وعليه أن يتوب إلى الله عزّ وجل من الذنوب صغيرها وكبيرها.

دع الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
وافعل كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وهجر الكفر يحصل بالإسلام والتوبة النصوح والهداية وطلبها من الله.

وهجر الكبائر يحصل بمخافة الله عز وجل.

وهجر الصغائر يحصل بدرجة الإحسان، بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

والهجرة قسمان: هجرة إلى الله عز وجل، وهجرة إلى رسوله ﷺ.

فالهجرة إلى الله أن تقرن دواء قلبك وسلوكك وعقيدتك بالله سبحانه وتعالى.

والهجرة إلى رسول الله ﷺ أن تجعله إمامك وقدوتك ومعلمك في دار الدنيا وفي دار الآخرة، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

لكن هنا سؤال! ما معنى: «**لا هجرة بعد الفتح**»[١]؟ كما قال ﷺ، وهنا يقول: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله**».

الجواب: أن معنى «**لا هجرة بعد الفتح**»، أي من مكة إلى المدينة، بعد أن فتحت مكة وأصبحت دار إسلام، فلا يهاجر منها لأنها أصبحت موطناً للهداية وللرسالة المحمدية صلى الله وسلم على صاحبها.

أما من غير مكة فلا تنقطع الهجرة أبداً. فلا نزال نهاجر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي السنن قوله ﷺ: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»[٢]، يعني: لم يهاجر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٨١٢)، ومسلم برقم (٤٧٨٧).

(٢) رواه أبو داود برقم (٢٦٤٦).

ولا تزال الهجرة واجبة، فمن اضطهد في بلد من البلاد فلم يمارس شعائره التعبدية ولم يستطع القيام بحقوق الله سبحانه وتعالى، فليترك هذه البلاد وليهاجر بأهله وقرابته وجوباً إذا كان يستطيع الهجرة بهم.

المسألة العاشرة: أن الإخلاص من شروط العمل المقبول عند أهل السنة.

لأن العمل عندنا له شرطان: الإخلاص والمتابعة، بأنّ يكون خالصاً لله وموافقاً لسنة نبيه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هُود: ٧].

قال الفضيل: أي أخلصه وأصوبه.

قالوا: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله لم يقبل، وإذا لم يكن على سنّة الرسول ﷺ لم يقبل.

ولذلك تجد بعض المبتدعة يخلص العمل لكنه لا يقتدي به ﷺ، فهو قد حقق شرطاً واحداً وترك الثاني.

وعلى نقيضهم بعض أهل السنة الذين يعملون العمل على حسب طريقته ﷺ، ولكنهم يراؤون فيه فأفسدوا ما أحسنوا.

لذلك يجب أن نحرص على تكميل الشرطين ليقبل الله أعمالنا، لأنه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المَائدة: ٢٧].

المسألة الحادية عشر: إذا ورد وارد على النية الخالصة هل يفسدها؟

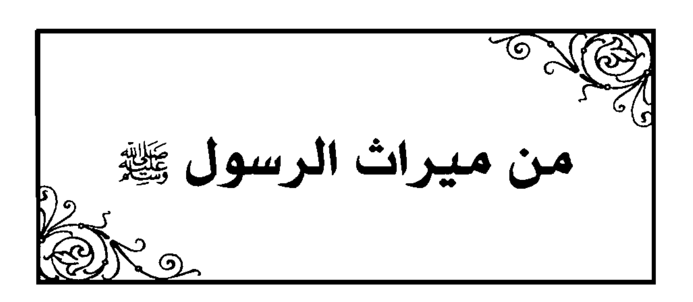
مثلاً: إنسان نوى طلب العلم لوجه الله، أو طلب الجهاد لوجهه سبحانه، لكن وردت عليه واردات من حب السمعة وحب الرياء، فهل يفسد هذا عمله؟

الصحيح أنه لا يفسده، وإليه يميل ابن تيمية، ولكن عليه أن يستفيق ويتوب إلى الله سبحانه وتعالى.

هذا ما حضرني حول هذا الحديث العظيم الذي هو من أساسيات الإسلام كما ذكرت سابقاً.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.





من ميراث الرسول ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أحبتي في الله.. في هذه الرسالة سأتعرض لشيء من الميراث النبوي الذي تركه لنا رسولنا محمد ﷺ، وهو في مواضيع مختلفة يعود كل منها إلى أحاديث نبوية شريفة، وهي كالتالي:

١ ـ من معجزاته ﷺ.

٢ ـ من رحمته ﷺ.

٣ ـ أهمية الصلاة.

٤ ـ صلة الرحم.

٥ ـ الإخلاص والصدق.

٦ ـ حقوق الجيران.

٧ ـ حق المسلم.

٨ ـ التوبة والاستغفار.

• من معجزاته ﷺ:

عباد الله.. إن الرسول ﷺ أراد الله أن يحيي به القلوب الميتة، وأن يوقظ الأرواح الغافلة.

كان العرب قبل الإسلام ميتين، كانوا يعبدون الحجر والصنم والشجر والأوثان.. يزنون ويغشُّون ويكذبون ويقطعون الأرحام ويتلاعنون، فلما أراد الله أن يحيي قلوبهم بعث محمداً ﷺ، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجُمُعَة: ٢].

إن البريَّةَ يومَ مبعثِ أحمدٍ نظر الإلهُ لها فبدَّلَ حالَها
بل كرَّم الإنسانَ حين اختارَ من بينِ البريَّةِ نجمَها وهلالَها

فلما أتى ﷺ بكلمتين من أتى بهما يوم القيامة عاملاً بمقتضاهما فتح الله له باب الجنة، ومن لم يأت بهما فلن يفتح له باب الجنة وهو من الخاسرين.

يقول عمر بن الخطاب، فاروق الإسلام، الخليفة العادل: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ (أو يسبغ) الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**»(١).

فأبواب الجنة الثمانية تفتح لك أيها العبد الصالح، يا ابن من سجدوا لله، يا ابن من رفعوا لا إله إلا الله، يا ابن من ماتوا تحت علم لا إله إلا الله، فليس بغريب أن تهتدي لكن الغريب أن تضل عن سبيل الله، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿فَمَن

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٠٦).

يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

جلس ﷺ في مسجده في المدينة، المسجد الذي خرّج علماء الدنيا وشهداء الدنيا وقواد الدنيا، جلس بين الصحابة فأتاه رجل من البادية يريد الإسلام، فلما تخطّى الصفوف قال: أين ابن عبدالمطلب؟ (يعني رسول الله ﷺ) هو ابن عبدالله لكن جده عبدالمطلب، كان أشهر في العرب من أبيه حتى يقول ﷺ وهو يقاتل الأبطال في المعركة:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب[1]

قال: أين ابن عبدالمطلب؟

قال ﷺ: **قد أجبتك.**

قال: إني أسألك مسألة فلا تغضب علي يا رسول الله.

قال: **سل ما بدا لك.**

قال: يا محمد يا رسول الله، من رفع السماء؟

قال: **الله.**

قال: من بسط الأرض؟

قال: **الله.**

قال: من نصب الجبال؟

قال: **الله.**

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أرسلك إلينا رسولاً؟

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٩)، ومسلم برقم (٤٥٧٠).

قال: **اللهم نعم.**

قال: أسألك بمن رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال، آلله أمرك أن تأمرنا بخمس صلوات في اليوم والليلة؟

قال: **اللهم نعم.**

فأخذ يسأله حتى انتهى من أركان الإسلام فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، والله لا أزيد على ما سمعت ولا أنقص، أنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، ثم ولى وفكَّ عقال ناقته وركبها.

فقال ﷺ: **«من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»**(١).

هذا طريق الجنة أيها المسلمون، وهذا طريق السعادة أيها الأبرار، وهذا طريق النجاة أيها الأخيار.

فقل لبلال العزم من قلب صادق ... أرحنا بها إن كنت حقّاً مصلّيا
توضأ بماء التوبة اليوم مخلصاً ... به تلقَ أبواب الجنان الثمانيا

وقف ﷺ يوم الجمعة على المنبر في مسجده في عزِّ الصيف وفي شدة الحرارة، يقول أنس: والله ما في السماء من سحاب ولا غيم ولا قزعة، وبينما هو يخطب ﷺ بين يديه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والشهداء والأخيار وهو في أثناء الخطبة، دخل أعرابي من البادية من الباب الغربي للمسجد فقال: يا رسول الله، يا رسول الله، يا رسول الله.

فتوقف ﷺ.

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٣).

قال: ادع الله أن يغيثنا، فقد تقطعت السبل، وجاع العيال، وضاع المال.

فوالله ما تلعثم ولا توقف ولا فكّر، وإنما رفع يديه في أثناء الخطبة وقال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**».

قال أنس رضي الله عنه وأرضاه: والله الذي لا إله إلا هو، ما في السماء سحاب ولا غيم، ولقد أزبدت السماء وأرعدت في لحظات ثم أمطرت، ووالله ما نزل ﷺ عن منبره إلا والمطر يتحدر من على وجهه الشريف وهو يتبسم من هذه النعمة ويقول: «**أشهد أني رسول الله**»، ونحن نشهد أنك رسول الله، ونحن نشهد أنك بلَّغت الرسالة، ونحن نشهد أنك أدَّيت الأمانة، وأنك دللتنا على طريق الجنة، وبقي المطر أسبوعاً كاملاً.

وفي الجمعة الثانية قام ﷺ يخطب في موضوع آخر، فدخل ذاك الأعرابي من نفس ذاك الباب فقال: يا رسول الله جاع العيال وضاع المال وتقطعت السبل من كثرة الأمطار، فادع الله أن يكفّ عنا الغيث.

فرفع ﷺ يديه وهو يتبسم من هذا الأعرابي الذي أتى أولاً يطلب الغيث واليوم يريد رفع الغيث وهو يقول: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**»[(١)].

قال الصحابة: والله الذي لا إله إلا هو ما أشار إلى مكان إلا وقع فيه الغيث.

فمعجزاته ﷺ عند أهل العلم في الإسلام ألف معجزة وأكثر، وكل معجزة تكفي بأن يسلم بها الكافر ويذعن بها المتكبر ويدخل بها الفاجر في الدين.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٠٠٠، ١٠٠١، وغيرها)، ومسلم برقم (٢٠٢٨، ٢٠٢٩).

كان له جذع نخلة يخطب عليه يوم الجمعة بأبي هو وأمي ﷺ، فقال للأنصار: «**اصنعوا لي منبراً جديداً أخطب عليه**»، فأتوا بمنبر من خشب.

فلما أتى يخطب عليه ترك الجذع الأول (جذع النخلة)، قال جابر بن عبدالله: والله لما تركه سمعنا للجذع حنيناً كحنين الإبل وبكاءً كبكاء الأطفال، حتى سمعه أهل المسجد.

جذع من خشب يبكي للرسول ﷺ، هذا الحديث في البخاري[1].. وفي مسلم قال: فتحدرت دموعه ﷺ ونزل إلى الجذع يدهده ويسكّنه.

يا من تضوّع طيب القاع أعظمه فطاب من طيب ذاك القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أخذ يدهْده العود ويقول: «**اسكت بإذن الله أنا رسول الله**»، حتى سكت.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ [القَمَر: ١ ـ ٣]. خرج ﷺ على كفار قريش وهم في الحرم فقال: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، يا أيها الناس لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا أيها الناس إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

قال أبو جهل وحلف بآلهته: لا أسلم لك ولا أؤمن لك ولا أصدقك حتى تشق لي القمر ليلة البدر ليلة أربعة عشر والقمر في سماء مكة.

---

(١) برقم (٢٥٢٠، ٢٠٧١، ٣٥٠٨).

فقال ﷺ: «**أإن شققته تسلم وتؤمن؟**».

قال: نعم.

فدعا ربه ﷺ وقال: «**اللهم شقَّ هذا القمر**» ثم أشار بيده فانشق القمر فلقتين، فلقة ذهبت إلى عرفات، وفلقة ذهبت إلى أبي قبيس، فقال: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد**».

فقاموا ينفضون ثيابهم ويقولون: سحرنا محمد سحرنا محمد[1].

فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾ [القَمَر: ٤].

جاءهم والله آيات يشيب منها الوليد، جاءهم والله عبر يسلم منها الكافر، جاءهم والله بينات ومواعظ تتدكدك منها الجبال، لكن أين القلوب؟ فما أسلم إلا القليل.

● من رحمته ﷺ:

وهذا الرسول الذي بعثه سبحانه وتعالى ذكره في القرآن فقال له مرة من المرات: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: ٤]، أعظم الناس خلقاً وأجلُّ الناس وأصبر الناس وأحلم الناس، وواجبك أيها المسلم أن يكون محمد ﷺ قدوتك وأن يكون إمامك ليقودك إلى الجنة.

وممـا زادنـي شـرفـاً وفـخـراً وكـدت بـأخـمـصي أطـأ الـثـريـا

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٤١٣)، وأحمد برقم (١٦٤٣١) وحادثة انشقاق القمر أخرجها البخاري في أكثر من رواية منها برقم (٣٥٥٦، ٤٧٤٥)، ومسلم برقم (٧٠٢٠). ولقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية روايات حادثة شق القمر (١٢٠/١٧).

دخولي تحت قولك يا عبادي　　وأن صيّرت أحمد لي نبيا

مدحه الله في القرآن فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

عاداه قرابته وأبناء عمه وأعمامه وجيرانه، وأخرجوه من مكة وطاردوه في كل مكان، وآذوه وهدموا بيته وضربوا بناته، وهاجر إلى المدينة، وبعد أن عاد منتصراً إلى مكة جمعهم والسيف على رؤوسهم فقال: «**ماذا ترون أنّي فاعل بكم**»؟

قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: «**عفا الله عنكم، سامحكم الله، غفر الله لكم ذنوبكم**»، فتباكوا أمام يديه. وقال أبو سفيان: لا إله إلا الله ما أرحمك، ولا إله إلا الله ما أوصلك، ولا إله إلا الله ما أبرَّك[1].

فقال الله له: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التّوبَة: ١٢٨].

هذا الرسول ﷺ كان من أشد الناس تواضعاً، مرت به عجوز وهو يأكل على التراب تمراً ﷺ، أفضل من خلق الله وأورع من خلق الله وأشرف من خلق الله، والعجوز مشركة فقالت: انظروا إليه يأكل كما يأكل العبد ويجلس كما يجلس العبد.

فقال: «**آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد**»[2]، والله يقول له: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسرَاء: ١]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجنّ: ١٩]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ

---

(١) أخرجه الطبري في التاريخ (١/١١٩٥)، والبيهقي في السنن برقم (١٨٦٤٨).

(٢) انظر جامع الأحاديث والمراسيل برقم (١٦، ١٧، ١٨).

عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ [الفرقان: ١].

أتاه أعرابي من البادية فسحب بردته ﷺ حتى أثّرت الحاشية في عنقه، فالتفت إلى الأعرابي وقال: «**ماذا تريد**»؟

قال: أعطني من مال الله الذي عندك، لا من مال أبيك ولا من مال أمك.

فأراد الصحابة أن يضربوا هذا الأعرابي فقال: «**اتركوه**»، وأخذه ﷺ وشبك أصابعه بأصابعه وذهب به إلى بيته فأعطاه مما أعطاه الله.

فيقول الأعرابي: جزاك الله من أهل وعشيرة خير الجزاء(١)... أي خلق هذا الخلق؟ كان يأبى أن يعظّم ﷺ وأن يطرى وأن يمدح ويقول: «**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله**»(٢).

حضرته سكرات الموت فتواضع لله، وأخذ الموت بنفسه وسكرات الموت تلاحقه، وهو يبلُّ خميصة بيده ويضعها على وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات، اللهم أعني على سكرات الموت، لا إله إلا الله، اللهم خفف عليَّ سكرات الموت**»، ثم قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٣).

● أهمية الصلاة:

أمرنا ﷺ بأمور، أعظم ما أمرنا به بعد التوحيد، بعد لا إله إلا الله محمد رسول الله الصلوات الخمس، فإنها العهد الذي بين العبد وبين الله، وإنها ذمة الله، وإنها حبل الله، وإنها مفتاح جنة عرضها

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٢٢٩٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٣٧٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٣٣٢، ٤٣٣٩)، ومسلم برقم (١١٣٦، ١١٣٩).

السماوات والأرض أعدها الله لمن أتى بالصلوات الخمس يوم القيامة، ويبيّض الله وجهه ويسعده في الدنيا والآخرة.

ومن تهاون في الصلاة شقي في الدنيا والآخرة، وكانت معيشته ضنكاً وداره جحيماً، ويصلى عذاباً دائماً أبداً في الدنيا والآخرة.

فمن أراد أن ينقطع من حبل الله انقطع من الصلوات الخمس، ومن أراد أن تحيط به لعنة الله ترك الصلاة، فتارك الصلاة يرتكب أكبر جريمة في تاريخ الإنسان.

وتارك الصلاة يا عباد الله كافر، يقول ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[١]، وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[٢] أو كما قال ﷺ، ويقول ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٣]، فإذا تركها فقد خرج من الدين، وقد باء بغضب الله ولعنة الله.

قال بعض أهل العلم: من ترك الصلاة عامداً متعمداً فرضاً واحداً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فلا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ولا كلاماً، ولا يزكيه ولا ينظر إليه، وله عذاب أليم.

تارك الصلاة تستجير منه الحيتان في البحر.

تارك الصلاة تشكو منه الأسماك في الأنهار.

تارك الصلاة تبكي منه النملة في جحرها وتقول الببغاوات والعجماوات لرب الأرض والسماوات: يا رب مُنِعنا القطر بتارك

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٢٥٥٥)، والترمذي برقم (٢٦٨٩)، والنسائي برقم (٤٦١)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٥٧٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٥، ٣٩٠، ١٣٨١، وغيرها)، ومسلم برقم (٩٠ ـ ٩٤).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٠٧، ٢٠٨).

الصلوات، والله يقول من فوق سبع سماوات: «**أبي تغترون؟ أم علي تجترئون؟ فبي حلفت لأنزلن فتنة تدع الحليم حيران**»[(١)].

ويقول: «**وعزتي وجلالي، لولا شيوخ ركع وأطفال رضع، لخسفت بكم الأرض خسفاً**»[(٢)].

والصلاة يا عباد الله لا تقبل إلا جماعة إلا من عذر يبيح للمسلم أن يتخلف عنها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النِّساء: ١٠٢]، ويقول: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البَقَرَة: ٤٣].

ويقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بالصلاة ثم أخالف إلى أناس لا يشهدون الصلاة معنا فأحرق عليهم بيوتهم بالنار، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء معنا**»[(٣)]، ويقول ﷺ: «**بيننا وبين المنافق صلاة الفجر وصلاة العشاء لا يستطيعونها**»[(٤)]، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصَّافات: ٣٥].

يقول ﷺ للأعمى وقد سأله هل يجد له رخصة قال: «**أتسمع حي على الصلاة حي على الفلاح**»؟

قال: نعم.

قال: «**فأجب فإني لا أجد لك رخصة**»، حديث صحيح[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٤٦).

(٢) رواه البيهقي برقم (٦٤١٨، ٦٤١٩)، وأبو يعلى برقم (٦٤٠٧، ٦٦٣٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٣٦، ٧٠٦٣)، ومسلم برقم (١٤٣١).

(٤) انظر بهذا اللفظ جامع الأحاديث والمراسيل برقم (١٠٠٦٦)، والذي في الصحيحين: «أن أثقل الصلوات على المنافق العشاء والفجر» انظر البخاري برقم (٦٤٨)، ومسلم برقم (١٤٣٢).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك برقم (٩٣٠).

وصح عنه ﷺ أنه قال: «**من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر**»[١]، ويقول ﷺ في حديث فيه نظر: «**من رأيتموه يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾** [التوبة: ١٨]»[٢].

والصلاة في جماعة واجب من الواجبات ولا يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق.

● صلة الرحم:

ومن الأمور التي ينبه عليها عباد الله صلة الرحم، فيوم يقطع الإنسان رحمه يقطعه الله من فوق سبع سماوات. «**خلق الله الرحم ضعيفة فتعلقت بالعرش** ـ كما في الحديث الصحيح ـ **وقالت: يا رب هذا مقام العائذ بك من القطيعة.**

قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟

قالت: نعم يا ربي.

قال: فذلك لك. . فأهبطها سبحانه وتعالى إلى الأرض، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله»[٣].

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]، فقاطع الرحم أصم أبكم أعمى لا يفهم شيئاً.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم (٩٢٣)، والدارقطني برقم (١٥٣٣).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣١٩٦)، وابن ماجه برقم (٨٣٢)، وضعفه الألباني في الضعيفة برقم (٥٠٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٧١١، ٧٣٣٦)، ومسلم برقم (٦٤٧٠).

وقاطع الرحم تلحقه اللعنة في كتاب الله عز وجل.

وقاطع الرحم يقترف أكبر جريمة في التاريخ بعد ترك الصلاة، ولو نزل غيث من السماء لعمّ الناس إلا قاطع الرحم، ولو نزلت رحمة من عند الواحد الأحد لنالها كل أحد إلا قاطع الرحم، ولذلك كان أوصل الناس رسول الله ﷺ، لما عاداه قرابته وقاطعوه ودخل مكة منتصراً أتاه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث فأخذ أطفاله وخرج في الصحراء لأنه آذى الرسول ﷺ وحاربه وقاتله وشتمه، فقال الصحابة: أين تذهب يا أبا سفيان؟

قال: أذهب بأطفالي أموت بهم جوعاً وعرياً وظمأً في الصحراء.

قالوا: عد إلى رسول الله ﷺ وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يُوسُف: ٩١]، فأقبل بأطفاله وقال: يا رسول الله.. سلام الله عليك ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يُوسُف: ٩١].

فبكى ﷺ وقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٩٢][١].

وصلة الرحم ليس معناها أن تصل من وصلك.. لا، بل معناها أن تصل من قطعك، وأن تعفو عمن ظلمك، وأن تعطي من حرمك، ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ [الرّعد: ٢١]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤].

وفي الحديث: «**إذا جمع الله الأولين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه اجتمعوا جرداً عراة حفاة غرلاً بهماً كما بدأهم أول مرة: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا**

(١) انظر القصة بطولها في السيرة الحلبية (٣/٣).

﴿فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤]، **فينادي سبحانه وتعالى في ذاك اليوم وذاك العرض يقول عز من قائل بصوت يسمعه من قرب ويسمعه من بعد: لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه ملك مقرب ولا نبي مرسل، فيجيب نفسه بنفسه:** ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾، ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

فيقول: أين الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين؟ فيقومون يتخطون رقاب الناس حتى يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلّه.

ثم ينادي: أين الذين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السَّجدَة: ١٦]؟

فيقومون يتخطون الناس حتى يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

ثم ينادي: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي؟ فيقومون يتخطون الناس حتى يظلهم الله في عرشه يوم لا ظل إلا ظله»(١).

يا عباد الله صلة الرحم من أعظم الأعمال، وتكون بالزيارة وبالمواصلة وبالهدية وبالدعاء، لعل الله عز وجل أن يرحمنا من فوق سبع سماوات، فما تأخر القطر إلا بالذنوب، وما جف الماء إلا بالعيوب، وإذا رجعنا إلى الله وتبنا إلى الله غفر لنا ذنوبنا ظاهراً وباطناً.

---

(١) هذا الحديث بطوله كما ساقه المؤلف لم أجده، ولكن المحدثين أخرجوه مجزءاً، فانظر: البخاري برقم (٤٦٢٢، ٦٣٧٩)، ومسلم برقم (٦٥٠٠، ٧١٥٠)، وأحمد برقم (١٥٧٣٥، ٢١٦٥٤)، والترمذي برقم (٢٤٣٠)، والدارمي برقم (٢٧٦٥) وغيرهم.

● الإخلاص والصدق:

ومن الأمور التي ينبِّه عليها عباد الله: الصدق مع الواحد الأحد، الصدق مع الله سبحانه وتعالى والإخلاص.

يقول عمر وهو من المخلصين الكبار، وهو يمرِّغ وجهه في التراب ويبكي.. عمر بن الخطاب خليفة المسلمين، قائد الأمة الإسلامية بعد أبي بكر، تولى الخلافة الراشدة وكان يصلي الجمعة في جبّة فيها أربع عشرة رقعة، وذهب الدنيا تحت يديه، وفضة الدنيا تحت يديه، وكنوز الدنيا تحت يديه، يقرقر بطنه من الجوع فيقول: قرْقرْ أو لا تقرقر، والله لا تشبع حتى يشبع أطفال المسلمين.

يا من يرى عمراً تكسوه بردته والزيت أدْم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فَرَقاً من خوفه وملوك الروم تخشاه

أتى رضي الله عنه وأرضاه في آخر حجة حجها فوقف عند الجمرات ورفع يديه وهو صادق، لأن الله إذا علم الصادق أعطاه ما تمنى، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فرفع يديه وقال: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك وموتاً في بلد رسولك.. لأن الله عز وجل يرضى إذا قدمت له شيئاً وأغلى شيء الدم.

يجود بالنفس إن ضنّ البخيل بها والجود بالنفس أغلى غاية الجود

فعاد رضي الله عنه والصحابة يقولون: كيف يطلب الشهادة في المدينة؟ إن الذي يطلب الشهادة يخرج إلى الثغور إلى بلاد الكفار يقاتل.

قال: هكذا سألت الله، وأسأل الله أن يلبي لي ما سألت.

فعاد إلى المدينة، وفي أول ليلة نامها رأى في المنام كأن ديكاً ينقره ثلاث نقرات، فخرج في الصباح وذهب إلى امرأة صالحة تفسر الأحلام اسمها أسماء بنت عميس، فسألها عن تعبير الرؤيا والأحلام.

فبكت وقالت: استودع الله نفسك الذي لا تضيع ودائعه، يقتلك رجل من العجم ويطعنك بالخنجر.

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، حسبي الله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، الله المستعان، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البَقَرَة: ١٥٦، ١٥٧].

فأتى في صلاة الفجر يصلي، ولما ركع أراد الله أن يشرِّفه بالشهادة في أحسن فريضة: صلاة الفجر، وفي أحسن مكان: في مسجد الرسول ﷺ، فلما كبّر وركع تقدّم له أبو لؤلؤة المجوسي من فارس، رجل مجرم حاقد على الإسلام، فأخذ خنجراً سمها بالسم شهراً كاملاً حتى أصبحت زرقاء، ثم ضربه بحديه ثلاث ضربات، فوقع على وجهه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، الله أكبر، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، ثم التفت بعد الركعة الأولى وقال: من قتلني؟

وتقدم ابن عوف أحد الصحابة فأكمل الصلاة.

قالوا: قتلك أبو لؤلؤة المجوسي.

قال: الحمد لله الذي جعل منيتي وشهادتي على يد رجل ما سجد لله سجدة.

قال أنس: فرفعناه على أكتافنا ودماؤه تثعب على ثيابنا، وكأن القيامة قامت، قال: فوالله ما ذكر مالاً ولا ولداً ولا زوجة ولا ميراثاً، وإنما يقول: هل أكملتم الصلاة؟

قالوا: لا.

قال: هل صليت؟

قالوا: لا.

قال: الله المستعان.

فذهبوا به إلى البيت فوضعوه على حصير من خصف، فرفع الحصير عن التراب وقال: صدق الله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هُود: ١٥، ١٦]، فوضعوه على الفراش ووضعوا تحت رأسه مخدة فقال: انزعوا المخدة من تحت رأسي لعلّ الله أن يرحمني.

فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين طوبى لك الجنة توليت فكانت ولايتك رحمة، وأسلمت فكان إسلامك نصراً، وهاجرت فكانت هجرتك فتحاً.

قال: يا ليتني نجوت كفافاً لا لي ولا علي، ثم قال: يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني كنت شجرة أعضد، يا ليتني ما عرفت الحياة.

وهو من الصادقين الكبار، وهو من الزاهدين الأخيار، وهو من أعظم من أتى بعد أبي بكر وبعد رسول الله ﷺ.

كان يطوف على رعيته في الظلام الدامس ويقول: يا ربي أتحاسبني بكل طفل وبكل يتيم وبكل مسكين؟ وكان يبكي ويقول: كم قتلت يا عمر من أطفال المسلمين؟

فرضي الله عن تلك الروح الطاهرة، وسقى الله بالغمام ذلك الجدث شآبيب الرحمة، وألحقنا به في دار الصدق.

والمقصود من هذا الكلام هو الصدق مع الله والإخلاص، فإن

من أخلص لله في عبادته رزقه الله بالصدق صدقاً وبالإخلاص إخلاصاً.

لما حضرت معركة بدر، أصيب حارثة وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبرْ وأحتسب، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع؟ فقال: «**ويْحك، أو هبلْت، أو جنة واحدة هي، إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**»[1].

وهذا عبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنهما استشهد يوم أحد، فيقول جابر رضي الله عنه: لقيني رسول الله ﷺ فقال لي: «**يا جابر ما لي أراك منكسراً؟**» فقلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وديناً، فقال: «**ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟**» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وإن الله أحيا أباك فكلمه كفاحاً، فقال: يا عبدي تمن أعطك، قال: تحييني فأقتل قتلة ثانية، قال الله: إني قضيت أنهم لا يرجعون. قال: يا رب فأبلغ من ورائي قال الله تعالى:** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩]»[2].

فجعل الله روحه وأرواح إخوانه الشهداء السبعين في حواصل طير خضر كما قال النبي ﷺ: «**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل . .**»[3].

هذا ثواب الصدق يوم يصدق الإنسان مع الله، يوم يعلم الله عز وجل أنه صادق يرزقه هذا الثواب العظيم في الدنيا وفي الآخرة، فنسأل الله لنا ولكم الصدق.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٨٩٤، ٦٤٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣١٠٥)، وابن ماجه برقم (١٩٤)، وابن حبان في صحيحه برقم (٦٩٠٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٨٤١)، والترمذي برقم (٣١٠٦)، وأبو داود برقم (٢٥٢١).

• حقوق الجيران:

ومن الأمور التي ينبه عليها والتي انتشرت كثيراً وقصرنا فيها جميعاً: حقوق الجيران، فمن أكبر نعيم الدنيا أن يوفق الله بينك وبين جار صالح.

وإذا كتب الله عليك تنغيص الحياة جعل لك جار سوء لا يستر زلتك، ولا يعفو عن خطيئتك، ولا يسامحك، يلاحقك في الليل والنهار.

آسية امرأة فرعون لما حضرتها الوفاة قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التّحْريم: ١١]، قال ابن القيم: انظر كيف طلبت الجار قبل الدار.

وكانت العرب تقول: الجار قبل الدار، ولا تنزل الدار إلا بالجار.

يقول أبو ذر: خرجت مع الرسول ﷺ في ليلة من الليالي والقمر متمكن من السماء، فخطّ لي مربعاً وقال: لا تخرج من هذا الخط حتى آتيك.

قال: فخرج فسمعت خطيفاً كالحدأة وكالصقور والنسور، وعلمت أنها الجن اجتمع بهم ﷺ، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٣٣]، فهو رسول الإنس والجن، والله أرسله في تلك الليلة ليتكلم مع الجن. قال: فإذا كالحدايا وكالصقور والنسور تتخاطف من حولي، فأردت أن أخرج فتذكرت قوله ﷺ: «**لا تخرج من هذا الخط حتى آتيك**» قال: فمكثت مكاني حتى آخر الليل.

فأقبل ﷺ وإذا رجل معه يكلمه طويلاً، كلما مشى كلمه وأخذ بتلابيب ثيابه، فلما انتهى إلي ﷺ قال: «**كيف أنت يا أبا ذر؟**».

قلت: هممت أن أخرج يا رسول الله فتذكرت وصيتك، أبطأت علي.

قال: **«لو خرجت من هذا الخط ما عدت أبداً حياً، أتدري من الذين أتوا إلي؟»**.

قلت: لا والله يا رسول الله.

قال: **«هؤلاء الجن، خاطبتهم وأسلم منهم نفر كثير، وأصلحت فيما بين قبيلتين منهم، وجعلت لهم كل عظم لم يذكر اسم الله عليه، وكل روث يوضع في الأرض، فهذا طعام لهم وذاك طعام لدوابهم»**.

ثم قال: **«يا أبا ذر، أرأيت الذي يكلمني في صدف القمر؟»**.

قلت: نعم يا رسول الله.

قال: **«ذاك جبريل، والذي نفسي بيده ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**، أي: يجعل له حقاً في الميراث[١].

وورد أن رجلاً أتى إلى الرسول ﷺ قال: يا رسول الله جاري آذاني، ما يترك عورة إلا اقتنصها، ولا محرماً إلا انتهكه، إن غبت ما أمنته على أهلي، وإن حضرت سبني وشتمني، ماذا أفعل يا رسول الله؟

قال: **«اصبر واحتسب إن الله يأجر الصابرين»**.

فعاد فصبر واحتسب، لكن نفد الصبر لأن الإيمان إذا ما سكن في القلوب فلا تدخل الرحمة، فعاد إليه ﷺ ثانية وقال: صبرت واحتسبت يا رسول الله ولكن نفد الصبر.

قال: **«خذ متاعك واجلس في الشارع في السكة أمام الناس»**.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٧٧/٤)، تفسير سورة الأحقاف والروايات عن ابن مسعود، وأما الوصية بالجار وحديث الجار ففي صحيح البخاري برقم (٥٨٧٦)، وفي مسلم برقم (٦٦٣٧).

فأخذ زوجته وأطفاله وأخذ متاعه من البيت وجلس في طريق الناس، فكان المصبح إذا أصبح قال: ما لك يا فلان؟

قال: آذاني جاري.

قال: لعنه الله.

والممسي إذا أمسى قال: ما لك يا فلان؟

قال: آذاني جاري.

قال: لعنه الله.

فلما استحق اللعنة خرج إلى جاره وقال: عد والله لا أؤذيك أبداً[1].

لكن بعد ماذا؟ بعد الأذية.

ولذلك يقول ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**».

قالوا: من يا رسول الله خاب وخسر هذا؟

قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**»[2]، يعني أذاه.

أين الإيمان؟ أين الصلوات الخمس؟ أين مفهوم لا إله إلا الله؟ أين وحي القرآن في القلوب؟ أين تأثير الإيمان في النفوس؟ لو كان مؤمناً ما آذى جاره، لكن ما دخل الإيمان في قلبه، فسطا على الجيران ينتهك الحرمات ويتعدى بشتى التصرفات، ولا يخاف من رب الأرض والسماوات.

سبحان الله، ألا يرتدع العبد كلما ذكر القبر، والله إنها حفرة من أظلم الحفر، وإنها ضيقة وإنها موحشة.

---

(١) انظر جامع الأحاديث والمراسيل برقم (١٦٧١٣، ١٨٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٨٧٨).

يقول عثمان رضي الله عنه وقد رأى القبر: ما أضيقك وما أظلمك وما أوحشك.

والقبر فاذكره وما وراءه ... فمنه ما لأحدٍ براءه
وإنه للفيصل الذي بهِ ... ينكشف الحال فلا يشتبهِ
والقبر روضة من الجنانِ ... أو حفرة من حفر النيرانِ
إن يك خيراً فالذي من بعدهِ ... أفضل عند ربنا لعبدهِ
وإن يكُ شرّاً فما بعد أشدّ ... ويل لعبدٍ عن سبيل الله صدّ

العار كل العار لمن لم ينجه الله من النار، والندامة كل الندامة لمن دخل القبر بلا زاد، والخسران كل الخسران، والخذلان كل الخذلان، والحرمان كل الحرمان، لمن طرح في القبر ثم تولى عنه الأصحاب والأحباب والأولاد وبقي مرتهناً بعمله.

يقول عمر بن عبدالعزيز: ويلكم أيها الناس: أتدرون ماذا يقول الموت؟

قالوا: لا ندري.

قال: يقول: زرّقت العينين، وأكلت الحدقتين، وفصلت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين، والقدمين من الساقين.

يا أيها الناس، كم من غاد ورائح إلى الموت قد وسد التراب وترك الأحباب وفارق الأحباب، غنيٌّ عما ترك فقير إلى ما قدَّم.

يتمنى الميت أن يقول في القبر لا إله إلا الله فما يستطيع أن يقول لا إله إلا الله، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سَبَأ: ٥٤].

مر أحد الصالحين بالمقبرة في ظلام الليل والسماء تمطر فقال: لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل

شيء قدير. آنس الله وحشتكم، ونور الله ظلمتكم، ثم تولى، فنام تلك الليلة فرأى أحد الأموات في المنام قال: يا فلان أتدري ماذا فعل الله بنا؟

قال: لا أدري.

قال: والله لقد نور علينا قبورنا هذه الليلة بسبب قولك لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آنس الله وحشتكم ونور ظلمتكم.

يا فلان، والله لقد حيل بيننا وبين لا إله إلا الله، نريد أن نقول لا إله إلا الله فما نستطيع أن نقول لا إله إلا الله.

يا فلان، والله لو تدري بعظم لا إله إلا الله لقطعت بها عمرك جميعاً في هذه الدار.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التي كان قبل الموت بانيها
فإن بناها بخير طاب مسكنها ... وإن بناها بشرٍّ خاب بانيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الموت نبنيها
أين الملوك التي كانت مسلطة ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
فاعمل لدار غداً رضوان خازنها ... الجار أحمد والرحمن بانيها
وسورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

أبيض الوجه من لقي الله بعمل صالح.

والفائز يوم القيامة من زحزح عن النار.

والسعيد من سعد في بطن أمه، وسعد في الأرض، وسعد في القبر وعلى الصراط، فنسأل الله أن يسعدنا وإياكم يوم العرض الأكبر، يوم الحسرات، يوم الندامات، يوم البكاء والصرخات، ونسأل الله أن لا يعرضنا وإياكم على النار.

● حق المسلم:

ومن المسائل التي أريد التنبيه عليها عباد الله، وهي من المسائل الماسة التي تجدر الإشارة إليها: حق المسلم على المسلم.

نظر ﷺ إلى الكعبة فقال: «**لا إله إلا الله، ما أطيبك وأطيب ريحك، وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة منك، إن الله جعلك حراماً، وحرم من المؤمن ماله ودمه وعرضه أن يظن به ظناً سيئاً**»[1].

المسلم دمه حرام، وماله حرام، وعرضه حرام.

المسلم أطهر من ماء الغمام، المسلم أحب إلى الله من أي بقعة في الأرض.

المسلم يدافع الله عنه سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨]، فإذا اعتدي على المسلم في حقه دافع الله سبحانه وتعالى عنه.

وحق المسلم أنه إذا مرض فعده، وإذا مات فاتبع جنازته، وإذا عطس فشمته، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا أراد منك خيراً فقدمه له في حقوق كثيرة.

صحّ عنه ﷺ أنه قال: «**يقول الله يوم القيامة وهو يحاسب العبد: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني؟**

قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال: يا ابن آدم، أما علمت أن عبدي فلان بن فلان مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته وجدت ذلك عندي.

يا ابن آدم جعت فلم تطعمني.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط. انظر جامع الأحاديث والمراسيل رقم (٢٤٩١٣).

قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال: أما علمت أن عبدي فلان بن فلان جاع فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته وجدت ذلك عندي»[١].

فالجزاء من جنس العمل.

● التوبة والاستغفار:

ومن المسائل التي ينبه عليها التوبة والاستغفار والعودة إلى الله، ونحن نشكو حالنا وتقصيرنا وذنوبنا إلى الواحد الأحد، فلا يغفر الذنوب إلا الله، ولا يستر العيوب إلا الله، ولا يكشف الضر إلا الله، ولا يبرىء ولا يعافي ولا يرحم إلا الله، فنسأله وهو الذي فوق سبع سماوات أن يعافينا وإياكم، وأن يغفر لنا ولكم، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٥٣].

يا من أذنب وأخطأ، يا من أسرف وتمرد، يا من بعد عن الواحد الأحد، يا من شرد عن الفرد الصمد، عد إلى الله فباب الله مفتوح وسؤاله ممنوح وعطاؤه يغدو ويروح، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها، فنسأل الله أن يتوب علينا وعليكم.

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا ... واغفر أيا رب ذنباً قد جنيناه
كم نطلب الله في ضرٍّ يحلُّ بنا ... فإن تولت بلايانا نسيناه
ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا ... فإن رجعنا إلى الشاطىء عصيناه

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٥٠٨).

ونركب الجو في أمن وفي دعة فما سقطنا لأن الحافظ الله

فيا حافظ النفس، ويا باري الأرواح، أسألك أن ترحمنا رحمة ظاهرة وباطنة.

يقول ﷺ ما معناه: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً أخذ سيفه وهو ظالم فاجر، فأخذ تسعاً وتسعين من الأنفس المعصومة المحرمة فقتلها، فلما تلطخ بالدماء وتلطخ سيفه بسفك الأبرياء تذكر ربّ الأرض والسماء، وتذكر العرض على الواحد الأحد يوم القيامة، فذهب إلى الناس قال: هل لي من توبة؟**

قالوا: اذهب إلى ذاك الرجل في هذا الغار يعبد الله فاسأله هل لك من توبة.

فذهب إلى رجل عابد ما عنده من العلم شيء، عبد الله بالجهل في غار في الجبل، فطرق عليه الغار فخرج هذا الرجل قال: يا فلان.

قال: نعم.

قال: أنا قتلت تسعة وتسعين نفساً.

فصرف وجهه عنه وقد أخطأ في هذا العمل، كيف يغلق باباً فتحه الله؟ كيف يغلق حبلاً مده الله؟

قال: هل لي من توبة؟

قال: لا توبة لك، ليس لك توبة، فأخذ سيفه فقتله فأكمل به المائة ثم رجع إلى الناس فقال: يا أيها الناس دلوني على رجل، هل لي من توبة؟

قالوا: اذهب إلى ذاك العالم، عالم بصير بالأحكام فقيه في الدين يفتح الله عليه من كنوزه، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

قال: يا أيها الرجل هل لي من توبة؟

قال: ماذا فعلت؟

قال: قتلت مائة نفس.

قال: من يغلق عليك باب التوبة، باب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها.

تب إلى الله واستغفره.

قال: أين أذهب؟

قال: القرية التي عصيت الله فيها قرية ظالم أهلها، قرية أهلها فجرة، يعينونك على المعصية، فتب إلى الله وهاجر من قريتك إلى قرية بعيدة، إلى قرية بني فلان، لأن بعض القرى تعين على الصلاح، بعض القرى تعين على إقامة لا إله إلا الله، بعض القرى يتواصى أهلها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكن بعض القرى ظالم أهلها يتعاونون على الإثم والعدوان، على الفساد، على انتهاك الحرمات وتعدي حدود الله الواحد القهار.

فذهب هذا الرجل تائباً إلى الله الواحد الأحد، فلما مشى في الطريق أدركه الموت فمات، ما سجد لله سجدة، ولا ركع لله ركعة، ولا تصدق بصدقة.

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، نزلت من فوق سبع سماوات.

أما ملائكة الرحمة فتقول: يا ربي هذا العبد خرج تائباً يريدك ويريد الدار الآخرة فجزاؤه أن تغفر له.

وأما ملائكة العذاب فتقول: يا ربي هذا الرجل ما سجد سجدة ولا ركع ركعة ولا تصدق بصدقة، فجزاؤه النار.

قال الله تبارك وتعالى: إنني الحكم العدل ولست بظلاّم للعبيد، قيسوا بين المسافتين من المكان الذي مات فيه والقرية التي خرج منها، وما بين المكان الذي مات فيه والقرية التي خرج إليها، فإذا وجدتموه أقرب إلى إحدى القريتين فهو من أهلها، إن كان أقرب إلى الصالحة فهو صالح، وإن كان أقرب إلى الفاجرة فهو فاجر ـ نعوذ بالله ـ، ثم أوحى الله من رحمته وفضله إلى تلك القرية الصالحة أن تقرَّبي، وأوحى إلى تلك أن تباعدي.

فتقربت بجبالها ووهادها وبصخورها، فقاسوا ما بين المسافتين فوجدوه أقرب إلى تلك القرية.

قال: يا ملائكتي أشهدكم أني غفرت له وأدخلته الجنة»[1].

هذه رحمة الله، قتل مائة نفس معصومة دماؤهم ثم تاب فتاب الله عليه.

ويقول ﷺ في حديث آخر معناه: «كان فيمن كان قبلكم ثلاثة آواهم المبيت إلى غار، ثلاثة من بني إسرائيل ذهبوا يطلبون إبلاً لهم ضلّت، وقيل غنماً، وقيل غير ذلك، فأدركهم الليل إلى غار في جبل، فدخلوا الغار في ظلام الليل لأن بيوتهم بعيدة، فلما دخلوا الغار أنزل الله القطر من السماء فتدهدهت صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار في مكان لا أنيس فيه إلا الله، ولا حافظ إلا الله، ولا قريب إلا الله، ولا مسدد ولا هادي إلا الله.

فما زالوا في الصخرة أن يصرفوها عن فم الغار فما استطاعوا.

وهم في صحراء ما عندهم قريب، لا زوجة لا ولد لا أخ لا صديق لا حميم، ولكن الله فوق سبع سماوات يراهم، فجلسوا يتباكون.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٩٥)، ومسلم برقم (٦٩٥٧).

قال أحدهم: والله لا ينجيكم هذه الليلة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، كل من عنده منكم عمل وسريرة بينه وبين الله، أو فعل حسنة في الدهر، فليذكرها هذا اليوم لعل الله أن يرحمنا بها.

قال الأول: اللهم يا واحد يا أحد، إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران ـ أم وأب شيخان كبيران ـ وإني كنت لا أقدّم عليهما ولداً ولا زوجة ولا مالاً، وإنني قد نأى بي طلب الشجر فتأخرت فحلبت إبلي وأتيت إلى والدي ليشربا فوجدتهما نائمين.

قال: فأخذت الإناء بيدي وأطفالي يتباكون من شدة الجوع عند أقدامي فما سقيتهم قبل والديّ ولا أيقظت والديّ لئلا أزعجهما من النوم، فبقيت حتى طلع الفجر والإناء في يدي، وأبنائي يتباكون عند قدمي، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فزحزح عنا ما نحن فيه.

قال: فانزاحت الصخرة قليلاً وانفرجت فرجة لا يستطيعون الخروج منها.

فقام الثاني وقال: اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم جميلة من أجمل النساء، راودتها عن نفسها فأبت، فلما ألمّ بها الفقر أتيت إليها فذكرتني الله عز وجل فانصرفت عنها خشية منك، اللّهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك ففرج عنا ما نحن فيه.

فانفرجت الصخرة غير أنهم ما يستطيعون الخروج.

وأتى الثالث فقال: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أجراء خدام يعملون عندي فأعطيتهم أجرتهم إلا رجلاً واحداً أردت أن أعطيه فغضب فترك أجرته، فأخذت أجرته فثمّرتها حتى أصبحت إبلاً وغنماً وبقراً وشيئاً كثيراً من المال، فأتى فطلبني إياها فقلت: خذ هذا المال.

قال: لا تستهزىء بي.

قلت: هذا مالك.

فأخذه فما ترك لي شيئاً، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك وما عندك ففرّج عنا ما نحن فيه.

قال: فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون»(١).

وفيه دليل على أنه لا ينجي العبد إلا العمل الصالح، ولا يحفظه الله عز وجل إلا بالعمل الصالح، وهذا مصداق لقوله ﷺ: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**(٢).

وفي الصحيح عنه ﷺ قال: **«كان رجل من بني إسرائيل أشرف على نفسه في الخطايا والذنوب، فلما أدركته الوفاة قال لأبنائه: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً ثم أحرقوني بالنار ثم اسحقوني ثم ذرّوني في الريح لعل الريح أن تذهب بي في كل مكان..»**، سبحان الله، ظن أن الله لا يحييه كما بدأه أول مرة.. ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝﴾ [الإنسان: ١ ـ ٢]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩].

فلما مات جمع له أولاده الحطب وأحرقوه بالنار ثم أشعلوا جثمانه ثم سحقوه ثم ذرّوه في الريح فأخذته في كل مكان، فقال

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٨٧)، ومسلم برقم (٦٨٩٨).

(٢) حديث صحيح رواه الترمذي برقم (٢٥٦٦)، وأحمد برقم (٢٦٧٢، ٢٧٦٦).

له الله: قم.. فكان رجلاً ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، فلما أصبح أمامه رجلاً قال: يا عبدي ما حملك على ما فعلت؟

قال: يا ربي خفتك وخشيت ذنوبي.

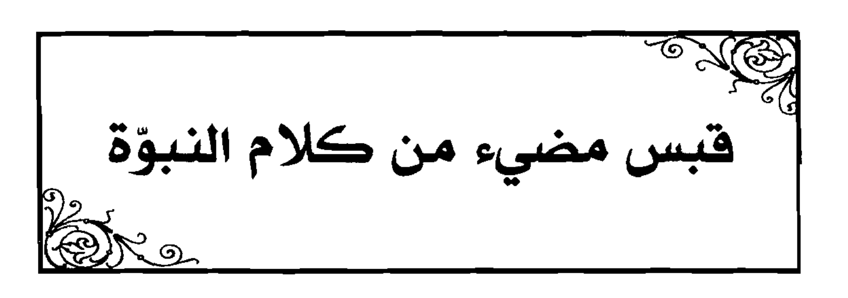
قال الله عز وجل: «**يا ملائكتي أشهدكم أني غفرت له وأدخلته الجنة**»(١).

فيا أيها الناس، التوبة التوبة، والاستغفار الاستغفار للواحد الأحد، فإنه لا يهلك على الله إلا هالك، والمكفرات كثيرة، نسأل الله لنا ولكم أن يغفر الذنوب والخطايا، فإنه سبحانه وتعالى لا يغفر الذنوب إلا هو، ولا يستر العيوب إلا هو.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



(١) رواه البخاري برقم (٣٤٠٣).



قبس مضيء من كلام النبوّة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه رسالة سميتها: (قبس مضيء من كلام النبوة)، جمعت فيها ما يقارب (عشرين) حديثاً من أحاديث المصطفى في مختلف الفنون، وكل أحاديثه ﷺ مضيئة.

وألحقتها بشرح موجز لكل واحد منها.

وسوف ترون في هذه الأحاديث أموراً، منها:

١ ـ صحتها.. فلا يكون فيها حديث ضعيف أبداً.

٢ ـ أني أعرض المسائل المهمة في الحديث.

٣ ـ أنني لا أتقيد بباب أو بكتاب، إذ سوف يأتي الحديث مرة في العقيدة، ومرة في السلوك، ومرة في العبادة، ومرة في الأخلاق، ليكون أسعد وأروح، والله الموفق.

١ ـ يقول ﷺ: **«آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟**

فأقول: محمد.

فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحدٍ قبلك»[١].

في الحديث مسائل:

أولاً: قوله ﷺ: **«آتي باب الجنة»**، أي في يوم القيامة يوم يجمع الله الأولين والآخرين فيفصل بينهم.

ثانياً: أن أول من يدخل الجنة محمداً ﷺ.

ثالثاً: أن للجنة أبواباً، وقد صح عند البخاري وغيره أن للجنة أبواباً ثمانية.

فأبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، نسأل الله أن يدخلنا من أبواب الجنة.

وبين المصراعين ـ كما في الحديث الصحيح ـ من مصاريع أبواب الجنة كما بين صنعاء وأيلة[٢]، (وصنعاء عاصمة اليمن، وأيلة بيت المقدس)، وإنه ليأتي عليه يوم وهو كضيض من الزحام.

وتساءل العلماء: هل هناك أبواب في داخل الجنة غير الأبواب العامة.

والصحيح أن هناك أبواباً داخل ملْك العبد في الجنة.

رابعاً: أن الرسول ﷺ ولو أنه متأخر في البعثة، لكن الله شرّفه فجعله أول من يدخل، ثم يدخل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على مراتبهم.

وتساءل الإمام ابن القيم في الجمع بين قوله سبحانه وتعالى:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٣٩)، وأحمد برقم (١٢١٤٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٤٣٣)، ومسلم برقم (٥٩٤٨).

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢﴾ [الزّخرُف: ٧٢]، وبين قوله ﷺ: **«لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله»**(١).

فالجواب الصحيح باختصار: أن دخول الجنة لا يحصل بالعمل إنما هو برحمة أرحم الراحمين، ومن لا تدركه رحمة الله لا يدخل الجنة.

وأما النزول في منازل الدرجات في الجنة فبالأعمال، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢﴾ [الزّخرُف: ٧٢].

ويقول سبحانه وتعالى عن أبواب الجنة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزُّمَر: ٧٣]، ويقول في أبواب النار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزُّمَر: ٧١]، فزاد الواو في أبواب الجنة لأنها فتحت قبل أن يصلوا إليها، وهذا من التكريم.

وأهان أهل النار فتركهم ينتظرون عند الباب فلا تفتح حتى يصلوها.

خامساً: هل الجنة موجودة الآن أم لا؟

الصحيح عند أهل السنة أنها موجودة ومخلوقة، وخالف في ذلك المعتزلة فقالوا: تخْلق فيما بعد، وقد كذبوا على الله، بل هي موجودة الآن.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي:

والنار والجنة حقاً وهما   موجودتان لا فناءَ لهما

سادساً: هل تفنى الجنة والنار؟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣١٦)، ومسلم برقم (٧٠٦٦).

الصحيح أنهما لا تفنيان.

وقال بفنائهما بعض المعتزلة كالعلاّف والنظّام وغيرهما، وردَّ عليهم أهل السنة.

فالصحيح أن أهل الجنة يخلدون فيها بلا موت، وأهل النار يخلدون فيها بلا موت، والله المستعان.

سابعاً: قال الخازن: (من أنت)؟ قال أهل العلم: فيه إشارة إلى أدب الاستئذان في الإسلام، وهو أنك إذا طرقت الباب فسأل صاحب البيت عن اسمك أن تخبره.

وكان ﷺ إذا استأذن فسئل قال: أنا فلان.

وطلب من الصحابة أن يخبر الإنسان باسمه.

وطرق جبريل السماء في الحديث الصحيح.. «**قالوا: من؟**

قال: جبريل.

قالوا: من معك؟

قال: محمد.

قالوا: مرحباً بك وبمن معك»[1].

واستأذن جابر كما في صحيح البخاري وطرق باب المصطفى ﷺ فقال ﷺ: **من؟**

قال: أنا.

ففتح ﷺ الباب وقال: **أنا أنا**[2].. كأنه كرهها لأن فيها إبهاماً.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٨٠٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١٠٧)، ومسلم برقم (٥٥٩٠).

فلا بد أن تخبر باسمك.

وقال أهل العلم: لو أخبر بكنيته لصح، ولو أخبر باسمه لصح، ولو أخبر بلقبه لصح، فالشرط أن يكون مشهوراً عند الناس يعْرف به.

ثامناً: قوله ﷺ: «**محمد**»، هذا واحد من أسمائه ﷺ، وإلا فله عدة أسماء وردت في النصوص، منها: (أحمد)، وقد ورد في القرآن في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: ٦]، و(العاقب) الذي يحشر على الناس على عقبه، و(الماحي) الذي محا الله به ما قبله، و(الحاشر) الذي يحشر الله الناس على قدمه ﷺ.

قال حسان:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال ﷺ: «**أما ترون كيف يصرف الله عني سب المشركين؟ إنهم يسبون مذمماً وأنا محمد**»[(١)].

وهو أبو القاسم ﷺ.

والذي سماه محمداً كما عند أهل السيرة، هو عبدالمطلب جده.

تاسعاً: قوله ﷺ: «**فأستفتح**»، أي أنه وجد أن الجنة مغلقة برغم أنه تعالى يقول عنها كما سبق: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزُّمَر: ٧٣]، فكيف نجمع بين القولين؟

الجواب: أن يقال أنه ﷺ يأتي قبل أن تفتَح فيستفتح فتفتح، فيأتي الناس وقد فتح لهم.

٢ ـ قال ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا**

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٥٧).

لم تستح فاصنع ما شئت»[١].

في هذا الحديث مسائل:

أولاً: ما هو الحياء؟

الحياء هو ما صدَّك عن المحارم، وهذا حياء واجب.

وما صدَّك عن المكروهات، وهو حياء مستحب وبعضهم يوجبه.

أما الذي يصدُّك عن طلب العلم وعن الأمور النافعة وعن التحصيل وعن السؤال الذي فيه النفع فليس بحياء، بل هو خجل ومذموم.

ولذلك يقول مجاهد في صحيح البخاري موقوفاً عليه يقول: لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبر.

ومر ﷺ برجل كما في صحيح البخاري وهو يعظ أخاه في الحياء فقال: «**دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير**»[٢].

والحياء خير كله، وخاصة إذا كان في شرف الأمور ويصد عن خوارم المروءة والمعاصي.

وصح عنه ﷺ عند الترمذي أنه قال: «**البذاء والبيان شعبتان من النفاق، والعي والحياء شعبتان من الإيمان**»[٣]، وقد شرح هذا الحديث ابن رجب في كتاب مستقل.

ثانياً: قوله ﷺ: «**إن مما أدرك الناس**»، أي مما حفظ من كلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وميراثهم هذه الجملة: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٠٩)، والإمام أحمد برقم (١٦٧٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٣٤).

وفي هذا معنيان لأهل السنة:

الأول: أي إذا لم يكن عندك ذرة من الحياء فاصنع ما شئت من الأمور لأنك لا تبالي، وقد أزلت هيبة الله وهيبة الناس من قلبك.

الثاني: أي إذا كان هذا الأمر الذي ستفعله لا يدعو إلى الحياء فاصنعه فإنه مباح لك.

والمعنى الأول هو الأقرب.

قال الشافعي:

فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاء

وقيل لسهل: ما هو الحياء؟

قال: أن تستحي من الرقيب.

وقال بعضهم: أن تجعل بينك وبين الله رقيباً.

وهي درجة الإحسان التي وصفها ﷺ في الحديث فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١).

وقد بلغ الحياء ببعض الصالحين أنه ما كان يتعرى وحده حياءً من الله.

وعند أحمد في المسند بسند صحيح أن معاوية بن حيدة قال: يا رسول الله إذا كان أحدنا وحده هل يكشف عن عورته؟

قال ﷺ: «**الله أحق أن يستحيا منه**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠، ٤٦٥٩)، ومسلم برقم (٥٩، ٦٣).

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٩٦٦٢)، والترمذي برقم (٢٨٤٦).

وصح عند الترمذي عن ابن مسعود أنه ﷺ قال: **«يا أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء فإن حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ومنْ تذكر البلا ترك زينة الحياة الدنيا»**[1]. وكان عمران بن حصين يحدث الناس بحديث: **«الحياء كله خير»**، فعارضه أحدهم وقال: إني قرأت في التوراة أن منه ما يكون جبناً وأن منه ما يكون خيراً.

فغضب عمران وقال: أحدثك عن الرسول ﷺ وتحدثني عن صحفك؟!![2].

والمعنى: الحياء المطلوب النافع، أما الخجل والخور والجبن فهذا ليس من الحياء.

ثالثاً: قوله ﷺ: **«النبوة الأولى»**، أي ما قبل نبوته ﷺ، فإن قبله أنبياء كما هو معلوم، وكان يرث ﷺ بعض الكلمات منهم.

٣ ـ قال ﷺ: «آخر من يحْشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان غنمهما فيجدانها وحوشاً، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجهيهما»[3].

في الحديث مسائل:

أولاً: قوله ﷺ: **«آخر من يحشر»**، معنى الحشر هنا قيل لقيام الساعة، وقيل الحشر هو من المشرق إلى المغرب، فإن من علامات الساعة الكبرى نار تحشر الناس من المشرق تهب من عدن فتحشر الناس وتجمعهم.

والحشر هو الاجتماع: حشرت الناس أي جمعتهم.

---

(١) هو عنده برقم (٢٥٠٦)، وأخرجه أحمد برقم (٣٦٧١).
(٢) رواه مسلم برقم (١٢١).
(٣) أخرجه البخاري برقم (١٨٥٣).

ثانياً: قوله ﷺ: «**من مزينة**»، هذه قبيلة من قبائل العرب منها زهير بن أبي سلمى الشاعر وغيره من الشعراء، وهي قبيلة ذكرها ﷺ بالخير وهي ما بين المدينة وما بين نجد.

ثالثاً: قوله ﷺ: «**فيجدانها وحوشاً**»، أي أن الناس ماتوا في المدن والقرى قبل قيام الساعة.

فقد هبت عليهم ريح باردة فأفناهم الله، ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعَام: ٦٢].

إن يوم القيامة هو المدرسة الكبرى التي تهذّب أخلاق الناس، والتي تردهم إلى الله عز وجل، والتي تجعلهم عباداً صالحين.

وهذه القضية الكبرى هي الفارق بيننا وبين العلمنة، وبين الشيوعية والماسونية واليهودية.

وهي الخيط الرفيع الفيصل بيننا وبين المذاهب الترابية الأرضية والقومية.

رابعاً: قوله ﷺ: «**حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجهيهما**»، فهذا دليل على أن الساعة تأتي بغتة.

فيجمع الله الأولين والآخرين ويقوم الفجرة من قبورهم يقولون: ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعَام: ٣١]، يا حسرتنا على الساعات الغالية، يا حسرتنا على الأيام والليالي، يا حسرتنا على الدقائق التي صرفناها، يا حسرتنا على القصور والبساتين والمتاع والمناصب.

خامساً: قوله ﷺ: «**ثنية الوداع**» هي في المدينة.

يقولون: تقابل مكة.

والداودي يقول: تقابل تبوك.

وذكر أنه ﷺ أشرف منها، قيل: يوم الهجرة، وقيل: يوم عاد من تبوك.

فخرج له أطفال المدينة وبنات المدينة الصغار يقولون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

٤ ـ قال ﷺ: «**آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترْفع له شجرة فيقول: أي ربي أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها.**

فيقول الله: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟

فيقول: لا يا ربي، ويعاهده أن لا يسأله غيرها.

وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبْر له عليه.

فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة أخرى هي أحسن من الأولى فيقول: أي ربي أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها.

فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟

لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟

فيعاهده أن لا يسأله غيرها.

وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه.

فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها.

ثم ترْفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأُوليين.

فيقول: أي ربي أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها.

فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟

قال: بلى يا ربي أدنني من هذه لا أسألك غيرها.

وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه.

فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي ربي أدخلنيها.

فيقول: يا ابن آدم ما يعذرني منك (أي يرضيك) إن أعطيتك الدنيا ومثلها معها؟

فيقول: أي ربي أتستهزىء مني وأنت رب العالمين؟!

فيقول: إني لا أستهزىء منك، ولكني على ما أشاء قادر»[1].

وفيه مسائل:

أولها: أن دخول الجنة على درجات.

ثانيها: أن الناس يتفاضلون في دخول الجنة بحسب أعمالهم.

ثالثها: أن لدخول الجنة أول وآخر، فما يدخلونها مرة واحدة.

وأول من يدخل الجنة كما سبق هو محمد رسول الله ﷺ.

وآخر من يدخل الجنة هذا الرجل.

رابعها: أن عصاة الموحدين يعذبون خلافاً للمرجئة الذين لا يفاضلون بالإيمان.

خامسها: أن الخوارج قالوا بتخليد أهل الكبائر في النار، وهذا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤١٦)، وأحمد برقم (٣٨٩٨).

خطأ، فلا يخلد الموحد في النار، وقد يخرج بعد أن يبقى مدة فيها.

سادسها: أن الله عز وجل يكلم الناس يوم القيامة كفاحاً بلا ترجمان ويتكلم معهم.

سابعها: عظم ما أعطى الله عز وجل لأقل المؤمنين في الجنة، فإنه ثبت من حديث أبي سعيد وأبي هريرة: أن أدناهم ـ أي أهل الجنة ـ منزلة من يملك مثل ملك الدنيا خمس مرات وقيل عشر مرات.

٥ ـ يقول ﷺ: «**آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهداه إذا علموا ذلك، والواشمة والموشومة للحسن، ولاوي الصدقة، والمرتد أعرابياً بعد الهجرة، ملعونون على لسان محمد يوم القيامة**»[1].

«**آكل الربا**»: هو الذي يتناوله أكلاً مباشرة أو لبساً أو استخداماً أو سكناً أو مركوباً أو يمتهنه في تجارة.

«**وموكله**»: الذي يوكله غيره كالصراف والبائع وحامل العقود والكاتب عليها والشاهد وصاحب الأرشيف والحارس والفراش كلهم.

«**وكاتبه**»: الذي يكتب العقود ويوقع على السندات والشيكات والحوالات.

«**وشاهداه**»: اللذان يشهدان على العقد.

«**إذا علموا ذلك**»: لأن الجاهل معذور.

«**والواشمة**»: هي التي تشم نفسها بحبرٍ أو صبغ أو ما يشابهه في جسمها.

«**والموشومة**»: التي تطلب من غيرها ذلك.

---

(١) رواه النسائي برقم (٥٠٨٦، ٥٥٠٥، ٩٢٩٦)، وابن خزيمة برقم (٢٢٣٩)، وابن حبان برقم (٣٢٢٠)، والبيهقي في السنن برقم (١٨١٥٥).

«ولاوي الصدقة»: أي مانع الزكاة والمماطل في الزكاة والمؤخر للزكاة إذا حلت عليه.

«والمرتد أعرابياً» في عهده ﷺ، حيث كان الرجل إذا هاجر ينبغي عليه أن لا يعود من هجرته.

«ملعونون على لسان محمد يوم القيامة» ﷺ. واللعن - نعوذ بالله -: الطرد والإبعاد من رحمة الله، وشاهدنا هو أول الحديث.

وعند مسلم من حديث جابر أنه قال: **«لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه»** وقال: **«هم سواء»**[(١)].

وعند الحاكم وابن ماجه بسند صحيح يقول ﷺ: **«الربا ثلاثة وسبعون باباً، أدناه مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض المسلم»**[(٢)].

٦ - يقول ﷺ: **«آكل كما يأكل العبد، فوالذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها كأساً»**[(٣)].

والمناسبة أنه مرت امرأة بالرسول ﷺ فرأته يأكل وهو على التراب وهو أشرف مَنْ خلق الله، لم يخلق الله في الناس أشرف من محمد ﷺ، فقالت للناس: انظروا إليه يأكل كما يأكل العبد، ويجلس كما يجلس العبد.

فرد عليها وقال: **«آكل كما يأكل العبد، فوالذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها كأساً»**، لأنه ليس منزلة الإنسان عند الله بما يعطيه من الدنيا، فإن بعض الفجرة قد يعطيه الله الملايين المملينة، والقصور والدور، والدنيا والذهب

---

(١) هو عنده برقم (٤٠٤٧).

(٢) أخرجه الحاكم برقم (٢٣٠٠)، وابن ماجه مختصراً برقم (٢٣٤٠).

(٣) انظر جامع الأحاديث والمراسيل برقم (١٦، ١٧، ١٨).

والفضة، ولكن لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

وتجد المؤمن التقي البار لا يجد كسرة خبز في اليوم أحياناً، ينام على الرصيف، لأن الموازين ليست في الدنيا.

وقوله ﷺ: «**جناح بعوضة**»، الجناح هو طرف هذه البعوضة.

وفي حديث صحيح: «**إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب**»[1]. فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والله ينظر إلى القلوب ويرى من يستحق هذه الرسالة وهذا الإيمان وهذا القرآن فيمنحه الدين.

ويرى أن بعض الناس لا يستحق الإيمان ولا يستحق الصلاح فلا يمنحه الإيمان، ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣].

«**ما سقى منها كافراً كأساً**»، مع العلم أن الكفار قد يتمتعون من الدنيا أكثر مما يتمتع المؤمن، ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزّخرُف: ٣٣ ـ ٣٥].

إذاً.. لقد أخبر ﷺ ـ في هذا الحديث ـ بأنه عبد.

ولما أطراه بعض الوفود بقولهم: (أنت سيدنا...).

قال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان، إنما أنا عبد الله ورسوله، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[2].

---

(١) انظر: مجمع الزوائد برقم (٤٦١).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٠٢)، والنسائي في الكبرى برقم (٩٧٩).

وقد ذكر الله لفظ العبودية له ﷺ في مقام التشريف.

ذكره في الإسراء فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وذكره في مقام الدعوة فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجنّ: ١٩]، وذكره في مقام الإنزال فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفُرقان: ١].

لا تدعني إلا بيا عبدي فإنها أشرف أسمائي

فأشرف أسمائه العبودية لله، ومن لا يكون عبداً لله كان عبداً لشيطانه وشهواته وغروره.

٧ ـ قال ﷺ: **«آلفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده لتصبنَّ الدنيا عليكم صبّاً، حتى لا يزغ قلب أحدكم إن أزاغه إلا هي، وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء»**[١]، رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء وسنده حسن.

«آلفقر تخافون»، معناه هل تخشون الفقر من بعدي؟ وهذا الاستفهام للإنكار، أي لا تخشوا الفقر فلن تموت الأمة بالفقر، بل الذي قتل الناس هو الغنى، والذي دمر كثيراً من البيوت هو المال والثراء.

«والذي نفسي بيده لتصبن الدنيا عليكم صبّاً»، أي لتكثر عليكم الأموال كثرة هائلة، وقد حدث هذا حتى أصبح الغنى أمراً عجيباً.

ثم أخبر بأن الدنيا هي المزيغة للقلوب.

ولذلك فنسبة الانحراف في الأثرياء أكثر منها في الفقراء.

«وأيم الله»: هذا قسم منه ﷺ.

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٥).

وكان يقسم ﷺ بتالله، وبالله، ووالله، وأيم الله.

«**لقد تركتكم على مثل البيضاء**»، يعني الشريعة والسنة مثل البيضاء، قيل: البيضاء هي الطريق الواضحة.

وقيل: البيضاء هي الليلة المقمرة.

وقيل: البيضاء هي المسلك الذي لا عوج فيه.

وكل المعاني صحيحة.

«**ليلها ونهارها سواء**»، لقد تركنا ﷺ على محجة واضحة لا لبس فيها وهي ظاهرة للعيان، وهي شريعة كاملة متباينة عن غيرها من المعسكرات الغربية والشرقية، فلا عذر لمن حاد عنها.

٨ ـ قال ﷺ: «**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم. وأنهاكم عن الدبّاء والنقير والحنتم والمزفّت، احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم**»[1].

سبب الحديث أن وفد عبدالقيس من الأحساء ـ أي البحرين، لا الأحساء المعروفة الآن ـ وفدوا إلى الرسول ﷺ بالمدينة فاستقبلهم وأوصاهم بهذا الحديث.

«**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع**»، ثم قال: «**آمركم بالإيمان بالله وحده**»، وهذا يسمّى عند أهل البلاغة (لف ونشر)، أي يجمل العبارة ثم يفصلها.

«**وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان**»، ولم يذكر الحج لماذا؟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥١٧)، ومسلم برقم (٨١)، وأبو داود برقم (٣٦٩٢)، والترمذي برقم (٢٦٧٥)، والنسائي برقم (٥٠١٥).

قالوا: لأن الوفد أتى قبل فرض الحج.

«**وأن تؤدوا خمس ما غنمتم**»، من المغانم لبيت المال.

«**وأنهاكم عن الدباء**»، وهو القرع إذا جوف وأخذ ما في داخله ثم جعل فيه الزبيب أو التمر فيتركونه إلى أن يتخمر.

«**والنقير**»، لأنهم كانوا ينقرون عضو الشجرة فيجعلون فيها الخمر.

«**والحنتم**»، هي جرار خضر تستخدم للتخمير.

«**والمزفت**»، الوعاء يصبغونه بالقار فيستخدمونه في ذلك الشأن.

والصحيح عند الإمام أحمد وغيره أن هذا الحكم والنهي منسوخ لقوله ﷺ في صحيح مسلم: «**اشربوا في كل شيء ولا تشربوا مسكراً**»[1]، فلك أن تشرب في هذه الآنية السابقة إذا لم يكن المشروب مسكراً.

٩ ـ قال ﷺ: «**آمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث: آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وتسمعوا وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم. وأنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[2].

«**آمركم**»: الأمر إذا أطلق يقتضي الوجوب.

«**وأنهاكم**»: والنهي إذا أطلق يقتضي التحريم.

والوجوب أو التحليل والتحريم ليس إلا للشارع وليس لأحد من الناس، ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢١٣)، وعند الإمام أحمد برقم (٢٢٥٧٦).

(٢) انظر جامع الأحاديث والمراسيل برقم (٢٥).

لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النّحل: ١١٦]، فليس لأحد أن يحلل أو يحرم إلا الله ورسوله ﷺ، والله يقول في وصف رسوله ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

«**آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**»، هذه كلمة التوحيد وهذه ملخص رسالته ﷺ.

وهو ﷺ يدعو إلى توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فمقرر في الفطر، ولم ينكر الصانع في الظاهر إلا فرعون، وإلاّ فالكفّار يشهدون أن الذي خلق السموات هو الله، والذي خلق الأرض هو الله، والذي أبدع هو الله، لكنهم يدعون معه إلهاً آخر.

وكل نبي أتى يدعو إلى توحيد الألوهية، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

والتوحيد ثلاثة أقسام: ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات.

فالربوبية مقرر في الفطر كما سبق.

والألوهية أنكره الكفار وهو عمدة رسالته ﷺ.

والأسماء والصفات أتى به ﷺ على أكمل وجه، وليس هذا مبحث ذاك.

قوله: «**ولا تشركوا به شيئاً**»، لأن الشرك هو أعظم ذنب عصي الله به. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُمَر: ٦٥].

وفي الصحيحين أن معاذاً كان ردف الرسول ﷺ، فقال له ﷺ: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟**».

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «**أتدري ما حق العباد على الله؟**».

قال: الله ورسوله أعلم.

قال: «**فإن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»(١).

قوله: «**وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**»، حبل الله قيل: هو الرسالة، وقيل: القرآن، وقيل: الرسول، وقيل: محمد ﷺ، وقيل: لا إله إلا الله.

والاعتصام هو الالتجاء والتمسك.

«**ولا تفرقوا**»، لأن التفرق مذموم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٠٥].

قوله: «**وتسمعوا وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم**»، بشرط أن يكون هذا المسؤول طائعاً لله غير معلن للكفر، فإنه واجب على المسلم أن يسمع ويطيع ما لم ير كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان.

ومعتقد أهل السنة والجماعة أنه يصلّى وراء أئمة الجور ويجاهد معهم ما لم يُرَ كفر بواح عندنا فيه من الله برهان.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق كلمتكم فاضربوه بالسيف كائناً من كان**»(٢).

وقال ﷺ: «**من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٣٠)، ومسلم برقم (١٠٧).

(٢) رواه مسلم برقم (٤٧٥٢).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٩٠١)، ومسلم برقم (٤٧٤٧).

وقوله: «**وأنهاكم عن قيل وقال**»، قال العلماء: معنى قيل وقال كثرة نقل الكلام، كقال فلان ورد عليه فلان، لأنها من المسائل التي لا فائدة فيها.

وقيل: هي الغيبة، كقال فلان في فلان.

وقيل: هي النميمة كقال فيك فلان، ثم ينتقل إلى الآخر ويقول: قال فيك فلان.

«**وكثرة السؤال**»، قال الإمام مالك: كثرة السؤال عن المعضلات، كمثل الذي يأتي إلى طلبة العلم والعلماء ويسألهم عن المعضلات ليعجزهم ولا يريد الفائدة، وهو آثم ويدل هذا على فسق قلبه.

وقيل: كثرة السؤال هو الذي يسأل أموال الناس متكثراً.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً، فليستقل أو ليستكثر**»[1].

وقيل: كثرة السؤال في عهده ﷺ قبل أن ينزل الوحي، يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المَائدة: ١٠١].

«**وإضاعة المال**»، أي إضاعة المال في المعاصي، كمن يضيعه في الأغاني، أو في شراء أدوات الغناء، أو في شراء الدخان، أو في شراء المخدرات والخمر، أو في تأجير المحلات للمعصية، كما يشاهد اليوم في بلاد كثيرة وفي أماكن كثيرة.

وإضاعته بالإسراف في إنفاقه، كالتكثر من الملابس والمطاعم والمشارب والبيوت.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٥٢).

١٠ ـ قال ﷺ: «**آمروا النساء في أنفسهن، فإن الثيب تعرب عن نفسها وإذن البكر صماتها**»[١].

ومعنى الحديث يقول ﷺ: فوِّضوا الثيب، فإن الثيب تتكلم إذا أرادت الزواج أو إذا رضيت الزوج المتقدم لأنها ليست كالبكر تستحي.

أما البكر فإذا سكتت فهي راضية لأنها تستحي أن تتكلم.

١١ ـ وقال ﷺ: «**آمروا اليتيمة في نفسها وإذنها صماتها**»[٢]، واليتيمة هي البكر، فإذا صمتت وسكتت جاز النكاح، وأما إذا اعترضت فلا.

١٢ ـ قال ﷺ: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»[٣].

«**آية الإيمان**»، أي: علامة إيمان المسلم، وعلامة حبه لله عز وجل، وعلامة حبه لرسول الله ﷺ، حبّه للأنصار.

والأنصار اسم شرعي سماهم الله عز وجل به، وإلا فهم قبيلتان مشهورتان من الأزد من اليمن اسمهم الأوس والخزرج، فسمى الله القبيلتين الأنصار لأنهم الذين نصروا الرسول ﷺ.

فآية إيمان المؤمن أن يحبهم، ومن أبغضهم فقد نافق، ولا يبغضهم إلا منافق عدو لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

والأنصار كل من ناصر الرسول ﷺ ويخص الأوس والخزرج، أو من ناصره في المدينة يوم انتقل بعد الهجرة.

---

(١) أخرجه البيهقي برقم (١٣٨٨٣) وانظر جامع الأحاديث والمراسيل برقم (٢٦).

(٢) انظر جامع الأحاديث والمراسيل رقم (٢٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٩٧)، ومسلم برقم (١٩٧)، والنسائي برقم (٥٠٠٣)، والإمام أحمد برقم (١٢٠٦٢).

والأنصار منهم العلماء والشهداء والعباد والزهاد والشعراء، رضي الله عنهم وجزاهم خير الجزاء بما قدموا للإسلام.

١٣ - قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»[١].

ومعنى الحديث أن هذه من علامة المنافق النفاق العملي، لأن النفاق قسمان: نفاق اعتقادي ونفاق عملي.

فالمنافق نفاقاً اعتقادياً خالد في النار وفي الدرك الأسفل منها، وهو الذي يكفر بالرسالة، أو يكفر بالرسول ﷺ، أو يستهزىء بشيء أتى به الرسول ﷺ، أو يستهزىء بآيات القرآن.

أما المنافق النفاق العملي فقد يكون مسلماً لكن فيه شعب من النفاق، كما ورد في الحديث السابق بأن يكذب أو يغدر أو يخون أو يخلف الوعد.

والكذب مباح في ثلاثة مواقف:

١ - أن تكذب المرأة على زوجها، والزوج على امرأته، في أمور الحب والعشرة.

٢ - أن يكذب في الصلح بين الناس.

٣ - أن يكذب في الحرب مع الكفار، لأن الحرب خدعة.

١٤ - قال ﷺ: «ائت حرثك أنى شئت، وأطعمها حيث طعمت، واكسها حيث اكتسيت، ولا تقبح الوجه ولا تضرب»[٢].

قوله: «**أنى شئت**»، مثل قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٥٣)، ومسلم برقم (١٧٣)، والترمذي برقم (٢٦٩٩)، والنسائي في الكبرى برقم (١١٠٢٣).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢١٤٧)، وأحمد برقم (١٩٦٥٢، ١٩٦٦٧).

حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٣]، أي مقبلة ومدبرة بشرط أن لا يكون الجماع في الدبر لأنه ملعون من فعل ذلك.

«**وأطعمها إذا طعمت**»، أي من طعامك، فالنفقة واجبة على الزوج وكذلك الكسوة واجبة عليه بمقابل ما استمتع منها.

«**ولا تقبح الوجه**»، يعني لا تدعو عليها بالقبح في الوجه.

وقيل لا تضرب الوجه، فإنه محرم ضربه، ومن فعل ذلك فقد تعدى وظلم، ولكن إذا نشزت فليضرب ضرباً غير مبرح في غير الوجه.

١٥ ـ قال ﷺ: «**ائتدموا بالزيت وادّهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة**»(١).

«**ائتدموا بالزيت**»، أي اجعلوا الزيت إداماً.

والزيت كما تعرفون يخرج من شجرة مباركة وهو زيت الزيتون، فإنه مبارك، وهو يذهب مرض البرص والبهق، وفيه تليين للأعضاء، وفيه قوة وحرارة وصفها ابن القيم وغيره من أهل الطب.

«**وادّهنوا به**»، أي تدهن به الرأس والوجه.

والرسول ﷺ هو طبيب البشرية، طبيبها في القلوب وطبيبها ﷺ في الأجسام.

«**فإنه يخرج من شجرة مباركة**»، أي شجرة الزيتون.

١٦ ـ وقال ﷺ: «**ائتوا الدعوة إذا دُعِيتم**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٣٩٨) عن ابن عمر، وأخرجه الترمذي برقم (١٨٥٢) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٤٦٦).

وهذا على الوجوب في دعوة الزواج، إذا دعي إلى زواج فواجب عليه أن يحضر، لكن بشرط أن لا يكون في الزواج منكر كالغناء والخمر والدخان ونحوه.

أما غير الزواج فعلى الاستحباب، لكنها من الحقوق التي أوصى بها ﷺ وذكرها في عدة أحاديث مشهورة.

١٧ ـ قال ﷺ: «**ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد**»[(١)].

قال: «**بالليل**»، لأنه مظنة أن لا يؤذن للنساء فيه، وهو مظنة الفتنة ومظنة الاختلاط.

وهذا الأمر على الاستحباب وعلى الندب، لأنه ورد عنه ﷺ أنه ما أوجب صلاة الجماعة على النساء وقال: «**وصلاتها في بيتها خير لها**»[(٢)]، لكن لو طلبت المرأة من زوجها الذهاب إلى المسجد دون فتنة فله أن يأذن لها.

ولما قال ابن عمر هذا الحديث قال ابنه بلال: والله لا نأذن لهن لكي لا يتخذن المسجد دخلاً.

قال ابن عمر: أحدثك عن الرسول ﷺ وتعارضه، والله لا أكلمك حتى أموت.

فما كلمه حتى مات وهجره لأنه ردّ الحديث.

١٨ ـ قال ﷺ: «**أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة**»[(٣)].

«**أبى الله**»، أي منع الله صاحب القتل من التوبة.

ومعناه عند أهل السنة أنه تعالى قد يحرم القاتل التوبة، لا أن الله

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٨٨)، ومسلم برقم (٩٤٥).
(٢) أخرجه أبو داود برقم (٥٧٠)، وابن خزيمة في صحيحه برقم (١٦٨٦).
(٣) انظر الفتح الكبير رقم (٤٧).

يحرمه إذا تاب التوبة، بل لو تاب وصدق مع الله جعل الله له توبة.

فإن رجلاً من بني إسرائيل قتل مائة نفس فتاب الله عليه، فما بالك بمن قتل نفساً؟

والحديث فيه تعظيم قتل المسلم، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**لزوال الدنيا بأسرها أهون عند الله من قتل امرىء مسلم**»[1]، وفي صحيح مسلم: «**لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[2].

١٩ ـ قال ﷺ: «**أبايعك على أن تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة، وتنصح لكل مسلم، وتبرأ من الشرك**»[3].

لقد بايع ﷺ الصحابة أو المسلمين على بيعات عدة، منها:

البيعة على الإسلام.

ومنها البيعة على الهجرة.

ومنها البيعة على الجهاد.

ومنها البيعة على الموت، كما في حديث البراء تحت الشجرة.

ومنها البيعة على أن لا يسألوا أحداً من الناس شيئاً.

وقوله هنا: «**أبايعك على أن تعبد الله**»، هذه أكبر بيعة بايعها رسول الهدى ﷺ، لأنها تتعلق بالتوحيد والتخلي عن الشرك.

«**وتقيم الصلاة المكتوبة**»، أي الخمس صلوات، وما زاد فنافلة.

---

(١) رواه الترمذي برقم (١٣٩٣)، والنسائي برقم (٣٩٧١)، والبيهقي في السنن برقم (١٦١٧٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٣٢٩)، والترمذي برقم (١٤٠١)، وأبو داود برقم (٤٣٤٨).

(٣) أخرجه أحمد برقم (٨٧٩٧، ٨٨٠٩)، والنسائي في الكبرى برقم (٤١٦١، ٧٧٩٢).

«**وتؤتي الزكاة**» المفروضة، والصدقة نافلة.

«**وتنصح لكل مسلم**»، خصّه بالنصيحة لكل مسلم لأن جريراً كان سيد قبيلة (بجيلة) قومه، فواجب عليه النصح لهم دون غيره.

وقد وفّى جرير بهذه البيعة إلى أن مات رضي الله عنه.

فكان إذا بايع الرجل في سلعة أو في تجارة خيَّره بين الثمن أو بين السلعة.

٢٠ ـ يقول ﷺ: «أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو كفارة وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»[(١)].

في هذا الحديث نهاهم ﷺ عن الشرك وعن كبائر الذنوب كالسرقة والزنا، ولكنه بيَّن أنهم لا يكفرون بهذه الكبائر بخلاف ما يقوله الخوارج الذين يكفِّرون بذلك.

قوله: «**ولا تقتلوا أولادكم**»، لأن العرب كانوا يقتلونهم مخافة أن يطعموا معهم.

قوله: «**ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم**»، قيل: هو الزنا.

قوله: «**ولا تعصوني في معروف**»، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قوله: «**ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو كفّارة**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٥٣، ٧٣٠٢)، ومسلم برقم (٤٤١٥).

وطهور»، لأن الحدود كفارات على الصحيح.

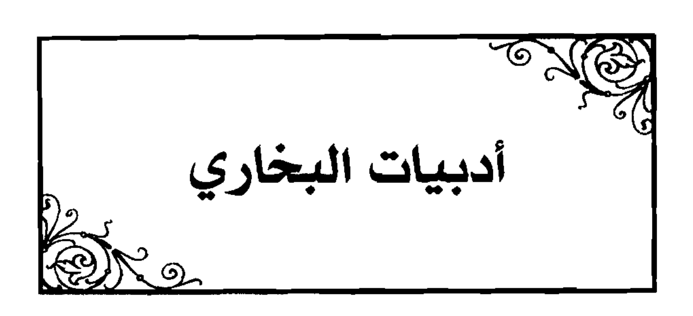
قوله: «**ومن ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»**، أي أنه تحت المشيئة فلا يدري أيغفر له أم يعاقب.

والواجب على المسلم أن يتوب إلى الله كل وقت وحين، ويستغفر من ذنوبه، وأن يستر نفسه ويبتعد عن المجاهرة بالمعاصي ليكون أقرب من التوبة ومن رضا الله عليه.

أسأل الله لي ولكم الستر والعافية، والتوبة والإنابة.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.





أدبيات البخاري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

إخواني في الله، هذه دروس من صحيح البخاري تحت عنوان: (أدبيات البخاري)، وسوف أتناول بحول الله بعض الأحاديث من كتاب الأدب بالشرح لحاجتنا الماسة إليها كباراً وصغاراً، طلبة علم وعامة، رجالاً ونساءً، فهذا هو أدب الرسول ﷺ.

قال البخاري: بسم الله الرحمن الرحيم (كتاب الأدب).

الأدب مختلف في تعريفه، والأدب المشهور عند الناس أنه الشعر والقصص وما يسير في هذا المسار، لكن الأدب عند أهل الإسلام وعند أهل الفقه وأهل الحديث بمعنى آخر، الأدب قالوا عنه: هو استعمال ما يجمل من الأقوال والأفعال والأحوال.

وقالوا: الأدب ترك ما يشين.

وقالوا: الأدب أن تتحلى بحلية الفضلاء.

وقالوا: الأدب هو ألا تعصي الله ولا تخرم مروءتك.

وقالوا: الأدب هو تقوى الله، فمن اتقى الله فقد تأدب.

وقد صنف البخاري كتاباً مستقلاً اسمه (الأدب المفرد)، هذا

الكتاب ليس على شرط الصحيح، في كتاب الأدب المفرد الحديث الصحيح والحسن والضعيف، أما صحيح البخاري وفيه كتاب الأدب فكله صحيح على شرط البخاري. وقد اشترط لصحة الحديث شروطاً صعبة، فكان حديثه أصح كلام بعد كتاب الله تعالى.

قال: (كتاب الأدب)، أي الأدب الذي يؤخذ من محمد ﷺ، لا الأدب الذي يؤخذ من الحطيئة أو امرىء القيس أو جرير أو الفرزدق، هذا أدب من جعله في حياته فقط ضاع عمره، لأنه إذا لم يكن الأديب له إيمان ورسالة لم يكن له نفع في الدين ولا في الآخرة.

شعر بلا رسالة، وقصص بلا رسالة، ومسرحية بلا رسالة، ليس لها عند الله أثر ولا نفع ولا فائدة.

فهذا الأدب هو أدب الرسول ﷺ الذي علمنا، وعند ابن عساكر قول ينسب إلى النبي ﷺ أنه قال: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»[1]، وهذا الحديث رواه ابن عساكر عن أنس وهو حديث ضعيف لا يصح. قال ابن تيمية: معناه صحيح وسنده ضعيف، وهذه من أحسن الكلمات، وإن كان سنده ضعيفاً، فالذي أدب محمد ﷺ هو الله، لكن الحديث لا يصح من كلامه ﷺ، وليس كل كلمة كان معناها صحيحاً تكون من كلامه ﷺ.

وهذا مصطلح عند بعض المتأخرين من بعض المفكرين يقولون إذا كان معنى الحديث صحيحاً وحسناً فهو من كلامه ﷺ، وإذا كان معناه مخالفاً للعقل ولو كان سنده صحيحاً فهذا مردود.

وهذا خطأ، بل نحن نتعامل مع كلامه ﷺ من خلال السند والمتن جميعاً. قال رحمه الله: (باب البر والصلة)، وقول الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، ميزة البخاري أنه يأتي

---

(١) انظر جامع الأحاديث والمراسيل رقم (٧٨٠، ٧٨١)، والضعيفة برقم (٧٢).

بالباب والترجمة، ثم يأتي بآيات بينات من الكتاب العظيم، ثم يثلث بالحديث وهذا من أحسن ما يكون.

يقول ابن تيمية في المجلد العاشر: ما أعلم تحت أديم السماء كتاباً أفيد ولا أنفع من صحيح البخاري.

صحيح البخاري لو أنصفوه لما خط إلا بماء الذهب

فبدأ أولاً بحق الوالدين، لأن حقهما مقرون بحق الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النِّساء: ٣٦].

قال البخاري: حدثنا أبو الوليد ـ هذا أحد مشايخ البخاري وعنده أكثر أو ما يقارب سبعمائة شيخ ـ.

قال: حدثنا شعبة بن الحجاج، وهو عالم العراق شعبة بن الحجاج، أمير المؤمنين في الحديث أبو بسطام، وشعبة هذا له طرائف، وكان قوياً في السند قوياً في الشرط، ما يدرس ولا يعرف التدريس، وكان فقيراً، يقولون ثمّن ما عليه من لباس وما عليه من عمامة بثلاثة عشر درهماً، مع العلم أن شعبة هذا أمير المؤمنين في الحديث، جبل من جبال العلم.

دخل عليه مرة فاجر من الفجرة، وقال: حدثني يا شعبة من الحديث.

فقال: وهل أحدث مثلك؟! ـ لأنه كان فاجراً ـ.

فذهب الفاجر فأخذ سكيناً من البيت ودخل على شعبة وقال: والله الذي لا إله إلا هو إما أن تحدثني، وإما لأبعجن بطنك بهذه السكين.

قال شعبة: حدثنا فلان، حدثنا فلان عن فلان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[1]، هذا الحديث صحيح وهو مناسب لحال هذا الرجل الذي لم يستح من الله ولم يرْع لهذا العالم حقاً ولا حرمة، فأخذ الرجل هذا الحديث وأثّر فيه تأثيراً عظيماً، فكان سبباً لتوبته، وذهب إلى المدينة وتاب وطلب العلم من الإمام مالك، ثم عاد وأصبح محدثاً، وسأل عن شعبة فوجد شعبة قد مات، فكان دائماً يروي هذا الحديث عن شعبة يقول: حدثنا شعبة، ثم يسوق الحديث: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**».

قال الوليد بن عيزار: قال: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: أخبرنا صاحب هذا الدار، وأومأ بيده إلى دار عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ، عالم أهل الكوفة بالعراق رضي الله عنه، الداعية الكبير الذي هدى به الله ألوفاً من الناس، كان يرعى الغنم بهذيل بين مكة والمدينة فأكرمه الله بالقرآن والإيمان فأصبح عالماً من علماء الأمة على مر التاريخ، يقول ابن مسعود: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟

ابن مسعود طرح السؤال على النبي ﷺ، والأسئلة اختلفت في ذلك عليه ﷺ، فمرة يسأل ﷺ: أي العمل أفضل؟ ومرة يقال له: دلّنا يا رسول الله على أفضل عمل، ويقول الآخر: بماذا توصيني يا رسول الله؟ ويقول الرابع: زودني يا رسول الله.

وهنا السؤال: أي العلم أحب إلى الله عز وجل؟ وفي السؤال قضايا.

المسألة الأولى: أي الأعمال الصالحة أحب إلى الله.

المسألة الثانية: أيها أفضل فهي كلها فاضلة، لكن أيها أولى يا رسول الله.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٠٩، ٥٩٧٨).

والمسألة الثالثة: لا بد أن ينظر إلى حال السائل، ما هو استعداده؟ ما العمل الذي يناسبه؟ ولذلك اختلفت أجوبته ﷺ.

فمرة يقول له أبو أمامة: دلني على أفضل عمل قال: «**عليك بالصيام**»[١].

ويأتيه آخر فيقول: دلني على أفضل عمل، قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[٢].

وآخر قال له: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**»[٣].

قال أهل العلم: اختلفت الأجوبة لاختلاف حال السائل، وهذا من معرفته وكمال حكمته ﷺ، وأنت لا تجيب الناس بجواب واحد لاختلاف أحوالهم.

قال: أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟

قال ﷺ: «**الصلاة على وقتها**»[٤]، أحب العمل إلى الله الصلاة على وقتها، والمعنى أداء الفريضة على وقتها قبل أن يخرج وقتها، وعند الترمذي وابن خزيمة: «**الصلاة في أول وقتها**»[٥]، وهي زيادة ثقة تقبل، الصلاة في أول وقتها، أما حديث: «**الصلاة في أول الوقت رضوان الله، وفي أوسطه رحمة الله، وفي آخره عفو الله**»[٦]، فقد رواه الدارقطني وهو ضعيف جداً، وفي سنده يعقوب بن الوليد المدني، قال

---

(١) رواه أحمد برقم (٢١٧٧٣)، والنسائي برقم (٢٢٢٢)، والبيهقي في السنن برقم (٨٤٩٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٦)، ومسلم برقم (٢٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٠٦)، والإمام أحمد برقم (١٧٣٥٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٢١)، ومسلم برقم (٢١٢).

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٦)، والترمذي برقم (١٧٠) عن أم فروة، وابن خزيمة برقم (٣٢٩) عن ابن مسعود.

(٦) رواه الدارقطني برقم (٩٦٧).

أحمد بن حنبل: من الكذابين الكبار، وقال ابن معين: جبل من جبال الكذب، فالحديث هذا واهٍ جداً في سنده يعقوب المدني، لكن الصحيح: «**الصلاة على أول وقتها**».

ومن فاتته الصلاة بلا عذر حتى خرج وقتها فقد حبط عمله، واختلف أهل العلم في من فاتته الصلاة حتى خرج الوقت عامداً متعمداً بلا عذر هل يقضيها أم لا؟ فبعض المحدثين يقول: لا يقضيها لأنه في هذه الفترة كفر بالله وعليه أن يتوب ويجدد إسلامه ويدخل في الدين من جديد، والكافر لا يقضي الصلاة، وهو تعمد تركها فعليه أن يتوب ويعود إلى الله عز وجل.

وبعض الفقهاء قالوا: يقضيها ويستغفر ويتوب.

وأما حكم تارك الصلاة فهو الكفر والعياذ بالله، سواء كان متعمداً أو كان تكاسلاً، حتى أن ابن تيمية يرى أن التقسيم الذي قسمه الفقهاء من أن من ترك الصلاة متعمداً فإنه يكفر، أما من ترك الصلاة متهاوناً فلا يكفر، هذا تقسيم يخالف الكتاب والسنة، وليس عند الرسول ﷺ متهاون ولا جاحد، بل من ترك الصلاة فقد كفر، هذا رأي ابن تيمية شيخ الإسلام، لأن الرسول ﷺ يقول: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**»[١] الحديث متفق عليه.

ويقول ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[٢]، ويقول في الصحيح: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[٣]، فالتقسيم هذا ليس بصحيح، من تركها فقد كفر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٩٤).

(٢) وأحمد برقم (٢٢٥٥٥)، والترمذي برقم (٢٦٨٩)، وابن حبان في صحيحه برقم (١٦٨٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٠٨)، وأحمد برقم (١٤٦٨٤).

قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، والمفهوم أن من لم يقم الصلاة ويؤتِ الزكاة فلا نخلي سبيله.

قال: «**الصلاة على وقتها**»، يعني الفريضة وأوقاتها معلومة.

(قال: ثم أي؟) يعني: أي العمل يا رسول الله أفضل بعد الصلاة، فيه تقدير.

قال: «**بر الوالدين**»[1]، فقد قرن الله بر الوالدين بطاعته سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وبرهما أن لا يغضبا عليك، إذا رضيت عليك والدتك ووالدك فقد بررتهما، قال العلماء: كان ابن سيرين أبر الناس بأمه، يقولون: ما صعد سطح بيته خوفاً من أن تكون أمه في البيت، يقول: كيف أصعد على ظهر البيت وأمي في البيت؟ هذا من أدبه.

وقالوا: كان الحسن البصري إذا أكل مع أمه ما يأكل من الصّحفة التي تأكل منها، قالوا: لم؟ قال: أخاف أن تقع عيناها أو تريد لقمة فآخذها أنا.

وكان كثير من الصالحين كبعض عباد أهل الكوفة إذا دخل على أمه قبَّل يدها ولا يجلس حتى تجلس أمه ويقف كالخادم على رأسها، وقصصهم في البر كثيرة؛ لأن الأم مهما قدم الإنسان أو فعل فلا يمكن أن يكافئها ولو بجزءٍ من برها، غفر الله لنا ولكم ولوالدينا جميعاً.

قال: «**ثم بر الوالدين**» قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

يقول أهل العلم: لماذا قدم الرسول ﷺ بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله؟

---

(١) هو ما زال بشرح حديث ابن مسعود الذي أوله: «أي العمل أحب إلى الله عز وجل».

قيل لسببين:

السبب الأول: أن الجهاد لا يكون جهاداً إلا بعد إذن الوالدين، فهو يتوقف على إذن الوالدين، فقدم الرسول ﷺ بر الوالدين لذلك.

السبب الثاني: أن بر الوالدين مقرون بحق الله عز وجل، وهو مقدم في القرآن، فتقدم على الجهاد في السنة.

قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(١)، والجهاد في سبيل الله هو لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، لا حماسة ولا دون وطن، ولا دون تراب، ولا دون قوم، ولكن من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، وسئل ﷺ: يا رسول الله، الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ليرى مكانه، أي ذلك في سبيل الله؟

قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل**»(٢).

واستشهد شهيد في عهده ﷺ في الظاهر فقال الصحابة: هنيئاً له الجنة يا رسول الله، قال: «**كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً...**»(٣).

وفي الصحيح أن من الثلاثة الذين من أول من تسعر بهم النار رجل قتل في الظاهر في سبيل الله في المعركة، فجمعه الله وقرره بالنعم وقال له: فيم قتلت؟

قال: فيك يا رب.

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري برقم (١٢٣، ٢٧٤٩، ٣٠٥٨)، ومسلم برقم (٤٨٧٦، ٤٨٧٨).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٩)، وأبو داود برقم (٢٧١٢).

فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: **«إنما قاتلت ليقال جريء وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»**[١].

وبعد أن روى ابن مسعود الحديث قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني، يقول ابن مسعود: حدثني محمد ﷺ في هذا ولو طلبت الزيادة لزادني.

لكن لماذا ما طلب الزيادة رضي الله عنه؟ قال: رحمة وشفقة بالرسول ﷺ، ما يريد أن يكثر عليه السؤال، ولا يريد أن يحرجه بكثرة السؤال، قال: حدثني بهذه الثلاثة، ولو طلبت أن يزيدني لزادني.

وكان الصحابة يشفقون عليه ﷺ ويحبونه حبّاً عظيماً، ويحرصون على راحته ويجلونه، فما بصق في مكان إلا أخذوا بصاقه ودلكوا أيديهم به، لما فيه من البركة، وما توضأ إلا كادوا يقتتلون على وضوئه، ولما حلق رأسه ﷺ كما صح ذلك في منى عند الجمرات تقاسم الصحابة شعر رأسه، منهم من وصلت إليه شعرة ومنهم شعرتان وغير ذلك، وهذا للبركة التي فيه، ليس لعالم، ولا فاضل، ولا فقيه، ولا مفسر، ولا محدث، ولا زعيم، هذه البركة له ﷺ، ولا يجوز أن يتعلق بأحد من الناس غير الرسول ﷺ، فلا تؤخذ ثياب أحد للتبرك بها، ولا مسابحه، ولا شعرة من لحية أحدهم أو من رأسه أو شيء من آثاره، ولا يجوز إلا للرسول ﷺ، وذلك في حياته ﷺ بما جعل الله فيه من البركة، فكانوا يشفقون عليه ﷺ ويلطفون به مع ما جعل الله في قلوبهم من الوقار له.

قال البخاري: باب من أحق الناس بحسن الصحبة.

يتساءل ويقول: من هو القريب وأحق الناس بحسن الصحبة؟ من هو الأولى أن تصحبه صحبة جيدة؟

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧٩)، وأحمد برقم (٨٢٢٩).

قال رحمه الله: حدثنا قتيبة بن سعيد العلَم عند أهل الإسلام: كلمة (حدثنا)، تساوي الأرض بما فيها ذهباً وفضة، هذا هو العلم الخالد.

العلم ما قال فيه قال حدثنا ما سوى ذاك وسواس الشياطين

وحدثنا وأخبرنا عند البخاري سواء، إذا قال أخبرنا فهي مثل حدثنا، ولكن عند غير البخاري كمسلم وغيره يقولون: حدثنا إذا سمع من الشيخ، إذا حدثك الشيخ قل حدثنا، وإذا قرأت أنت الكتاب عن الشيخ قل أخبرنا، هذا هو الفرق بين البخاري وغيره.

قال: حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا جرير يعني ابن عبدالحميد قال: حدثنا عمارة بن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟**» يقول: من أحق الناس بحسن صحابتي صحبة جيدة؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»[1]، ورد مرتين أمك أمك في رواية اللّيث، والصحيح ثلاث مرات.

وفيه إعراب آخر قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك، كيف نصبها؟ قالوا: على تقدير فعل محذوف تقديره: بر أمك، ثم بر أمك، ثم بر أمك، ثم بر أباك، فننصب المفعول به، هذا هو الصحيح في هذه المسألة.

وفيه قضايا:

قوله: «**من أحق الناس بحسن صحابتي**»، مر معنا من قبل أن للوالدة ثلاثة أرباع الحق، وقال الليث: لها ثلثا الحق؛ لأن رواية الليث

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٣٤)، ومسلم برقم (٦٤٥٢).

فقط تكرارها مرتين، ولكن الصحيح ثلاثة أرباع الحق من البر والأدب يكون للوالدة وربعه للوالد، لأن الوالد ما تعب كما تعبت الوالدة من الحمل والرضاع والتربية والشفقة والحنو والرحمة وغير ذلك.

قال: «**ثم أبوك**»، وورد: «**ثم أدناك أدناك**»[١]، عند مسلم، وورد: «**ثم الأقرب فالأقرب**»[٢]، وهذه الأولويات في البر أن تبدأ بالأم، ثم الوالد، ثم الأقرب فالأقرب وهكذا.

قال رحمه الله: باب: لا يجاهد إلا بإذن الأبوين.

يعني: باب لا يجاهد الابن إلا بإذن الأبوين، هذا هو الصحيح الذي لا معارض له، وليس للمسلم أن يخرج في سبيل الله إلا بعد إذن الوالدين، وإذا كان الأب حياً فيستأذن، أو الوالدة، أو أحدهما، لا يخرج حتى يستأذن والديه.

وفي سورة الأعراف يقول العلماء: أهل الأعراف الذين في الجبال بين الجنة والنار أنهم شهداء، وما أدخلهم الجنة لأنهم ما استأذنوا والديهم، لكن جعلهم الله في مكان بين الجنة والنار، هذا رأي لبعض العلماء.

والصحيح في أهل الأعراف أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فسكنوا الأعراف.

قال: حدثنا مسدد، هذا شيخ البخاري وهو مسدد كاسمه، يعني سدده الله عز وجل في الكلام والروايات، وعند مسلم في الصحيح يقول ﷺ لعلي: «**يا علي قل: اللهم اهدني وسددني**»[٣]. والذهبي

---

(١) عند مسلم برقم (٦٤٥٣).
(٢) عند أحمد برقم (١٩٦٥٠، ١٩٦٧٠)، والترمذي برقم (١٨٩٨)، وأبو داود برقم (٥١٣٤).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٦٨٦١)، وأبو داود برقم (٤٢٢٥)، وأحمد برقم (١٣٣٣).

يروي أن أحدهم يذكر أن مسدد هذا مولى من الموالي لكن أسعفه الله بالعلم، كان عبداً، لكن رفعه الله سبحانه وتعالى، وأصبح عالماً من علماء الدنيا، شيخ البخاري، لأن هذا الدين لا ينظر للأُسر والأنساب، ولا ينظر للعشائر ولا للمناصب ولا للوظائف، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣].

قال: حدثنا يحيى، يحيى هذا الراجح أنه يحيى بن سعيد القطان. يحيى بن سعيد ثلاثة: يحيى بن سعيد الأنصاري ثقة، ويحيى بن سعيد المصري وفيه كلام، ويحيى بن سعيد القطان هذا.

عن سفيان، سفيان الثوري أبو سعيد ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ عالم الدنيا المجاهد الفذ، البطل أمير المؤمنين في الحديث، منْ مثل سفيان الثوري؟

يقول الإمام أحمد: لا يسكن قلبي بعد الصحابة مثل سفيان الثوري، يعني ما ينزل له مكانة في قلبي بعد الصحابة مثل سفيان الثوري.

كان مجاهداً، يقولون كان يسهر الليل من صلاة العشاء لصلاة الفجر في ترداد سورة واحدة.

يقول أحد تلاميذه: ناولته المطهرة، يعني إبريقاً يتوضأ به بعد صلاة العشاء ليوتر، قال: فناولته فأخذ الميضأة من يدي، وأخذ يقول: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزّلزَلة: ١]، قال: فذهبت ونمت وأتيت لصلاة الفجر وقد تركته بعد العشاء ووجدته يرتعد ويقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزّلزَلة: ١]، قلت: أنت واقف من ذاك الوقت؟ قال: نعم والله أتذكر يوم القيامة إلى هذا الوقت!!

ونام عند أحد أصدقائه فأخذ يتقلب في فراشه ـ كما ذكر من ترجم له ـ حتى الصباح، ما أتاه النوم. مسافر متعب، مع ذلك لم

ينم. فقال له صاحب البيت: ما لك لا تنام يا أبا سعيد؟

قال: أردت أن أرقد فتذكرت يوم يجمع الله الأولين والآخرين فطار النوم من ذهني.

ويقولون: من خشية الله أنه كان يخرج مع بوله فتات كبده حتى يقول الطبيب: هذا الرجل لا يعيش كثيراً من الحزن فمات بعد أيام، رحم الله سفيان الثوري ما أصدقه، وكم له من قدم صدق؟ وجمعنا الله به في دار الكرامة.

قال: حدثنا حبيب (ح) يعني تحويل، تحوّل السند.

قال: وحدثنا محمد بن كثير قال: أخبرنا سفيان عن حبيب عن أبي العباس عن عبدالله بن عمرو قال: قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد يا رسول الله؟

فقال الرسول ﷺ: «**لك أبوان؟**»

قال: نعم.

قال: «**ففيهما فجاهد**»[1].

يقول: أجاهد وأخرج معك، قال: «**عندك أبوان؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**» وهذا شأن عجيب، الوالد في البيت والأم يحتاجان إلى أن تجاهد فيهما كما جاهدا.

كيف يخرج إلى الجهاد رجل عنده أبوان شيخان كبيران في البيت يريدان لطفه؟ إن توصيلك لوالدك إلى سيارته وخدمتك له يعادل عبادة سنوات من النوافل.

يكفي أن تقف بالكوب على رأس والدك، أو تغطيه، أو تطعمه،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٣٥)، وأبو داود برقم (٢٥٣٠).

أو تخدم الوالدة ولو غسلت قدميها، ولو غيرت ملابسها، كان لك الشرف العظيم في الدنيا والآخرة، فيا مسلماً ويا شاباً، اغتنم بر الوالدين.

صح عنه ﷺ أنه قال: «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغف أنف**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة**»[1]، يعني التصق أنفه بالرغام بالتراب، لأنه لا يستأهل الكرامة، لأنه أدرك أحد الوالدين ثم لم يدخل الجنة.

كان سالم بن عبدالله بن عمر يبر أباه كثيراً.

يقولون: كان إذا أراد أبوه أن ينزل من على الفرس احتضنه سالم وأنزله، وإذا أراد أن يجلس خلع حذاءه وأجلسه، وإذا أراد أن يقوم قام أمامه وأخذ الحذاء وألبسه إياه. هذه أخلاق أبناء الصحابة رضي الله عنهم، هذا هو الشباب المسلم الذي يعرف للوالد حقه.

وفي هذا العصر نجد من يتشبه بهؤلاء الأخيار، فمنهم من يغسل كف أبيه، ومنهم من يطيّب كف أبيه ويقبلها، ويدخل الحذاء في رجلي أبيه، ويفتح له باب السيارة ويجلسه ثم يغلق عليه الباب، ويسبقه في النزول ليأخذ يده فينزله إن كان شيخاً لا يستطيع النزول، ويفرش له السجادة في المسجد، ويتحفه بالهدايا، وهذا من تربية الإسلام وتعاليمه.

ولكن كثيراً من الشباب ليسوا على هذه الصفات، ما دخل الإيمان قلوبهم، حتى بلغ ببعضهم كما حدثنا بعض الإخوة أن أحدهم ضرب أباه، ومنهم من ضرب أمه، حسيبه الله، ما تربى على الإيمان، وما عرف القرآن.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٤٦٢)، وأحمد برقم (٨٥٠٥).

قال البخاري: (باب لا يسب الرجل والديه)، تبويب البخاري لا يخلو من فوائد حتى قال بعض العلماء: إن فقه الإمام البخاري يتبين من تبويبه.

قال: (باب لا يسب الرجل والديه)، ويترك لك البخاري جوابات واستفهامات بعد الباب لتفكر أنت بعقلك في أي حديث سوف يأتي به؟ وهل هناك رجل يسبّ والديه؟

ثم أسند البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسبّ أمه**»[1]، أي بلاغة في هذا الكلام! ولكن فيه قضايا:

القضية الأولى: إثبات الكبائر والصغائر، فأهل السنة يثبتون ذنوباً كبائر وصغائر في الإسلام، لكن اختلفوا في تعريف الكبيرة والصغيرة، وسوف أورد بعض أقوالهم، ثم أورد الراجح إن شاء الله.

منهم من قال: الكبيرة كبيرة نسبية، يقولون: كلّ الذنوب كبائر عندهم، ولكن لما هو أصغر منها، فكل ذنب طالما أن هناك ما هو أصغر منه فهو يعتبر عند هؤلاء كبيرة، هذا قول.

القضية الثانية: كلّ ما ترتب عليه حد من الحدود فهو من الكبائر، وما سواه لا.

القضية الثالثة: الكبيرة ما نصّ الله عليها أو رسوله، وما سواها فصغيرة.

والقول الصحيح أن الكبيرة ما ورد فيها حد وتوعّد الله عليها

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٣٦)، وأبو داود برقم (٥١٣٦).

بعذاب أو لعنة فهي كبيرة، هذا هو الصحيح.

وهل هي سبع؟ الصحيح أنها أكثر من سبع، أما قوله: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»[١]، فهذا عدد لا يقتضي الحصر، لأن هناك غيرها.

وقال ابن عباس: هي أقرب إلى السبعين منها إلى السبع، وبعضهم من المحدثين أوصلها إلى المائة كبيرة.

والكبيرة لا بد من التوبة منها، لأن الرسول ﷺ يقول: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[٢] ويقول ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر**»[٣] تبين أن الكبيرة لا تكفرها هذه الطاعات إلا بالتوبة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النِّساء: ٣١]، بين أن من اجتنب الكبائر كفر الله عنه الصغائر بالمكفرات من الأعمال الصالحة. هذا ما قيل في الكبيرة.

وعن أبي بكرة في الصحيحين قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**ثلاثةً: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين** ـ وكان متكئاً فجلس ـ قال: **ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٤]. إذاً من الفوائد أن الكبائر لا بد فيها من التوبة وأنها لا تكفي فيها الأعمال الصالحة فقط، بل لا بد للمسلم أن يتوب إلى الله.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٠٧، ٦٧٠٥)، ومسلم برقم (٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧٥٢)، ومسلم برقم (٣٢٤٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٥٠٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٨٣٩)، ومسلم برقم (٢١٩).

أما الصغائر فيكفرها الوضوء، تكفرها الصلاة، تكفرها الصدقة، أما الكبائر فيا إخواني في الله لا بد فيها من التوبة: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: ٣١]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥].

ومن الفوائد أيضاً أن النبي ﷺ سمّى المتسبب في سب والديه سابّاً لهما، قال ﷺ: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**»، وليس هناك إلا في القليل النادر من يلعن والديه، لكن من سب أو لعن آباء الناس لعن الناس والديه، فهو السبب في لعن والديه، فكأنه لعنهما مباشرة والعياذ بالله.

قال: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ هل هناك أحد يلعن والديه؟ قال: «**يسبّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسبّ أمه فيسب أمه**»، هذا هو اللعن.

قال أهل العلم: هذا يقتضي أن من تسبب في إثم أو ذنب أو قطيعة فهو كالفاعل مباشرة، وذلك كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعَام: ١٠٨]، لا يجوز لك إذا علمت أنهم سوف يسبون الله أن تسب الأصنام أو تسب رؤوس الكفرة والطواغيت، كأن تأتي إلى رجل كافر فتسب طاغوته أو زعيمه وأنت تعرف أنه سوف يسبّ زعيمك، يسب رسول الله ﷺ، أو يسب الله، حرام عليك أن تسب آلهته وزعماءه وطاغوته، لأنك متسبب في سبه سبحانه وتعالى، وكذلك لعْن الوالدين، لعن والد الأجانب من أكبر الكبائر، لأن هذا مجرم تسبب في لعن والديه، فالناس يردّون بمثل ما قال، ومن رجم أبواب الناس رجموا بابه، ومن سب الناس سبّوه وآذوه.

قال أهل العلم: وليس النهي مقصوراً على اللعن فقط، بل يحرم سبّ الغير وشتمهم بأدنى الشتائم، لأنك إن فعلت ذلك مع الناس نالوا من أبيك وأمك ولو بأقل السبّ، فتكون متسبباً في ذلك، فينالك الإثم والذنب العظيم.

قال البخاري: (باب إجابة دعاء من بر والديه)، ثم ساق البخاري رحمه الله الحديث الطويل في الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة. والشاهد قول أحدهم: **اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل أولادي، وإنه نأى بي الشجر، ثم أتيت حين أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب، فقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي من الجوع، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء**[1].

هذا صنف واحد أجاب الله دعوته بسبب بره لوالديه.

يقولون: أقرب الناس استجابة من برَّ والديه، وقد رأينا من بعض أولياء الله والفضلاء من يدعو فتجاب دعوته كفلق الصبح بسبب بره لوالديه، وبسبب احترامه لوالديه، وبسبب خدمته لوالديه، تأتي مثل فلق الصبح.

ومن أسباب إجابة الدعاء أمور ـ أيها الإخوة الفضلاء ـ أعظمها بعد الإيمان بالله عز وجل المطعم الحلال، قال ﷺ لسعد: «**أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»[2]، وفي صحيح مسلم: «**ذكر**

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الطبراني في الصغير. انظر (مجمع الزوائد رقم ١٠١٨١).

الرسول ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له»(١)، كآكل الربا لا تفتح له أبواب الإجابة، يقول: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، فأنى يستجاب له، كيف يستجيب الله له، وأكله حرام؟

فالشاهد هنا أن من بر والديه أجاب الله دعوته، أما حديث علقمة فلا تصح قصة علقمة أنه كان له أم، وكان يقدم زوجته عليها، فلما أتته سكرات الموت ما استطاع أن يقول لا إله إلا الله، فأخبر الرسول ﷺ فسأل: هل له أم؟ فأخبر أنه عاق لأمه وجمعوا حطباً له ليحرقوه، فقالت أمه: عفوت عنه فتشهد وقال: لا إله إلا الله.

هذه قصة لا تصح، وليس لها أصل، ولا ينبغي أن تروى إلا بالتنبيه على وضعها وكذبها، وأنها ليست بثابتة.

قال البخاري: (باب عقوق الوالدين من الكبائر)، قاله ابن عمر عن النبي ﷺ. هذا تعليق البخاري، والبخاري له عجائب في التبويب، مرة يبوب بحديث، ومرة يبوب بحديث ليس في الباب، ومرة يأخذ من الحديث، ومرة يأتي بباب مما استفاده واستنبطه من ذهنه رحمه الله رحمة واسعة.

وروى بإسناده عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: **«إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»**(٢).

قال البخاري... عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٦)، والترمذي برقم (٣٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٦)، ومسلم برقم (٤٤٣٧).

قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**ثلاثة: الإشراك بالله**» أعظم الذنوب الإشراك بالله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨]، ومن أشرك بالله خرج من دين الله وأصبح دمه وماله وعرضه حلالاً، وهو كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٥، ٦٦].

قال ﷺ: «**وعقوق الوالدين**»، وتقدم أن العقوق من العق وهو القطع، فقاطع والديه سمي عاقّاً، لأنه قطع ما بينه وبين الوالدين من الصلة.

قال أبو بكرة: (وكان متكئاً) الاتكاء هو الميل على أحد الجانبين، إما الميمنة وإما الميسرة، والاتكاء سنة من سننه ﷺ إلا عند الأكل، ويلحق بعض العلماء به الشرب لما صح عنه ﷺ أنه قال: «**إني لا آكل متكئاً**»[1].

ويلحق بذلك الشرب، لا يشرب المسلم متكئاً، لأن فيه كبراً، المتكبر تجده دائماً متكئاً في أكله ومشربه لكبر نفسه وعتوه، أما الرسول ﷺ كان يتكىء في غير أوقات الأكل، ربما اضطجع أحياناً وربما اضطجع على ظهره، وجعل إحدى رجليه على الأخرى، وربما جلس القرفصاء أو احتبى ﷺ، وربما جلس كهيئة التشهد في بعض الأوقات.

الخطابي يقول: الاتكاء هو الاضطجاع على الظهر، وهذا ليس بصحيح، بل الاتكاء كما قال كثير من العلماء: الميل على اليد اليمنى

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٧١)، وأبو داود برقم (٣٧٦٩)، والترمذي برقم (١٨٣٢).

أو اليسرى، قال: كان متكئاً فجلس وقال: «**ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**».

وقول الزور مقرون بالشرك وعبادة غير الله، كما قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحجّ: ٣٠].

شهادة الزور فيها سيئات:

أولها: تضليل للقضاة.

ثانيها: سلب أموال الناس بالباطل.

ثالثها: ظلم صاحب الحق وإيقاع الأذى به.

ومن فعل ذلك فقد باع نصيبه من الله، وقد ارتكب إحدى الكبائر التي ما يكفرها إلا التوبة.

قال ﷺ: «**ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور، ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور**»، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت ـ وفي رواية صحيحة ـ حتى قلنا: ليته سكت. والمعنى: يا ليتنا ما أزعجناه، يا ليته سكت ما أتعب نفسه إشفاقاً عليه ﷺ.

وروى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، أو سئل عن الكبائر فقال: «**الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين**»[1]، قتل النفس المعصومة لا قتل الكافر، لأنه كما في الحديث الصحيح: «**لا يحل دم امرىءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[2]. هذه ثلاث يحلّ دم المسلم بها، أما غيرها فلا يحل، أما الكافر فقتله معروف.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٤٠)، ومسلم برقم (٢٢٠، ٢٢١).

(٢) رواه مسلم برقم (٤٣٢٩)، وأبو داود برقم (٤٣٤٨)، والترمذي برقم (١٤٠١).

وروى البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه قال: أخبرتني أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «أتتني أمي راغبة»، قيل: راغبة في الإسلام، وقيل: راغبة في العطاء، أمها كانت مشركة في مكة أتتها في المدينة في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ عن وصل أمها وهي على هذه الحال من الشرك فقالت: «يا رسول الله أصل أمي؟».

لا إله إلا الله! دين فصل بين الوالد وبين ابنه، لما أعرض الوالد وأسلم الابن، أعرض هذا عن هذا، أبو عبيدة ذكر عنه أنه قتل أباه لأنه كان مشركاً، وكذلك كان الأخ يتبرأ من أخيه لأنه أعرض عن الحق وآثر الحياة الدنيا.

إن يختلف ماء الوصال فماؤنا   عذب تحدر من غمام واحد
أو يختلف نسب، يؤلف بيننا   دين أقمناه مقام الوالد

قالت: أَصِلُها؟ قال: «**نعم**»، وفي رواية: «**نعم صلي أمك**»[1]، هذا من باب صلة الأم المشركة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [المُمتَحنَة: ٨]، وقال سبحانه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمَان: ١٥]، ولو كانت مشركة.

وقيل: **الأولى التي ذكر البخاري رحمه الله في أول الباب، وهي قوله تعالى**: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العَنكبوت: ٨] نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأرضاه، كانت له أم فلما أسلم تركت أمه الطعام، عملت إضراباً عن الطعام. معنى ذلك أن الإضراب عن الطعام كان في عهود الجاهلية، والإضراب عن الطعام ليس من الإسلام، والذين ينقلون عن بعض الجهات الإسلامية أنهم يضربون عن الطعام هذا خلاف السنة، وهو من أفعال الجاهليين.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٦٩، ٣١١٤، ٥٨٤١، ٥٨٤٢)، ومسلم برقم (٢٢٧٧، ٢٢٧٨).

فأتت أم سعد بن أبي وقاص فتركت الطعام وحلفت باللات والعزى ما تأكل ولا تشرب حتى يرجع ابنها عن الإسلام إلى دين الشرك.

قال: يا أماه كلي، يا أماه اشربي، حاول وحاول، فرفضت، فقال لها: والله الذي لا إله إلا هو، لو كان لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً واحدة واحدة ما تركت ديني طرفة عين، فكلي أو اتركي، فلما أحست الجوع أكلت، وقيل: أسلمت، وقيل: لم تسلم، وقال ابن حجر: لا أدري أسلمت أم لا. واسمها حمنة.

قال رحمه الله: باب صلة المرأة أمها ولها زوج. وتبويبه كما مر معنا على هذا الطراز، مرة يعجم التبويب حتى يترك الإجابة لأهل العلم، ومرة يأخذ حديثاً ليس على شرطه فيجعله باباً، ومرة يجتزىء بعض الأحاديث من الصحاح من المتن فيجعلها باباً، ومرة يستفهم ويتركك بلا جواب حتى تعمل نظرك أنت في ذلك، وهذا يدل على ذكاء وفطنة وفهم.

وروى البخاري بسندٍ آخر عن هشام بن عروة عن أبيه أن أسماء قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم ـ إذ عاهدوا النبي ﷺ مع أبيها ـ فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، قال: «**نعم صلي أمك**»(١).

في الحديث قضايا: قوله: (أسماء)، وهي بنت أبي بكر الصديق أخت عائشة رضي الله عنها وعن أختها وعن أبيهم، وهي ذات النطاقين في الجنة، وهي أم عبدالله وزوجها الزبير بن العوام حواري الرسول ﷺ.

وقولها: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم. هذا

(١) سبق تخريجه ص١٠١.

في رواية الليث ولم تأت في رواية الحميدي بهذا السياق، قال ابن حجر: هي من رواية الليث وانفرد بها.

قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم، والظاهر بل هو إن شاء الله الصحيح، أن أمها غير أم عائشة، فهي أخت عائشة من أبيها أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وأسماء هذه ماتت كبيرة مسنة بعد أن عمرت بعد قتْل الحجاج، وقد استدعاها الحجاج بعنف وغلظة في مكة وأغلظ لها القول فقالت: سمعت الرسول ﷺ يقول: «**يخرج من ثقيف كذاب ومبير**»[1]، فأما الكذاب فقد عرفناه، وأما المبير فأنت، والكذاب هو المختار بن عبيد الثقفي، والمبير يعني المهلك السفاح، وهو الحجاج، فتهيَّب منها لمنزلتها في الإسلام.

قالت: «في عهد قريش ومدتهم»، أي: في مدة المعاهدة التي عاهدوا الرسول ﷺ في الحديبية.

ومن بنودها: أن توضع الحرب عشر سنوات بين الرسول ﷺ وبين قريش، وإذا قدم رجل من قريش للرسول ﷺ مسلماً ردَّه، وإذا قدم أحد المسلمين إلى قريش لا يردوه. وفي الظاهر أنها مجحفة بجانب الرسول ﷺ، ولذلك تبرم عمر من المعاهدة وما رضيها، لما في ظاهرها من شروط مجحفة للمسلمين، ولم يعرف ما وراءها من الفتح والنصر، ثم تاب واستغفر مما عارض به رسول الله ﷺ.

فأتت الأم المشركة إلى أسماء هذه.

وفي الحديث قضايا:

القضية الأولى: هل تستأذن المرأة زوجها إذا أرادت أن تتصدق؟

القضية الثانية: هل تصل المرأة أمها وهي مشركة؟

---

(١) أخرجه الحميدي في مسنده برقم (٣٢٨)، وانظر: مجمع الزوائد برقم (٧٨٠٢١).

القضية الثالثة: جوابه ﷺ هل هو قاعدة عامة لكل حدث في مثل هذا وأمثاله؟ هذا ما سوف نعرفه في هذا الحديث إن شاء الله.

أما الأولى: فاستدل أنها لا تستأذن زوجها؛ لأن زوجها كان حيّاً وهو الزبير، فما ذكرت زوجها في الحديث، وذهبت إلى الرسول ﷺ تستفتيه فأفتاها أن تصل أمها، وما قال لها أن تستأذن زوجها، والحكم الذي يؤخذ أن يحق للمرأة أن تنفق دون أن تفسد مال زوجها بغير إذنه بشرط ألا تفسد ماله، لها أن تتصدق وتنفق على نفسها وعلى أطفالها. ويدل على ذلك أيضاً حديث هند بنت عتبة في الصحيحين أنها قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان - تعني زوجها - رجل شحيح - بخيل - فهل علي إذا أنفقت على نفسي وأولادي إثم؟ فقال ﷺ: «**خذي أنت وبنيك بالمعروف**»(١)، أو أنفقي بالمعروف. والمعروف هو الذي يعرفه الناس أنه لا يفسد المال، وهذا أصل وسوف أعود له.

أما الثانية: أن للمرأة أن تصل أمها المشركة من باب قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]. وقال بعض العلماء: إذا كانت تطمع أن تسلم هذه المشركة، فإن في قولها: «قدمت علي وهي راغبة» قيل: راغبة في الإسلام، وقيل: راغبة في المال، وسواء كانت راغبة في الإسلام أو المال فإنها تنفق عليها، فقد أقرها ﷺ بما فهم ﷺ من السؤال، قالت: فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، ويعرف ﷺ أنها مشركة.

فقالت في الحديث الأول حديث الحميدي: «فهل أصِلُها»؟ قال: «**نعم صلي أمك**»، والصلة هي ما يتحف الأم أو ما يتحف الرحم من مال أو عطاء أو هدية أو نحو ذلك.

وهذا من المعروف سواء قدمت راغبة أو لم تقدم راغبة

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٣٧، ٥٢٤٣)، ومسلم برقم (٤٤٣٣، ٤٤٣٤).

للمعروف، وإذا قدمت راغبة في الإسلام فمن باب أكثر.

ويقاس على ذلك صلة القريب مهما بعدت قرابته إذا كان يطمع في إسلامه، وكذلك الرجل المدعو إذا كان فاجراً معرضاً عن الله لكن له رغبة في الاستقامة، أو كافراً له رغبة في الإسلام، فإن لك أن تصله بالمال كما فعل ﷺ بكفار العرب لما أعطاهم مائة ناقة فرغبوا في الدين فدخلوا في دين الله أفواجاً، هذه هي مسائل الحديث.

ومنها أن البخاري يأخذ بالعمومات، وهذه قاعدة، البخاري يأخذ بالعموم أكثر من الخصوص، ويأخذ بالمطلق أكثر من المقيد، وقد ذكر ذلك صاحب كتاب توجيه القارىء نقلاً عن ابن حجر في فتح الباري.

وروى البخاري عن عبيدالله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن ابا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه فقال: فما يأمر؟ - يعني النبي ﷺ - فقال: يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف.

البخاري أدخل هذا الحديث في العموم. وقصة أبي سفيان مع هرقل هي في أوائل الأحاديث في أول صحيح البخاري، رحم الله أبا سفيان.

والسبب في القصة أنه لما هادن ﷺ وصالح الكفار في الهدنة المكاتبة ذهب أبو سفيان حتى وصل إلى الشام تاجراً هناك، فرأى هرقل في المنام أن زوال ملكه على نجم من النجوم نجم الختان، فسأل وزراءه في الصباح قال: أي الأمم تختتن؟ لأنه يعرف أن الأمة التي تختتن هي التي سوف تزيل ملكه، وهذه أمة العرب لما أسلمت هي التي أزالت ملكه وأتت بالخير فنسفت كيانه، وأتى خالد بن الوليد فدمر عرشه بجيش جرار يحمل لا إله إلا الله محمداً رسول الله.

قال لوزرائه والقساوسة: أي الأمم تختتن؟

قالوا: العرب، أما اليهود فلا يختتنون، والنصارى لا يختتنون، والمجوس لا يختتنون.

قال: اذهبوا إلى السوق فائتوني بالعرب أسألهم عن هذا النبي الذي ظهر في مكة، فذهبوا فوجدوا عدو الرسول ﷺ حينذاك أبا سفيان في السوق يبيع ويشتري.

قالوا: أنت عربي؟

قال: نعم عربي.

فأخذوه والوفد الذي معه عنوة وبالقوة، وأركبوه على الخيول وفروا به حتى أدخلوه على هرقل، وكان هرقل ملكاً عظيماً عنده القساوسة والوزراء، وعنده الجيش والحشم والسيوف.

فقال هرقل ملك الروم لأبي سفيان وبينهما مترجم، فقال للمترجم: سلهم أيهم أقربهم نسباً من النبي ﷺ.

قال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً من محمد ﷺ، وصدق، فإنه هو والرسول ﷺ أبناء عمومة لكن محمداً ﷺ أشرف منه نسباً، فهو من بني هاشم، وذاك من بني عبد شمس.

قال: أدنوه مني. فدنا، فأجلسه والوزراء عن يمينه ويساره، والقساوسة.

قال للمترجم: قل له أني سوف أسأله عن محمد فلا يكذبني، فإذا كذب فكذبوه حتى أسمع.

قال أبو سفيان: فلولا أن يأثروا عني الكذب لكذبت، لأنه عدو وهو لا زال مشركاً آنذاك ما أسلم.

فلما أجلسوهم أي العرب وراء أبي سفيان بدأت الأسئلة قيل: سبعة أسئلة، وقيل: ثمانية، سأله عن نسبه، وهل من آبائه ملك؟ وكيف الحرب معه؟ وهل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم، وهل يعود أحد إذا دخل في دينه وإسلامه؟ إلى غير ذلك من الأسئلة.

فبدأ يجيب أبو سفيان إجابات واضحة، فلما انتهى أخبره هرقل أن النبي ﷺ سوف ينتصر ويملك مكان قدميه، وبالفعل بعد سنوات معدودة ملك محمد ﷺ مكان قدميه، ثم أمر بإخراج أبي سفيان ومن معه، قال أبو سفيان: فسمعنا اختلاف الأصوات وكثرة اللغط في القصر، فقال: لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر[١].

قلت: والشاهد من الحديث هو ما ورد ضمن الأسئلة وهو قول هرقل لأبي سفيان: فماذا يأمركم؟ قال: يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة[٢]، والشاهد للبخاري (الصلة). والصلة هنا مطلقة للمسلمين وغير المسلمين، لأن صلة الرحم واردة وهذه انتزعها البخاري من هذا الحديث.

ثم قال رحمه الله: باب صلة الأخ المشرك، وأسند عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأى عمر حلة سيراء تباع، قال: يا رسول الله ابتع هذه والبسها يوم الجمعة، وإذا جاءك الوفود، قال: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له**»، فأتي النبي ﷺ منها بحلل، فأرسل إلى عمر بحلة فقال: كيف ألبسها؟ وقد قلت فيها ما قلت؟

قال: «**إني لم أعطكها لتلبسها، ولكن تبيعها أو تكسوها**»، فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم[٣].

وفي رواية أخرى أن عمر اشترى حلة وذهب بها إلى الرسول ﷺ وقال: يا رسول الله خذ هذه الحلة تلبسها للوفود وتلبسها للمناسبات والأعياد، لأن الأصل للمسلم أن يتجمل في المناسبات، وعند مسلم

---

(١) أخرجه البخاري بطوله برقم (٧)، ومسلم برقم (٤٥٦٢).

(٢) هذا الجزء من الحديث الطويل ذكره البخاري برقم (٥٨٤٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٩٨٧، ٥٧٠٧، ٥٨٤٤)، ومسلم برقم (٥٣٥٦، ٥٣٥٨، ٥٣٥٩).

في الصحيح: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[1]، ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

فقال ﷺ لعمر: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له**»، هذه لا يلبسها مسلم، هذه لا يلبسها من له نصيب عند الله من الآخرة، يلبسها المشرك، أما المسلم فحرام عليه أن يلبس الحرير.

فأخذها عمر وردها، وبعد فترة دعا ﷺ عمر وأعطاه حلة من حرير وقال: خذ هذه الحلة هدية.

قال: يا رسول الله، كيف آخذها وأنت قلت في حلة عطارد بن حاجب التي شريتها لك ما قلت؟ قال: «**ما أعطيتك إياها لتلبسها، وإنما لتبيعها أو لتكسوها**»، فأخذها عمر فكساها أخاً له كان مشركاً[2].

في الحديث قضايا: ما هي الحلة؟ الحلة لباس كالجبة تصل إلى منتصف الساقين، أو دون ذلك، وقد تكون مخططة، وقد لبس الرسول ﷺ الحلل، لكن ما كانت حريراً، ولبس البرد الحبرة وهو أحسن الحلل، وكانت حلته حمراء مخططة، أما الأحمر الخالص الأحمر السادة فلبسه حرام لا يجوز، إنما نلبس المعلَّم بالأحمر، لأنه لبسه ﷺ كما في حديث البراء، وكان ﷺ يلبس للأعياد والمناسبات لباساً جميلاً.

البس لكل حالةٍ لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها

في الجهاد لبس درعاً، وأخذ سيفاً ورمحاً، وفي المناسبات لبس حللاً ولبس الرخيص والغالي ﷺ، وقد أهدى له بنو تميم، لما وفدوا عليه ليسلموا، حلة قيمتها مائة ناقة، فأراد أن يطيب بالهم فلبسها ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٥)، والترمذي برقم (٢٠٠٥)، وأحمد برقم (٣٧٨٨).
(٢) هذه الرواية برقم (٨٧٥).

ولم تكن محرمة آنذاك، فعجب الصحابة لأنها كانت تبرق بريقاً والصحابة لم يروا هذه الألوان فأخذوا يمسحونها ويقولون: سبحان الله! ما هذه يا رسول الله؟ فيقول: **«أتعجبون بها؟ والذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ خير منها في الجنة»**[١]، وسعد بن معاذ الشهيد الذي قتل في سبيل الله، واهتز له عرش الله يقول: المناديل التي للعرق فقط خير من هذه الحلة التي بمائة جمل، ثم خلعها ﷺ كالكاره لها وقال: **«إنما يلبس هذه من لا خلاق له»**.

قال: رأى عمر حلة سيراء، السيراء: المخططة التي من حرير أو ديباج تباع ـ وفي رواية: أنه شراها عمر وأهداها للرسول ﷺ ـ وفي رواية: أنه قال: يا رسول الله اشتر هذه للوفود وللأعياد، ولا يمنع هذا.

فقال: يا رسول الله ابتع هذه ـ يعني اشترها، معنى ابتع اشترِ ـ والبسها يوم الجمعة، لأنه يوم عيد وزينة، ومن السنة أن تلبس يوم الجمعة أحسن لباس عندك، وأن تغتسل وأن تتطيب، وأن تقدم السواك وأن تبكر، هذه من اللطائف والاستطرادات، وإذا جاءك الوفود تحمَّل.

وفي حديث حسن عنه ﷺ أنه قال: **«تجملوا حتى تكونوا كأنكم شامة في عيون الناس»**[٢]. والمسلم لا يقتصر من اللباس على ما يزري به، والإسلام لا يعترف بالدروشة، **«إن الله جميل يحب الجمال»**، وعند البيهقي بسند صحيح: **«إن الله يحب إذا أنعم على عبده أن يرى أثر نعمته عليه»**[٣]، أما أن يخفي الإنسان النعم ولا يظهرها فهذا من جحود النعم، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى: ١١].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٢)، ومسلم برقم (٦٣٠٤).

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٠٨٩)، وأحمد برقم (٧١٢٩٥)، والحاكم برقم (٧٤٤٥).

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٩٥٥٨)، والبيهقي في السنن برقم (٦١٢٣).

ومن التحديث بالنعمة أن تظهرها وتلبسها وتقول: هذا فضل الله، وهذا خير الله، بشرط ألا تتكبر بها، ولا تعجبك نفسك، هذا هو الصحيح.

قال: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له**»، الخلاق: النصيب والحظ، ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٠]، أي من نصيب.

فأتي النبي ﷺ منها بحللٍ، فأرسل إلى عمر بحلة فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم، شاهد البخاري هذه الكلمة.

ويؤخذ من هذا أن الرسول ﷺ علم بذلك فأقره، وربما كان دليل البخاري بأن عمر من الخلفاء الراشدين الذين يعمل بأقوالهم وأفعالهم إذا لم تخالف السنة، وفي الحديث: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[1]، ونأخذ من ذلك درساً اجتماعياً أن لنا أن نصل إخواننا إذا كانوا معرضين عن الطاعة، إذا كانت هذه الصلة تحبب إليهم الإسلام، وتحبب إليهم الطاعة، فنهدي لهم هدية، ونصلهم ونتحبب إليهم.

وهذه طريق من طرق الدعوة، طريقة الهدية والزيارة والعزيمة والمعانقة والبشاشة من أعظم طرق الدعوة وأجداها، لأنها مما يحبب فيك الناس، ويقربهم إليك، ويجعلك قريباً من قلوبهم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

قال البخاري: باب فضل صلة الرحم، أي ما ورد فيها من فضل من الآثار، والبخاري يروي النصوص ما يأتي بشيء من كيسه، كلها من ميراث محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٥٩٩)، والترمذي برقم (٢٧٤٦)، وأحمد برقم (١٦٨١٨).

روى عن أبي أيوب قال: قيل يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، الحديث. ساق الحديث مختصراً للعلم به ثم أتى بطريق أخرى عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ما له، ما له؟ يعني متعجبين.

فقال النبي ﷺ: «**أرب ما له؟**» ثم قال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»(١).

وسوف أشرح مجمل الحديث بإيجاز:

كان ﷺ على راحلته يمشي، قيل في منى وهو الراجح، فتقدم أعرابي فأخذ بخطام ناقته ﷺ وزمامها وأمسكها، وقال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال الصحابة: ما له ما له؟ يعني مال هذا الأعرابي يمسك الناقة؟ لماذا هذا الجفاء؟ والأعراب في الأغلب هكذا كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧]، أهل جفاء، يأتي الأعرابي يمسك الرسول ﷺ مرة ببردته فيجذبها حتى تؤثر بعنقه، وأعرابي آخر يأخذ بيده ويسحبه، وأعرابي ثالث يقول: أعطني من مال الله الذي عندك لا من مال أبيك ولا من مال أمك، ورابع يقول في المسجد: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، وغيرها كثير.

فأخذ زمام الناقة وقال: أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار.

قوله ﷺ: «**أرب ماله**» ضبطها العلماء بالآتي:

١ - (أرب) بوزن علم أي دعاء عليه بأن تصاب آرابه، كما يدعى

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٤٦)، ومسلم برقم (٧٠).

بتربت يمينه.. وليس المقصود منه الدعاء.

٢ ـ (أربْ) بوزن كتف.. أي: هو أرب، أي حاذق، ثم قال: ما له؟ أي ما شأنه؟

٣ ـ (إرْب ما له)، أي له حاجة، و(ما) زائدة.

والذي ينبغي على المسلم أن يسأل أعظم ما يسأل عن طريق الجنة، وقد سئل ﷺ عن طريق الجنة بسؤالات كثيرة كسؤال معاذ عند الترمذي: يا رسول الله أخبرني بشيء يقربني من الجنة ويباعدني عن النار.

أما أبو أيوب الأنصاري فهو كبير الأنصار سناً، وهو الذي استقبل الرسول ﷺ يوم نزل في بيته وأكرمه ﷺ بالنزول عنده، وقد ضيّف الرسول ﷺ ضيافة ما سمع الناس بمثلها، حتى لما نزل أبو أيوب على ابن عباسٍ وهو والي البصرة وليها لعلي، نزل ابن عباس عن البيت وهو أمير، وسكّن أبا أيوب الأنصاري قال: والله يا أبا أيوب لأكرمنك كرامة ما سمع الناس بمثلها كما أكرمت رسول الله ﷺ، فأنزله في البيت وخرج ابن عباس من دار الإمارة، لأن أبا أيوب نزل من العلية وسكن في السفلى وأسكن الرسول ﷺ فوق.

فكان لا تقدم له وجبة إلا ويأخذها ويضعها بين يدي الرسول ﷺ ويقول: والله لا آكل حتى تأكل يا رسول الله.

انسكب مرة ماء وأبو أيوب في علية البيت فخاف أن يخر السقف بالماء على رسول الله ﷺ، فقام بثوبه وشملته ونشف الماء من خوفه وتحرجه أن يؤذي الرسول ﷺ بشيء.

أبو أيوب لما سمع قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التّوبَة: ٤١]، خرج للجهاد مع يزيد بن معاوية يجاهد الروم وهو كبير السن.

قالوا: عذرك الله، أنت مريض.

قال: لا والله، الله يقول: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التّوبَة: ٤١] وأنا ثقيل، والله لأنفرن. وقد مات هناك في حدود القسطنطينية وقال: ادفنوني هناك، وهو مدفون هناك وسوف يبعثه الله مسلماً بين كفار رضي الله عنه وأرضاه.

قال النبي ﷺ للأعرابي لما سأله عن عمل يدخله به الجنة فأخبره بأشياء، والشاهد منها ما يتعلق بصلة الرحم قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**». وصلة الرحم قالوا: أمر نسبي بين الناس، صلتها بالزيارة والعطاء والهدية والرضوان.

لكن الرحم من هم؟ يقول ابن حجر: كل من كانت بينك وبينه قرابة، سواء يرث منك أو لا يرث، فهو من الرحم التي توصل.

والرحم أقسام: منهم من يرث منك، ومنهم من لا يرث، ومنهم بعيد وقريب، فكل على منزلته تصله بقدر منزلته منك، سواء ورث أم لم يرث، لأن بعض الناس يتوهم أن الرحم هو الذي يرث فقط وأما غيره فلا، وليس هذا بصحيح، بل ابن الخال من الرحم، وابن العم وابن الخالة وابن العمة وغيرهم كثير.

قال: «**ذرها**»، يعني اترك الناقة، فلما أجابه ﷺ قال: ذرها اتركها، ففكها الأعرابي وأطلق الزمام ومضى ﷺ، قال الراوي يخبرنا بمعنى كلمة: ذرها، يقول: كأنه كان على راحلته ﷺ، وبالفعل كان على راحلته.

ويعقد بعض العلماء من هذه القصة أبواباً، منها: باب من أفتى وهو على الراحلة، باب من علَّم الناس وهو على الراحلة، لأن مالك بن أنس يرى ألا يفتى على الرواحل ولا يفتي الإنسان وهو ماشٍ، وكان إذا استفتاه مستفتٍ جلس وأجلس السائل من باب احترام العلم.

وكان يقول: لا أحدث بالحديث عن الرسول ﷺ وأنا أمشي، لا بد أن أجلس.

لكن هذا الحديث يردّ ذلك، فإن لك أن تفتي وأنت تمشي، وأنت في السيارة، وأنت في الطائرة وأنت على الدابة، ولا يكره شيء من هذا إن شاء الله.

بل الراجح جواز قراءة القرآن والإنسان يمشي، وقد فعلها كثير من السلف، لكن الأَوْلى والأحوط والأحسن أن تقرأ وأنت متمكن جالس مستقبل القبلة، هذا هو الأَولى والأفضل، ولكن لا يمنع من غير ذلك كما قلنا.

قال البخاري: (باب إثم القاطع)، وانظر إلى الإمام البخاري كيف يرتب أبوابه، فبعد أن تكلم على صلة الرحم عقد هذا الباب في إثم قاطع الرحم، وهذا من فقهه وسعة علمه رضي الله عنه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجُمُعَة: ٤].

ثم ذكر البخاري رحمه الله بعد أن ساق سنده أن محمد بن جبير بن مطعم قال: إن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(١).

في الحديث مسائل: من هو جبير بن مطعم؟ ومن هو أبوه؟ أما أبوه فهو مطعم بن عدي من سادات مكة، لكن سبحان الله ما رزقه الله الإسلام، كان يحمي الرسول ﷺ، وكان يمنعه، وكان يجيره، ولكن ما اهتدى إلى الإسلام، فالقلوب بيد الله الفتاح العليم، هو الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القَصَص: ٥٦].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٤٧)، ومسلم برقم (٦٤٧٢، ٦٤٧٣)، وأبو داود برقم (١٦٩٧)، والترمذي برقم (١٩١٣).

أراد ﷺ أن يطوف بالبيت وهو يدعو الكفار إلى الإسلام في العهد الأول، في العهد المكي، أراد أن يطوف فمنعه كفار مكة، سلّوا عليه السيوف، ووقفوا عند الحرم، وأقسموا باللات والعزى أن لا يطوف، فذهب الرسول ﷺ إلى المطعم بن عدي، سيد من سادات مكة وأخبره أن قريشاً منعته أن يطوف، قال: اذهب وطف ولا يصل إليك أحد، ثم خرج المطعم بالسيف إلى الحرم وقال: يا معشر قريش!! يا معشر قريش!! يا معشر قريش!! إن محمداً سوف يطوف فلا يعترض له معترض، فدخلوا بيوتهم جميعاً، وطاف ﷺ سبعة أشواط، ثم مات المطعم ولم يسلم، فأتى ﷺ في بدر فقتل من المشركين سبعين، وأسر سبعين والتفت إلى الأسارى وقال: **«والذي نفسي بيده لو كان المطعم بن عدي حياً وكلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له»**[(١)].

يقول: لو كان المطعم بن عدي حيّاً لأنه قدم لي يداً بيضاء يعني أني ما أنسى اليد البيضاء، إني لست لئيماً فأنسى كرم الناس، لو كان حيّاً وطلب مني السبعين الأسارى هؤلاء أن أعفو عنهم لعفوت عن هؤلاء النتنى، هؤلاء الأخسة الأذلة، إلا من تاب منهم رضوان الله عليهم لتركتهم له.

أما جبير تدرون ماذا فعل؟ أقسم باللات والعزى أنه لن يسلم. جبير بن مطعم ـ راوي الحديث ـ أقسم باللات والعزى لا يسلم، ولا يدخل الدين، ولا يسجد لله، ولا يستمع إلى القرآن، ولكن الإسلام غلب عليه وقهره بحسنه ومحاسنه وعدله، فأسلم جبير بن مطعم رضي الله عنه وأرضاه.

فبينما الرسول ﷺ يصلي بالناس صلاة المغرب في الحرم،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٧٠، ٣٩٣٥)، وأبو داود برقم (٢٦٩٠).

وجبير بن مطعم يدخل ناقته بجانب البيت، قيل عند باب بني شيبة، فسمع جبير الرسول ﷺ يقرأ القرآن داخل الحرم وقد ارتفع صوته بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥﴾ [الطُّور: ١ ـ ٥]، فاستمع جبير للقراءة وهو خارج الحرم وهو مشرك حتى بلغ قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطُّور: ٣٥، ٣٦] فترك الناقة، ودخل وشق الصفوف، ووصل إلى الرسول ﷺ، قال: يا رسول الله ابسط يدك، فبسط يده، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.

القرآن يصل إلى القلوب، وهذه معجزة إسلام جبير بن مطعم يوم أقسم وحلف ألا يسلم، ولكن غلبه القرآن مثل ما يقول أحد المفسرين: القرآن يأخذ على منافذ النفس، يعني يسد عليك أقطار النفس فلا تستطيع فكاكاً إلا أن تعترف له بالعظمة والكبرياء.

بالله استمع إلى القرآن في صلاة التراويح في الحرم، يوم يقرأ الأئمة وتفكر في ذهنك، هل يستطيع بشر أن يقول مثل هذا الكلام؟ هل يستطيع أدباء الدنيا وعلماء الدنيا وفقهاء الدنيا أن يصوغوا مثل هذا الكلام؟ لا.

قال محمد بن جبير بن مطعم أن جبير بن مطعم أخبره أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة قاطع**»، قال ابن حجر: يعني قاطع الرحم. ويتفاوت الناس في قطيعة الرحم، منهم من يقطعها قطعاً كلياً، وهذا من الكبائر الكبرى في الإسلام، ومنهم من يقطع بعض حقوقها، وهذا أيضاً محرم، وتختلف درجة التحريم تبعاً لحجم القطيعة.

وكانت قريش تصل الرحم في الجاهلية، وقد جاء عتبة والرسول ﷺ يقرأ، قال: أسألك بالله والرحم. والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا

وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النِّساء: ١]، والتفسير عند أهل السنة على معنيين:

المعنى الأول: الذي تساءلون به والأرحام، أي أنكم تتساءلون بالله وتتساءلون بينكم بالأرحام، فإن قريشاً كانوا يقولون: نسألك بالله وبالرحم أن تترك هذا.

والمعنى الآخر: الذي تتساءلون به والأرحام، أي اتقوا الله عز وجل، ثم احذروا أن تقطعوا أرحامكم؛ لأنكم إن كفرتم قطعتم أرحامكم.

قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**»، وفي الحديث الصحيح: «**لما خلق الله الرحم تعلقت بالعرش، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة يا رب، هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: أما ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من قطعك؟ قالت: نعم، قال: فذلك لك**»(١).

والأصل في ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمَّد: ٢٢، ٢٣].

ما هو إثم القاطع في الإسلام؟ عدم دخول الجنة، قال النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**»، ولأهل العلم كلام في هذا الحديث، قالوا: لا يدخل من استحل قطيعة الرحم.

وقالوا: لا يدخلها لأنه صاحب كبيرة، بل يعذب على معتقد أهل السنة والجماعة في أن صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله قد يعذّب وقد يعفو الله عنه، ولكن لا بد من التوبة لصاحب الكبيرة، وأما الخوارج فقالوا: كافر بكبيرته، خارج من الملة، خالد في النار، والمعتزلة كفروه وقالوا: في منزلة بين المنزلتين، وأهل السنة فسّقوه وقالوا: تحت

(١) رواه البخاري برقم (٤٧١١، ٥٨٥٠، ٧٣٣٦)، ومسلم برقم (٦٤٧٠).

مشيئة الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، لكنه قد يدخل النار ولكنه لا يخلد فيها، قال الناظم من أهل السنة:

لكن عصاة من على التوحيد قد يدخلونها بلا تخليد

وهذا هو الصحيح في هذه المسألة إن شاء الله. هذا محتمل أن يدخل النار، ثم يدخل الجنة بعد أن يعذب وينقى، لأن معه أصل التوحيد والإيمان.

ثم قال البخاري رحمه الله: (باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم) ثم ساق البخاري إسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يبْسط له في رزقه وأن ينْسأ له في أثره فليصل رحمه**»[1].

في الحديث قضايا:

القضية الأولى: كيف يبسط له في الرزق؟

القضية الثانية: كيف ينسأ له في الأثر أي الأجل، يعني من أحب أن يمدّ الله في عمره، وهذه مسألة شائكة ناقشها ابن القيم من علماء أهل السنة، وهل هذا على حقيقته؟ بأن الله يمدّ في عمره بدل أن يكون عمره أربعين سنة، فيصل رحمه، فيجعل الله عمره ستين، وقد انتهى الله من هذا الأجل، وقد كتب أجله وهو في بطن أمه، لحديث ابن مسعود في الصحيحين: «**أن الملك يأتيه ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد**»[2].

وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وبرقم (٢٠٤٣)، ومسلم برقم (٦٤٧٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٢)، ومسلم برقم (٦٦٧٤).

[الرّعد: **٣٩**]، قالوا في أم الكتاب الرزق والأجل والعمل وشقي أو سعيد، فهل ينتقض هذا الكتاب إذا وصل رحمه؟ يكون عمره أربعين سنة فيزداد حتى يصبح ستين، لأن الرسول ﷺ يقول: «**وأن ينسأ**»، ومعناها يؤجل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التّوبَة: **٣٧**]، يعني تأجيل بعض الأشهر الحرم إلى غيرها زيادة في الكفر، وربا النسيئة ربا التأجيل.

فمن أحبّ أن ينسأ له في أجله يعني يباعد له من أجله ويمدّ في عمره، فلْيَصِل رحمه، هذا من الأقوال.

وهناك قول ثانٍ وهو أن معنى: وينسأ له في أجله وفي أثره وفي عمره أي يبارك الله عز وجل في أيامه ولياليه، والعمر هو هو لا يزيد ولا ينقص ولكن يبارك الله فيه، هذا عمره ستون سنة، فإذا وصل رحمه فلا يزيد عن الستين، ولكن يبارك الله له في هذا العمر بالأعمال الصالحة، وبالصدقة وبانشراح الصدر، وبالإقبال على الله، وبالإيمان واليقين، فيبارك الله في عمره.

وآخر عمره ستون عاماً، ولكن لا يبارك الله فيه؛ لأن عمره لا إيمان فيه ولا دين، ولا صلاة، ولا طاعة، ولا ذكر وإنما إعراض وصدود وجحود وعصيان، فلا يكون في عمره بركة، وتمرّ أيامه وأوقاته دون أن يدّخر فيها شيئاً لآخرته، وهذا هو الضلال بعينه وهو الخسران المبين.

والراجح عند علماء السنة أن هذا القول الثاني هو الصحيح، وأن الأعمار لا يزاد فيها زيادة أيام، ولا زيادة أشهر، ولا سنوات، بل على ما كتب الله على الإنسان في بطن أمه، فيبقى عمره هو هو، ولكن يزيد الله عمره بعمل الخير والبركة التي يجعلها الله في الأوقات والساعات والشهور والسنين، فكأن عمره قد ازداد.

لما قتل محمد بن حميد الطوسي كان بطلاً عمره أربعون سنة،

فأتى أبو تمام الشاعر العظيم فقال يمدح هذا المقتول، وقد قتل في سبيل الله، قاتل الروم من صلاة الفجر إلى صلاة الظهر حتى تكسرت السيوف بيده، ما بقي عنده سيف، فقتلوه في الأخير فقال أبو تمام:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل عن السفر السفر

وقالوا: إن المعتصم لما سمع القصيدة قال: والله وددت أني قتلت وأن هذه القصيدة قيلت فيّ، فهي من أعظم قصائد الرثاء، يقول يمدح هذا المجاهد:

تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سندس خضر
فتى كلما فاضت عيون قبيلة دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكر
وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

إلى أن قال:

عليك سلام الله وقفاً فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عمر

أتى ابن حجر في فتح الباري ببيت منها ليستدل على رأيه الذي يرجح أن طول العمر إنما هو بالبركة وبالعمل الصالح.

ولذلك تجد بعض الناس يجرون معه مقابلة في بعض الصحف، عمره مائة وثلاثون سنة، لكن ماذا قدم لنفسه؟ فتراه يتكلم عن طعامه وشرابه، وأنه ينام في ساعة كذا ويستيقظ في ساعة كذا، وتزوج اثنين وخمسين امرأة، وسافر إلى أندونيسيا وعنده ست عشرة عمارة! ولكن أين مبادئه؟ أين صلاته؟ أين صيامه؟ أين حجه؟ أين ذكره لله عز وجل؟ لا رصيد له من ذلك.

ابن تيمية عمره ثلاث وستون سنة، ملأ الدنيا علماً، وملأ الدنيا جهاداً، وخلّف تلاميذ كالنجوم في السماء.

عمر بن عبدالعزيز عمره أربعون سنة، بقي في الخلافة ثلاثين شهراً فقط، وهي عند الله خير من ثلاثين قرناً.

سعد بن معاذ عمره سبع وثلاثون سنة، بقي في الإسلام سبع سنوات وهي أفضل من سبعة قرون، فليست المسألة بطول العمر وإنما بما في هذا العمر من خير أو شر.

قال ﷺ: «**من سره أن يبسط له في رزقه**»، قالوا: البسطة في الرزق قد تكون معنوية بالبركة فيه، وقد يزيدها الله عز وجل زيادة ظاهرة، والراجح البركة، «**وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**». ينسأ يؤجل، والأثر الأجل، والأثر الحسي هو أثرك في الأرض ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس: ١٢]، يعني نكتب ما فعلوا أو نكتب مواقعهم، أو نكتب أفعالهم.

قيل لأعرابي يصلي في الصحراء: لمن تصلي؟ قال: لله.

قالوا: هل رأيت الله؟

قال: يا عجباً!! البعرة تدل على البعير، والأثر في الأرض يدلّ على المسير، سماء ذات أبراج، وليل داج، ألا يدل على السميع البصير؟؟

قال ابن حجر: وقال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينقضي العمر حتى ينقضي الأثر

وهذا البيت ليس لزهير كما قال ابن حجر رحمه الله، لكن البيت لكعب بن زهير في قصيدة طويلة له، ومعنى البيت: لا ينتهي أمل الإنسان في الحياة حتى تنتهي حركته في الدنيا، هذا معنى الحديث: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه**».

وهناك سؤال: لما أتت رملة أم حبيبة إلى الرسول ﷺ فقالت: يا

رسول الله اسأل الله أن يطيل في عمر أبي أبي سفيان، وأخي معاوية، قال ﷺ والحديث صحيح: «**لقد سألت الله عز وجل عن أرزاق مقسومة وآجال مضروبة وأيام معدودة، لو سألت الله لهما المغفرة والرحمة كان أحسن**»[١]، أو كما قال ﷺ، بينما هنا يقول: «**ينسأ له في أثره**».

والصحيح أن هذا يؤيد القول الذي ترجّح إن شاء الله أنه ما يزيد في الأيام، ولكنه يزيد العمر بركة، فيبارك الله في عمر الإنسان وعمله، فيفعل في ساعات معدودة أعمالاً يعملها آخرون في أيام وربما في شهور.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يكتب في اليوم الواحد عدة كراريس من الفتاوى المحررة والمسائل العلمية التي يعجز غيره عن كتابتها في شهور، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فمن صرف أوقاته في طاعة الله بارك الله في عمره وأعطاه الصحة والعافية، ومن ضيّع أوامر الله ونسي حظه من طاعته بخس الله عمره ونزع منه البركة، فلا ينتبه إلا وملك الموت عند رأسه.

نسأل الله تعالى أن يبصرنا في ديننا، وأن يبارك لنا في أعمارنا.



---

(١) رواه مسلم برقم (٦٧٢١)، وأحمد برقم (٣٧٠١، ٤١١٧).



شرح أربعة أحاديث للبخاري

١ ـ اتقاء الشبهات.

٢ ـ وصايا لوفد عبدالقيس.

٣ ـ الأعمال بالنيات.

٤ ـ النصح للمسلمين.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

فالنور الذي أنزل مع محمد ﷺ هو الكتاب والسنة، فمن استنار بها أنار الله طريقه وأنجاه وأفلح في الدنيا وفي الآخرة، ومن عدل عنهما أو صرفهما فقد أعمى الله بصيرته.

يقول ابن تيمية رحمه الله: أرض لا تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة، وقلب لا يشرق عليه هذا الدين فهو قلب مغضوب عليه، فإن الله عز وجل إذا غضب على القلوب لم يوصل إليها هذا

النور من الكتاب والسنة، فجعلها في حجاب لا ترى ولا تسمع ولا تبصر ولا تدفع، وإذا رضي الله عن قلب حبّب إليه الكتاب والسنة، فأوصل إشعاع هذا الكتاب وهذه السنة وهذين النورين إلى هذا القلب.

وإذا غضب الله على أرض ولعن أرضاً من الدنيا ما أشرقت عليها شمس الرسالة.

فشمس الرسالة أيها المسلمون هي الكتاب والسنة، فمن استنار بنورهما اهتدى وقاده الله سبحانه وتعالى إلى جنات عرضها السموات والأرض، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يستضيء بنورهما وممن يتمسك بحبلهما، وممن يمشي على طريقهما، إنه على كل شيء قدير.

قال البخاري:

● عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[1].

النعمان بن بشير أحد شباب محمد ﷺ، من الأنصار، رباهم ﷺ على عينه وعلى سمعه وعلى بصره، فكانوا خير أمةٍ أخرجت للناس، وكان يكفي المسلم أن يجلس مع الرسول ﷺ ساعة واحدة فتغير حياته ظهراً لبطن، وتنقله من الجاهلية ومن الوثنية إلى الإسلام.

ولذلك يأتي أحد الأعداء من الذين يريدون قتل الرسول ﷺ

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (٤٠٤٨).

فيجلس مع الرسول ﷺ ساعة فتحول حياته، فإذا هو من أهدى عباد الله، وإذا رسول الله ﷺ أحب الناس إليه، بل أحب عنده من أهله وماله ونفسه.

هذا الشاب حفظ الكثير، ويكفيه فخراً أنه حفظ هذا الحديث، لأن الرسول ﷺ قسّم طوائف الأمة ثلاث طوائف: بحسب الدين، وبحسب العلم، وبحسب الهدى.

فطائفة قبلت هذا الهدى الذي أتى به محمد ﷺ فعلمته أنفسها وعلمته الناس.

وطائفة استفادت بنفسها وهي طائفة خيرة مباركة.

والثالثة طائفة ما استفادت ولا أفادت، ولا رفعت بهذا الدين رأساً، وهي طائفة مغضوب عليها.

فهذا من الذين رفع الله رؤوسهم وبلغوا هذه الشريعة، يقول ﷺ: «**بلّغوا عني ولو آية**»[(١)]، ويقول: «**نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع**»[(٢)].

فالذي يبلغ عن الرسول ﷺ آية أو حديثاً هو من الذين رفع الله رؤوسهم وأيقظ قلوبهم وأحيا أرواحهم، فالذي أوصي به نفسي وإياكم بتبليغ هذا الدين ونشره في المجالس ومع الأحبة ومع الزملاء، وفي أماكن العمل وفي الوظائف وفي المدارس، لينتشر ولتكونوا من المشاركين لمحمد ﷺ في دعوته، وترفعون علم دينه.

المصلحون أصابع يد جمعت هي   أنت بل أنت اليد البيضاء

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٨٦)، والترمذي برقم (٢٧٣٨)، وأحمد برقم (٦٤٧٠، ٦٨٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٧٢٧)، وابن ماجه برقم (٢٣٧)، وأحمد برقم (٤١٥٥)، والألباني في المشكاة برقم (٢٣٠).

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلال بيّن والحرام بيّن**»، أي أن الله بين في كتابه الحلال وبين الحرام، فكل شيء واضح للأمة أو للجمهور، فالحلال نعرفه من المطاعم ومن المشارب ومن الذبائح ومن الصيد، وما ينكح المسلم وما يتسرى، هذا بيِّن واضح.

والحرام في ذلك بين من المحرمات التي نهى الله عنها في الأقوال والأعمال والأحوال والكلام والصفات.

فحرم الله سبحانه وتعالى الشرك وعدَّه سبحانه وتعالى أكبر ذنب عصي به في تاريخ الإنسان، وهو أكبر ظلم للإنسان على وجه الأرض، والزنا وشهادة الزور وهذه الأمور كلها حرمها الله، فهذه لا تحتاج إلى كثرة تفصيل.

وأما المشبهات، وفي لفظ البخاري عند أبي موسى من روايته: (المشتبهات)، فهذه تعارضت فيها النصوص لا يدرى هل هي حلال أم حرام؟ أو لم يوجد فيها نص، فلا يدري الإنسان هل هي حلال أو حرام؟ فالورع كل الورع أن تتقيها وأن تتركها، وأمثلتها كثيرة مثّل لها بعض أهل العلم من هذا العصر بهذه الأطياب التي انتشرت عند بعض الناس.

فإذا اشتبهت عليك مسألة ولم تعرف ما هو النص ولم يفتك عالم بها، فالورع كلّ الورع أن تتركها لتتقي لعرضك وتستبرىء لدينك.

والاستبراء للعرض والدين هو من البراءة، أي لا تلصق بك السمعة السيئة.

ومن استبراء العرض ما فعله ﷺ مع صفية بنت حيي وهي زوجته ﷺ، أتت تزوره وهو معتكف في المسجد فكلمته وكلمها ﷺ إلى باب المسجد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا المرأة مع الرسول ﷺ استعجلا في سيرهما، فقال ﷺ: «**على رسلكما، إنها**

صفية بنت حيي»، فأقبلا نحوه ﷺ، قال: هذه زوجتي صفية بنت حيي، أي لا تشكوا فيّ.

قالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما ما قال، يعني: هل يشكون في أطهر خلْق الله، وأبر خلْق الله، وأحلم وأزكى وأخشى من خلق الله.

قال ﷺ: «**إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم**»(١).

ولذلك نهى أهل العلم أن يقف الإنسان موقف التهم، أي: أن تقف موقف تهمة ولو كنت أبرأ من أي بريء، ولو كنت أطهر من حمام الحرم، أو أطهر من ماء الغمام، لا تقف مواقف التهم.

مثلاً: سوق يجتمع فيه النساء، أو سوق فيه شبه، أو مجلس فيه ريبة، لا تجلس فيه ولو أنك طاهر مطهر، لأن هذا يقع في عرضك وفي دينك ثم لا يصدقونك بعدها أبداً.

قد قيل ما قيل إن كان صدقاً وإن ... كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلا

صحيح أنك بريء، ولكن الناس لا يبرئون الإنسان، وقد تلحق به الشائعة والتهم فتلصق به حتى يلقى الله، ولذلك يقول عقبة بن الحارث: أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ـ وهي عجوز قد أرضعت عقبة بن الحارث وأرضعت زوجته، أي أنه وزوجته إخوة من الرضاعة ـ قد أرضعت عقبة والتي معه.

فاستدعاه ﷺ وقال: «**فارق زوجتك**».

قالت: ولم يا رسول الله؟

قال: «**تقول فلانة أنها أرضعتك أنت وزوجتك**».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٠١١، ٣٠٣٣، ٣٢١١، ٦٠٧٦)، ومسلم برقم (٥٦٣٣).

قال: يا رسول الله ما صدقت.

قال ﷺ: «**كيف وقد قيل**»[1].

كيف وقد وقع هذا الكلام؟ ما دام قد وقع هذا الكلام وانتشر ففارقها، أخرجه البخاري.

ولذلك أكبر ما يحافظ عليه المسلم ألا يتزيا بزي يخالف أهل الإسلام، فإنه مهما بلغ من تقوى ومن ورع فإن الناس يتهمونه.

والاستبراء للدين والعرض يمنعك أن توقف نفسك في مواقف الريبة والتهم، نسأل الله العافية، بل الإنسان يعرف بجليسه. فبعض الناس فيهم خير وتقوى وهدى واستقامة ومروءة، لكنه يجالس الأنذال فيعرف بمجالسته لهم، ويقع في دينه وفي عرضه تهمة وثلمة ووصمة لا تزول إلا بالتوبة وبالرجوع إلى أهل الخير، ولذلك يقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

ثم يقول ﷺ: «**لا يعلمها كثير من الناس**»، أي أن الذي يعلم الحلال والحرام ويعلم المشبهات هم القليل، والقليل دائماً معهم الخير، يقول الله عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَأ: ١٣]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعَام: ١١٦]، وقد أسلفنا أن عمر رضي الله عنه وأرضاه خرج إلى السوق فسمع أعرابياً يقول: اللهم إني أسألك أن تجعلني من عبادك القليل، فانتهره عمر وقال: ما هذا الدعاء الذي ما سمعنا به؟!

قال: يا أمير المؤمنين، أليس يقول الله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَأ: ١٣].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٨، ٢٦٠٧، ٤٩٨٤)، وأحمد برقم (١٥٨٤٤، ١٥٨٤٥، ١٩٠٥٦).

فقال عمر: كل الناس أفقه منك يا عمر. تواضعاً منه رضي الله عنه.

فدائماً القليل معهم الخير، ولذلك الرسول ﷺ قال: «**لا يعلمها كثير من الناس**»، لا يعلمون هذه الأمور المشبهات أو المشتبهات، لأنها لا تظهر لهم إما لتشابه النصوص، أو لعدم وجود النص في هذه المسألة، أو اختلاف أهل العلم، فقال ﷺ: «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه**»، أي أن من ترك هذه الشبهات فقد برأ الله عرضه ودينه.

ويقول أهل العلم: اجعل بينك وبين الحرام حاجزاً، وإن لم تجعل حاجزاً فسوف تقع في الحرام لا محالة، نسأل الله العافية.

ومن استرسل في كثرة المباحات وكثرة اللباس وكثرة المطاعم يوشك أن يقع في الحرام، لأنه يستدعيه ذلك إلى كثرة الدخل ثم يقع في التعامل في الربا، ثم يأخذ عملاً إضافياً، ثم يقع في الكذب والزور والانتدابات، وبعدها يقع في الحرام لأنه هو الذي جلب المنية لنفسه، فهو المسؤول عن نفسه لأنه أوقعها في كثرة المباحات.

ثم مثل ﷺ له بقوله: «**كراع يرعى حول الحمى**»، أي رجل معه غنم يرعى حول حمَى لأحد الملوك في الدنيا، لأن من عادة ملوك الدنيا أن يحموا لهم حمى، ومن مر به أو اقترب منه ضربت عنقه وسجن وجلد.

فالراعي هذا كلما أصبح الصباح يأخذ غنمه ثم يقترب من مرعى الملك ما يرعى إلا هناك، ضاقت به الدنيا، كالأعرابي الذي ضاقت به الدنيا إلا أن يبول في مسجده ﷺ! فدائماً يرعى حول الشبك وحول حائط هذا الملك، كلما أصبح الصباح يطردونه فيعود، فهذا لا يأمن أن تدخل شاة من غنمه أو قطيع منها فترعى فيقع في الحرام فيجلد ظهره ويضرب عنقه أو يسجن حتى أبد الآبدين.

هذا في الدنيا، أما عند الله عز وجل فوضع الله المحرمات في دائرة، ووضع المباحات عز وجل في أخرى، فإنه ما حرم شيئاً إلا وأباح شيئاً. فمن أكثر المباحات واقترب دائماً من الحرام يوشك أن يقع ولو مرة من المرات، فيقول ﷺ: **«ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه، ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»**. فكل صلاح في الظاهر، وكل صلاح في الباطن، وكل صلاح في الأقوال والأعمال والصفات والأحوال فمصدره القلب.

إذا رأيت الإنسان يخشع في صلاته فاعرف أن قلبه خاشع، ولذلك كان ﷺ دائماً يركز على القلوب ويقول في أثر: أن الله عز وجل يقول لعبده: فارق قلبك ساعة تقرب مني.

وقرأت في بعض الكتب أن بعض الحكماء، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها إذا وافقت أصول الدين وقواعد الدين، يقول أحد الحكماء من الهنود: الذي ينتصر على نفسه أعظم من الذي يفتح مدينة. فالانتصار على النفس وتربية هذا القلب هو المقصود، ولذلك يكثر بعض الناس من العبادات ولكن في قلبه زيغاً لأنه ما اعتنى بتربية قلبه.

فالرسول ﷺ يقول: **«ألا وإن في الجسد مضغة»**، والسبب في أنه يقول مضغة ليبين بأن هذا القلب صغير وعليه مدار الأعمال، وعليه ترد الأقوال، والمضغة هي اللقمة التي يمضغها الإنسان.

يا متعب الجسم كم تسعى لراحته أتعبت جسمك فيما فيه خسران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

يا من أتعب جسمه في انتقاء الملابس والمطاعم والمشارب والبيوت ودمّر روحه، لقد أخطأت العمار، فالعمار يكون للقلوب.

ولذلك ينظر الله إلينا.. للقلوب، فنظره سبحانه وتعالى للقلوب ونظر الناس للأجسام.

يقول ﷺ فيما صح في صحيح مسلم: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم**»[1]، فالقلب والعمل هو موطن نظر الرب سبحانه وتعالى.

وإنما سمي القلب قلباً قيل: لأنه مقلوب على رأسه في جوف الإنسان، قاله ابن حجر. وقيل: لسرعة تقلبه، قال سفيان الثوري: قلبي يتقلّب علي في اليوم خمسين مرة، يعني تريد من نفسك دائماً أن تتقي فيأتيك بالشبهات، تريد أن تعبد الله فيأتيك بالرياء، تريد الزهد فيأتيك بحب الظهور.. وتريد الانطواء فيأتيك بالوسوسة.. فدائماً القلب يتقلب.

أسأل الله أن يثبت قلوبنا على الإيمان به حتى نلقاه.

● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبدالقيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «**من القوم؟**».

قالوا: ربيعة.

قال: «**مرحباً بالقوم** ـ أو بالوفد ـ **غير خزايا ولا ندامى**».

فقالوا: يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٤٩٥)، وأحمد برقم (٧٧٨٧، ١٠٧٣٠).

قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**» ونهاهم عن أربع: «**الحنتم والدباء والنقير والمزفت**» - ربما قال المقير - وقال: «**احفظوها وأخبروا بها من وراءكم**»[1].

هذا حديث عظيم من أجل الأحاديث في الإسلام، رواه ابن عباس. وقد أسلفنا جملة الحديث أو قصة الحديث.

فهذا عبدالقيس وهو من البحرين التي تسمى الأحساء وليس البحرين المعروف الآن، أتوا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**من القوم؟**» وهذا من حسن الضيافة، فمن فقه هذا الحديث أنك تسأل ضيفك إذا دخل: من أنت؟ بعد أن يجلس ويشرب ويرتاح، لا توقفه عند الباب وتأخذ بتلابيبه وتقول له: من أنت؟ وما رقم سيارتك؟ ورقم تابعيتك؟ فهذا ليس بوارد عند المسلمين، لكن المقصود أن تسأله سؤال استئناس.

يقول أهل التفسير: يقول الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ [طه: ١٧]، والله يدري أنها عصا ويعرف من أين أتت العصا، فقال موسى: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، فارتاح في الخطاب واستأنس لملاطفة الله سبحانه وتعالى، فبدلاً من أن يقول هي عصا، استرسل في نوعها وفوائدها لأنه ارتاح للخطاب.

ولذلك يقول الأزدي:

أحادث ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٧، ٥١٧، ٣٤٣٣، ...)، ومسلم برقم (٨١، ٨٢، ٥١٣٤).

يقول: من عادتي ومن كرمي أن أحادث ضيفي وهو يحط رحله عن الجمل أو الفرس فأقول: كيف حالكم؟ وكيف أصبحتم؟ هل أتاكم من أمطار أو من خير؟

أما أن يسكت الإنسان ويصمت، فلو ذبح ما في الدنيا ما ارتاح له الضيف.

وورد حديث بسند ضعيف عند الترمذي: «**إذا آخى الرجل الرجل فلْيسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو؟ فإنه أوصل للمودة**»[1]، أي أنك إذا عرفت شخصاً فقل: ما اسمك يا أخي؟ ومن أي قبيلة؟ ولا مانع أن تسأله عن قبيلته وليس هذا من التعصب ولا من التمييز العنصري الذي في جنوب أفريقيا، لكن هذا من آداب الإسلام، لأن الله يقول: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحُجرَات: ١٣]، فشعوباً وقبائل هذه القبيلة تعرف القبيلة وهذا من التعارف.

وكان ﷺ يسأل الطارق إذا طرق: «**من أنت؟**» يقول جابر: طرقت على بابه ﷺ فقال: «**من؟**».

قلت: أنا.

قال: «**من؟**».

قلت: أنا.

فغضب الرسول ﷺ وفتح الباب وقال: «**أنا أنا**»[2].

يعني كل الناس يقولون أنا، لكن قل من أنت. والرسول ﷺ يعلم أنه جابر، لكن ليس من الأدب أن يقول الإنسان: «أنا» دون ذكر اسمه.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣٤)، وانظره في المشكاة برقم (٥٠٢٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١٠٧)، ومسلم برقم (٥٥٩٠، ٥٥٩١) وقد تقدّم تخريجه.

قال ابن الجوزي: وإنما نهى عنه ﷺ لسببين اثنين:

أما السبب الأول: فإن فيه كبْراً، يعني (أنا) المعروف والمشهور عند الناس فلا أحتاج إلى تعريف.

والسبب الثاني: أن فيه إيهاماً للأهل، وقد يقع بسبب ذلك ما لا يحمد.

فالرسول ﷺ ينهى عن مواقف الشبه والارتياب والتهمة، وأن يدخل من هذه المداخل، فسدها ﷺ.

قال: «**من القوم؟**» أو «**من الوفد؟**» الشك من الراوي.

أما القوم فهم القوم الكثير الذين قامت بهم قوامة الحياة أو مجتمعهم.

وأما الوفد فقالوا: هم العدد القليل الذين وفدوا وهم خيرة الناس، ولذلك كان العرب من عاداتهم إذا أرسلوا وفداً أن يختاروا العقلاء الذين يحسنون الكلام والأخذ والعطاء، فإن العاقل يحسن التصرف.

روى أهل العلم في ترجمة أبي حنيفة رحمه الله أنه دخل عليه رجل وكان هذا الرجل حسن الزي حسن اللباس، وهذا ينفعنا في التربية أن نعتني بمظهرنا، لأن عقول الناس في عيونهم، ولذلك يقدرك الناس على قدر لباسك، فإذا تكلمت قدروك على قدر كلامك.

فدخل الرجل على أبي حنيفة وكان حسن الزيّ حسن الحلية، عليه لباس فاره وعمامة، وكان أبو حنيفة ماداً رجله، فلما رأى الرجل ردها، فجلس الرجل ولم يتكلم، فهابه أبو حنيفة وأخذ يوقره، فلما طال المجلس قال أبو حنيفة للرجل: ألك مسألة؟

قال: نعم لي مسألة.

قال: وما هي؟

قال: متى يفطر الصائم؟

قال: يفطر الصائم إذا غربت الشمس.

قال: فإذا لم تغرب الشمس إلا وسط الليل فمتى يفطر؟

فقال أبو حنيفة: آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه كلتيهما، فمدهما.

فالعرب من عادتهم اختيار عقلائهم في الرسل.

يقول صاحب البداية وصاحب مروج الذهب: لما أتى النعمان بن المنذر يطلب وفود العرب اختاروا عشرة أشخاص فأرسلوهم، فاختاروا شاعر العرب وعاقل العرب وأحلم العرب وأرسلوهم في موكب.

قال الراوي: فدل ذلك على أن عادة العرب كانوا يرسلون خيارهم.

فكان وفد عبدالقيس من خير الوفود.

فقال ﷺ: «**مرحباً بالقوم..**» وهذا يؤخذ منه أن من الألفاظ الحسنة مرحباً، ومنها: أهلاً وسهلاً، ومنها: أهلاً بكم.

وقال الإمام البخاري في كتاب الأدب المفرد: دخل عدي بن حاتم على عمر فقال: حياك الله من معرفة، وقال ﷺ كما في الصحيح وهو يغتسل بعد أن فتح مكة وفاطمة تستره بثوب فدخلت عمته ﷺ أم هانىء فقال: «**من هذه؟**».

فقالت: أم هانىء.

فقال: «**مرحباً بأم هانىء**»، وهو يغتسل ﷺ[1].

فكان ﷺ يرحب بالناس.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٥، ٣١٠٢، ٦٠١٥)، ومسلم برقم (١٦١٩).

ويقول عمرو بن العاص: وفدت على الرسول ﷺ، فلما رآني هش في وجهي وقال: مرحباً، أهلاً وسهلاً بك.

ومن ألفاظ التحية أن ترحب وتكثر الترحاب، لأنه مما يسر الضيف إذا دخل ولو لم يكن هناك غداء ولا عشاء ولكن يكفي أن ترحّب لعل الله أن يسهل، لأن ابن الزبير سأله سائل: ما هو الفرج بعد الشدة؟ قال: أن تأذن للضيف فيقول: إني صائم. فقد يكون هذا الضيف صائماً فأنت ترحب به ولن تخسر شيئاً لا عشرة ولا خمسة، إنما ترحب ترحيباً كبيراً.

قال: «**مرحباً بالقوم** ـ أو: **بالوفد** ـ (شك الراوي)، **غير خزايا ولا ندامى**»، أما خزايا فجمع خزيان، أي: مرحباً بكم ولا تعودون من عندنا وقد أصابكم الخزي والعار.

وأما الندامة فجمع نادم، وقد قال أهل العلم: هي جمع ندمان، ولا يهمنا هذا إنما معنى قوله ﷺ: «**لا تخزون في مسيركم، ولا يصيبكم وصمة عار، ولا يصيبكم ذنب، ولا تندمون إن شاء الله من إقامتكم معنا**».

قالوا: إنّا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، لأن العرب كانت تتفاءل في الأشهر الحرام فترفع السيف. فقريش ومن معها من العرب كانوا إذا أرادوا أن يقتلوا رجلاً من العرب قد قتل منهم الكثير أخّروا الشهر الحرام وقالوا: نترك شهر محرم إلى صفر ونقتله إن شاء الله، فيأتي ويظن أنه في الشهر الحرام فإذا وصل مكة قتلوه.

فإذا سألهم الناس قالوا: أخَّرناه.

فقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التّوبَة: ٣٧]، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ

ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ﴾ [التوبة: ٣٦].

فالأربع هذه حددها الله لئلا يقتل العرب بعضهم بعضاً فيها، ثم أتى الله بالإسلام فرفع سيف القتل وسيف الدم عن الأمة.

قالوا: فإن بينك وبيننا مضر، أي أنهم يقتلون الناس، فمرنا بأمر فصل.

فالرسول ﷺ كانت تأتيه الوفود العظيمة وتأتيه الوفود القليلة، ويأتيه الفرد والفردان من القبيلة، وهذا بحسب حجم القبيلة وعظمتها في الجاهلية، فبعضها لا ترضى إلا بأن تأتي كلها أو أغلبها.

يقول أهل السير: السبب في ذلك أن بعض القبائل ترفع رؤوسها بعجب وكبر فما ترضى أن ترسل واحداً، وأكبر قبيلة من قبائل العرب بنو تميم، فلما أرادوا أن يرسلوا وفداً منهم إلى الرسول ﷺ ماذا فعلوا؟ اجتمعوا وهم في البادية وفي الحاضرة في العراق والشام ونجد، فاجتمعوا عند رئيسهم وشيخهم قيس بن عاصم المنقري حليم العرب الذي يقول ﷺ فيه: «**أنت سيد أهل الوبر**»، فقالوا: نريد أن نرسل وفداً منا إلى هذا الرسول ﷺ.

فقال قيس بن عاصم: أعطوني أشعر شاعر في بني تميم، فقالوا: الزبرقان بن بدر.

قال: أعطوني أشجع بيت عندكم، فقام حاجب بن زرارة.

فقال: أعطوني أخطب خطيب.

فقالوا: عمر بن الأهتم.

قال: وأنا أظن أني أحلم حليم في العرب، فقام هو.

فمضوا بالحلل إلى رسول الله ﷺ، فاستقبلهم الرسول ﷺ

استقبالاً حافلاً وجمع الصحابة من مهاجرين وأنصار فأعطوه الحلة، فقام ﷺ يخطب في الناس ولبسها لأن من أدب الهدية إذا أهديت لك أن تلبسها لأن الهدية لا تباع. فقام ﷺ يخطب الناس، فلما نزل ﷺ خرجوا من خارج المسجد فلقيه الصحابة.

فقال ﷺ: «**من هذا؟**».

قالوا: هذا قيس بن عاصم المنقري.

قال ﷺ: «**أنت سيد أهل الوبر، وأنت حليم العرب**» ثم أخبروه ﷺ بالوفد جميعاً فقال ﷺ: «**ألكم وصية؟**».

قال قيس بن عاصم: يا رسول الله رق عظمي (عمره سبعون سنة)، ودنا أجلي، وشاب رأسي، فأوصنا بوصية جامعة.

قال: «**يا قيس إن مع الغنى فقراً، وإن مع القوة ضعفاً، إن مع العزة ذلة، وإن مع الحياة موتاً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن معك كريماً يدفن معك وتدفن معه وهو حي، فإنه عملك فأكثر منها..**» فأكثر منها قيس بن عاصم.

ثم قال: يا رسول الله نريد أن ننافرك، والمنافرة عند العرب هي المغالبة، فهم قبل أن يسلموا يريدون أن يرون من الذي يغلب.

فقال: «**بماذا تغلبونني؟**».

قالوا: عندنا شاعر وعندنا خطيب، فنريد أن تظهر لنا شاعرك وخطيبك يتغالبون.

وهذه من عادة العرب إذا وفد أناس عند أناس يتغالبون مثل ما يسمى عندنا الآن بالمصارعة أو المباراة.

فقال ﷺ: «**على الرحب والسعة، عليّ بحسان بن ثابت**» فأتى حسان وقال: ماذا تريد بأبي أنت يا رسول الله؟

قال: «**قدم وفد بني تميم وعندهم شاعر يريد أن نغالبه فكيف أنت؟**» (يعني تبيض وجوهنا أم لا؟).

فقال: يا رسول الله عندي لسان لو أوقعته على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه، ثم مد لسانه وضرب به أرنبة أنفه.

فقال ﷺ: «**عليّ بقيس بن شماس**» فقال له: «**كيف أنت؟**».

قال: يا رسول الله دعهم لي.

فجمع ﷺ الناس حتى أصبحوا على مشارف المسجد وفي الطرقات وفي السكك وقال: «**ائتوني شاعركم**» فقام ابن بدر فقال:

نحن الملوك فلا حي يغالبنا منا الملوك وفينا تنصب البيع

وهي قصيدة طويلة.

فالتفت الرسول ﷺ إلى حسان وقرّب إليه المنبر بيده الشريفة.

فقال حسان:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وكل الخير يصطنع

إلى أن يقول في آخرها:

كأنهم في الوغى والموت مكتسح أسْد بحلْية في أرساغها فدع

فالتفتوا وقد سال العرق من وجوههم وقالوا: غلب شاعركم شاعرنا، (يعني نسفهم عن وجه الأرض)، لأن ذاك أعدّ لها في شهر، وهذا الآن، وذاك أتى بما يقارب الخمسين وهذا أتى بما يقارب الثمانين.

فقام خطيبهم وهو عمر بن الأهتم وتكلم بكلام من أعجب الكلام، فمدح قومه.

فقال ﷺ: «**قم يا ثابت**».

فقام ثابت فقام عليهم كالصواعق تصعقهم.

فقالوا: (غلب شاعرك شاعرنا، وخطيبك خطيبنا)، فأسلموا[1].
فكان ﷺ يتبسم إلى الناس وينزل الناس منازلهم، لأنه ﷺ أمر بلين الجانب، لأنه لو قال: لا والله ما عندي مغالبة ولا عندي مفاخرة لكانوا رجعوا وتركوا الإسلام، لكن يقول الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

نعود إلى وفد عبدالقيس.. لقد سألوه ﷺ عن الأشربة لأنهم هم أهل أشربة، قد كثرت النخيل والأعناب في بلادهم فاضطرتهم أن يسألوا عن الأشربة.

فأمرهم ﷺ بأربع ونهاهم عن أربع.. وهذه هي مفاتيح النجاة في الدنيا والآخرة، أمرهم بالإيمان بالله وحده قال: «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان**».

وأما أداء الخمس فإنه لا يدخل في الأربع، لكن الرسول ﷺ ألحقه بهم لأنهم أهل مغانم.

ونهاهم عن أربع وهي: الحنتم وهي الجرار التي يضعون فيها التمر والعنب فيتخمر ثم يسكر ثم يشربونه، فنهاهم ﷺ عن هذه الآلات.

---

(١) انظر خبر وفد بني تميم في: سيرة ابن هشام (٢/٥٦٠)، وبعض الأجزاء من هذه القصة انظرها في مجمع الزوائد رقم (٧٩٥٤، ١٨٧٧١)، وفي المستدرك للحاكم برقم (٦٦١٩، ٦٦٢١)، وفي مسند الحارث برقم (٤٧٧).

والدباء الذي هو القرع يجوفونه ثم يضعون فيه العنب والتمر ليختمر ويسكر.

والنقير وهو أصل النخلة، يأخذون أصل النخلة فينقرونه منه ثم يضعون العنب والتمر فيها.

والمزفت وهي آنية من الخشب التي تطلى بالزفت.

والمقير نوع من أنواع الزفت، فإذا وضع فيه العنب والتمر تخمر، فإذا تخمر شربوا منه فيصبح الإنسان كالدابة لا يعرف شيئاً.

فقالوا: يا رسول الله، ومن أخبرك بالحنتم والنقير والمزفت والمقير؟

قال: «**أنتم تفعلون ذلك**» (فتبسموا)، قال: «**فتشربون الخمر فيعمد أحدكم بالسيف على ابن أخيه فيضربه**».

قال وفد عبدالقيس: كان معنا رجل ضربه عمه بالسيف والرسول لم يدر، فكان يغطي جبهته (لأن فيها جرحاً من الضربة) بعمامته أمام الرسول ﷺ!

فنهاهم عن ذلك وقال: «**احفظوها وأخبروا بها من وراءكم**».

يقول الإمام أحمد: أن الرسول ﷺ في آخر العهد لما فهم الناس وفقه الناس قال: «**اشربوا في الأسقية كلها** ـ وفي لفظ: **كل وعاء** ـ **ولا تشربوا مسكراً**»[١]، أي أن الأواني السابقة حلال.

وأما بعض أهل العلم فقالوا: تستمر الحرمة.

والصحيح أنها منسوخة، فالإنسان يجوز له أن يشرب في كل إناء

---

(١) رواه مسلم برقم (٥٠٧٠، ٥١٦٣، ٥١٦٥)، وأبو داود برقم (٣٦٩٨)، وأحمد برقم (٢٢٥٧٦).

ما عدا إناء من الفضة أو الذهب، ولا يشرب مسكراً.

● عن أبي مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة**»[١]. والاحتساب أن يجعلها عند الله عز وجل، أو أنه يريد الثواب، وفي حديث سعد: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تضع في في امرأتك**»[٢]، يعني في فم امرأتك من الطعام.

وفيه أن الرجل قد لا يدخل الطعام في فم امرأته إلا على سبيل المزح والمداعبة فيؤجر على ذلك، ولذلك حتى من أتى شهوته في الحلال فله أجر، وحتى من نام يريد الاستعداد لطاعة الله له أجر، ومن أكل يريد التقوي على ما أمر الله له أجر.

يقول معاذ: والله إني لأنام النومة فأحتسبها على الله سبحانه وتعالى، فهذه هي النية تصير العادات عبادات وهذا ما في الحديث.

● وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[٣].

جرير هذا من قبيلة خثعم، وهو سيد قومه على وجهه مسحة ملك، فكان يغطي وجهه في بعض الأوقات خوفاً من العين.

ويقول عمر: أما أنت يا جرير فأنت يوسف هذه الأمة.

وفد على الرسول ﷺ، ولما رآه الرسول ﷺ قال: «**من هذا؟**».

قالوا: جرير بن عبدالله.

قال: «**على وجهك مسحة ملك** ـ يعني من ملائكة السماء ـ **ما**

(١) رواه البخاري برقم (٥٥)، ومسلم برقم (٢٢٧٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦، ١٢٧٢)، ومسلم برقم (٤١٦٣).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٧، ٥١٨، ٢٦٥٨)، ومسلم برقم (١٦٢).

ذكر لي رجل إلا وكان أقل مما ذكر إلا أنت فكنت أعلى»[١]. وكان شاباً فأخذ بيده ﷺ وأدخله بيته فقرّب إليه وسادة ليجلس عليها فقال: لا بل أجلس على الأرض.

قال ﷺ: «**أشهد أنك من الذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا في السماء**» ثم قال: «**بايعني**» فبايعه على شهادة أن لا إله إلا الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، واشترط عليه شرطاً لم يكن يشترطه دائماً ﷺ فقال: «**والنصح لكل مسلم**».

والسبب في أنه اشترط عليه النصح لكل مسلم أنه كان سيد قبيلته، والسيد والوالي يشترط عليه هذا الشرط لأنه في مظنة أن يغشهم أو أن يظلمهم أو يجور عليهم، فاشترط عليه ﷺ النصح لكل مسلم.

قال أهل العلم: والنصح لكل مسلم يعم كل مسلم، لأن تميماً الداري يقول: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة**».

قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢].

قال محمد بن أسلم الطوسي وهو من أولياء الله الصالحين ومن أكبر عباد الله، وإنما غرضنا من سرد التراجم استثارة هممنا التي نامت، وإحياء لقلوبنا التي فترت، نسأل الله العافية والسلامة.

محمد بن أسلم الطوسي كان من الذين بلغوا إمامة الدين قال: ما سمعت شيئاً من السنة إلا طبقتها، يعني عمل بها. كان يقرأ الحديث فيتوقف لا يقرأ الحديث الثاني حتى يعمل بهذه السنة، فيقول كلاماً ما

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى برقم (٨٢٠٣، ٨٢٠٥)، وأحمد برقم (١٨٨٦٨)، وابن خزيمة برقم (١٧٩٧)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٨٥)، والحميدي في مسنده برقم (٨٠٣)، وانظر الإصابة (٢/٧٦).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان باب رقم (٤١)، ومسلم برقم (١٥٩).

معناه أورده ابن رجب في جامع العلوم والحكم قال: إن النصح لله بأن تؤدي الفرائض كما أمرك الله عز وجل، وأن تجتنب المحارم، وأن تحسن الأدب مع الحي القيوم بأن تتقي معه في الخلوة كما تتقي في الجلوة مع الناس، ثم كيف تستحي من الناس ولا تستحي من الله؟ والله يقول: أنا جليس من ذكرني.

فالنصح لله عز وجل أن تأتي كل أمرٍ يحبه وأن تكره وتبغض كل أمرٍ يكرهه سبحانه وتعالى، وأن تجعله معك حيثما حللت وارتحلت، فإنه الذي معك لا يفارقك سبحانه وتعالى.

وأما النصح لكتاب الله عز وجل فهو بأن تقرأه وتقيم حروفه، أي أنك تتعلم التجويد وتتعلم كيف تقرأ، لأننا نجتهد في أعمال الدنيا ونجتهد في أغراض الدنيا ولا نجتهد في أمور الدين.

قال: وأن تتلوه للتفهم والتدبر لا للتكثر ولا للزهو والرياء، أسأل الله العفو من كذلك.

ولذلك فإن من القراء من يدخل النار، **«وأول من تسعر به النار قارىء قرأ القرآن فقال الله عز وجل له: لماذا قرأت القرآن؟**

قال: تعلمت يا رب فيك فعلمت الجاهل.

قال: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، وإنما تعلمت ليقولوا عالم أو قارىء خذوه إلى النار.

فيجرونه على وجهه حتى يلقى في النار»[(١)].

فهذا الذي طلب القرآن وعلم القرآن لغير وجه الله سبحانه وتعالى.

ومن النصيحة لكتاب الله أن تعيش معه دائماً وأبداً، وأن يكون

---

(١) رواه مسلم برقم (٤٨٧٩).

لك كل يوم منه حزب سواء حفظت ما تيسر أو لم تحفظ، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لكنك تحفظ ما تيسر وما تقيم به صلاتك.

وليس من الفرض أن تحفظ كل القرآن، لكن فرض الأمة على فرض الكفاية أن تحفظ على الكفاية القرآن، فهذا هو النصيحة لكتاب الله.

ومن النصيحة لرسول الله ﷺ أن تحبه أكثر من أبيك وأمك ومن نفسك التي هي بين جنبيك، فتأخذ سيرته فتقرأها بتمعن أكثر من أن تقرأ كلام البشر وثقافة البشر.

فالنصح لرسول الله ﷺ هو أن نتبع سنّته وسيرته، وأن نتدبر القراءة في السيرة والسنة، يعني نقرأ في كتب الحديث ونتفهّم ونتزوّد أكثر مما نقرأ في خزعبلات الناس وفي تأليف الناس.

ومن النصيحة لرسول الله ﷺ أن نحيي سنته وننشرها بين الناس وخاصة في أهلنا وفي بيوتنا، فإذا دخلت بيتك فسلِّم، فهذا من السنة.

واطرق بابك.

وإذا قالوا من؟ قل: فلان، السلام عليكم أأدخل، فإن أطفالك وأخواتك وبناتك وإخوانك يعلمون ذلك، فيحيا بيتك على السنة فيكون بيتك من بيوت أهل الجنة.

وإذا جلست فاجلس جلسة أهل السنة.

وإذا أكلت تبدأ بيمينك وتسمي الله.

وإذا شربت تشرح لولدك كيف يشرب ويقسم الشرب ثلاث مرات وتحمد الله عز وجل.

ليكون بيتك بيتاً إسلامياً وتكون من الذين يرضى عنهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ

نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التّحْريم: ٦].

والنصح لأئمة المسلمين أن تطيعهم في طاعة الله، وأن تعصيهم في معصية الله، وأن تنصحهم بالتي هي أحسن، لأن الله أرسل موسى إلى فرعون فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، وقد أورد بعض أهل العلم في ذلك: دخل أحد الناس على هارون الرشيد فقال: يا هارون الرشيد ائذن لي أن أقول لك كلاماً.

قال: قل.

فرفع صوته وأغلظه وقال: إنك ظلمت وجرت وفعلت وفعلت.

فغضب هارون الرشيد حتى احمر وجهه وقال: يا هذا، أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، أما أنت فلا أقبل النصيحة منك وأقبلها من غيرك.

فالنصح لولاة الأمر أن يدعى لهم بظهر الغيب وأن ينصحوا إذا رؤي منهم غلط، فإنهم ليسوا معصومين.

والنصح لعامة المسلمين أن تحب لغيرك كما تحب لنفسك، فتكره أن تغلى الأسعار ولو كنت صاحب بضاعة.

فلا تكن صاحب مخازن من الأرز ومن الدقيق فدائماً بعد صلاة الفجر ترفع يديك وتقول: اللهم اجعل الأرز بثلاث مئة ريال! فهذا غش لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم.

ومن الغش لهم أن تحب أن يضر الله أهل بعض البلاد فتقول: اللهم أصبهم بقحط ولا تنزل عليهم القطر.. فهذا من الغش.

ومن الغش كذلك ألا تريد الخير لعامة الناس ولا تريد مجالس الخير ولا مجالس الذكر ولا تريد أن تنتشر حلقات العلم ولا من يدعو

إلى السنة أو إلى الكتاب أو يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، هذا من الغش العظيم ومن النفاق الجسيم، لأنه يظن أنها تكدر عليه صفو الحياة أو أنها تناقض بعض الأمور في ذهنه.

فمن النصيحة للمسلمين أن يحب الإنسان لغيره كما يحب لنفسه، يقول عمر بن عبدالعزيز: وددت أنه يعمل كل يوم بسنة ويسقط كل يوم مني عضواً.

ويقول رضي الله عنه وأرضاه ـ اسمع الناصح واسمع الزاهد ـ على المنبر: والله لوددت أن أضْرب بألف درة وتعملون بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ.

ويقول الإمام أحمد: يا ليتني كنت فداءً لأمة محمد ﷺ.

ولذلك كان الأئمة دائماً إذا دعوا في صلاتهم يدعون للأمة المحمدية ويدعون للمسلمين والمسلمات دائماً وأبداً بالتوفيق والنصر والرعاية، فهذا من النصح.

قال أهل العلم: فكان جرير بن عبدالله البجلي بعد هذه المبايعة مع الرسول ﷺ دائماً وأبداً ينصح لعباد الله، فقد باعه رجل فرساً فقال: بكم بعتني هذا الفرس؟

قال: بثلاث مئة.

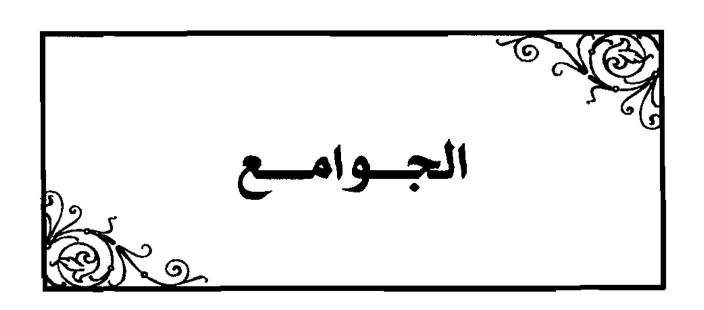
قال: أتريده بأربعمائة؟.

قال: نعم.

فزايده حتى بلغ ثمانمئة فقال: خذ هذه الثمانمئة فإني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم!

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.





الجــوامــع

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الناس أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين.

أيها الإخوة الكرام: عنوان هذا الدرس هو «الجوامع»، وصاحب الجوامع هو محمد عليه الصلاة والسلام الذي آتاه الله جوامع الكلم، فلم يخلق الله سبحانه وتعالى أفصح منه.

فما نطق أحد بألفاظ أروع من محمد عليه الصلاة والسلام.

وقبل أن أدخل في هذا الدرس ألفتُ أنظاركم إلى أمر معهود لديكم، وهو هذا السر الذي جعله الله عز وجل في هذه الأمة الخالدة بأنه جمعهم على كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلم يجمعهم سيف ولا كيان ولا دستور وضعي، وإنما حب في الله تعالى.

فشلت المجالس الأممية والجمعيات العمومية والقوانين الوضعية أن تجمع الناس.

وقد عرضوا مرة من المرات بديلاً عن الإسلام وهو «الماسونية»، وهي هيئة تقوم على إلغاء الفروق بين الإنسان في الظاهر، وأما في الباطن فهي يهودية.

وجعلوا من البدائل العلمنة، وهو مذهب إلحادي. لكنها أخفقت جميعاً وبقي دينه عليه الصلاة والسلام يستعد ومستعد أن يجمع الناس على لا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣].

والتأليف مظهره في أننا نستقبل البيت الذي خرجت منه لا إله إلا الله، والذي انبعثت منه الرسالة الخالدة، ونصلي صلاة واحدة ونصوم جميعاً ونجلس إلى بعضنا في إخاء تالد.

من الذي جمع مسلم اليابان، مع مسلم الجزيرة، مع مسلم السودان والعراق والمغرب وتونس والجزائر والإمارات واليمن؟ ومن كل بلاد الأرض جمعتهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وهذا السر دائماً يذكره أهل العلم في كتبهم ولا يوجد في أي دين آخر إلا في هذا الدين، واسمه الولاء والبراء والحب والبغض.

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام في سنن أبي داود أنه قال: **«من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»**[١].

وفي الصحيحين: **«أن تحب المرء لا تحبه إلا لله»**[٢].

وفي الصحيحين: **«ورجلان اجتمعا في الله وافترقا عليه»**[٣]، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

يقول إقبال:

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٧٢)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٣٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٦)، ومسلم برقم (١٢٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٥١، ١٤٠٣)، ومسلم برقم (٢٣٣٣).

إن كان لي نغم الهنود ودنُّهم   لكن هذا الصوت من عدنان

يقول: وإن كنت هنديّاً، فأنا أحمل إيماناً أتى به محمد عليه الصلاة والسلام.

الجباه كلها متجهة إليه والقلوب، فله الحمد على هذه المظلة التي جمعتنا وآخت بين قلوبنا.

أما الدرس فكما قلت لكم «الجوامع»، وقد صحّ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**بعثت بجوامع الكلم**...»[1] وفي رواية «**أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي اختصاراً**»[2] وفي رواية عند الدارقطني: «**واختصر لي الحديث اختصاراً**»[3]، فهو معجز في كلامه.. تأتي بكلمة له عليه الصلاة والسلام فتعرف أنه هو الذي قالها.

لا يستطيع أحد أن يقول مثل هذه الكلمة، ولا يفوق كلامَهُ سوى كلام الله (القرآن) المعجزة.

في مذكرات هتلر: لما أراد الجيش أن يدخل موسكو قبل الهزيمة، وقف خطيباً فيهم «لا أدري هل تكلم بالعربي أم بلغته»، فلما رأى الهول والدماء في العالم وظن أنه سوف يحتل العالم قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القَمَر: ١] فما وجد كلمة يعبر بها أعظم من هذه الكلمة.

ولكن تعالوا إلى كلامه عليه الصلاة والسلام، فأنا لا أتحدث عن معجزة القرآن، لكن من يستطيع من الناس أن يقول: «**إنما الأعمال**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٨٦١، ٧١١١)، ومسلم برقم (١١٢٠).

(٢) انظر: مجمع الزوائد برقم (٥٠٨، ٧٥٨)، جامع الأحاديث والمراسيل برقم (١٨٨٦، ٦٣٨٨).

(٣) رواه الدارقطني في السنن برقم (٤١٨٥).

بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى»[1]؟ هل يستطيع ذلك شاعر أو أديب أو فصيح أو زعيم أو قائد؟

أو: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»[2].

وأنا عندي وثيقة هذا اليوم، وثيقة أريد أن أشرحها لكم، وثيقة من محمد عليه الصلاة والسلام، كلمات معدودات ما فكر فيها ولا تأمل، إنما قالها فأعجزت أهل العلم، فهي تستحق مجلدة تشرح فيها ويصنف لها تصنيف خاص.

يقول عليه الصلاة والسلام في الصحيحين:

«**إن الله حرّم عليكم ثلاثاً وكره لكم ثلاثاً: حرّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[3]، هذه درر وجواهر.

بالله لفظك هذا سال من عسل ... أم قد صببت على أفواهنا العسلا
أم المعاني اللواتي قد أتيت بها ... أرى بها الدر والياقوت متصلا
لو ذاقها مذْنف قامت حشاشته ... ولو رآها غريب داره لسلا

وفي الحديث قضايا:

أولها: التحليل والتحريم للشارع الحكيم.

ثانيها: بلاغة الحديث، وفيه من أمور البلاغة أربع: اللف والنشر، والإيجاز، والسجع، والعدد.

ثالثها: عقوق الأمهات، وفيها قضايا.

---

(١) سبق تخريجه في أول الكتاب ص:٧.
(٢) سبق تخريجه ص:٥١.
(٣) سبق تخريجه ص: ٩٨.

وما معنى وأد البنات؟

وما معنى منعاً وهات؟

وما معنى كره؟

وما هي القضايا في قيل وقال؟ وكلام أهل العلم وشراح الحديث.

وكثرة السؤال ما المقصود بالسؤال؟

ومتى يكون صرف المال إضاعة؟ ومتى يكون حقاً؟

هذا هو الموجز وإليكم التفصيل:

الرسول ﷺ له طريقة بلاغية بديعة تسمى اللف والنشر، وهذه الطريقة في القرآن كمثل: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ [الواقعة: ١ ـ ٣]، ثم يأتي النشر.

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القارعة: ١ ـ ٣]، يأتي النشر فيها بعد.

فيقول ﷺ: «**إن الله حرّم عليكم ثلاثاً وكره لكم ثلاثاً**»[1]، ثم تحدث عنها مفصلة.

«**حرم**» و«**كره**»، هذه للشارع الحكيم ليست لأحد من البشر، فأي زعيم أو موجِّه أو منظِّر أو عالم أو فقيه أو محدِّث، لا يملك حق التشريع في الدين.

العلماء يُحتجُّ لأقوالهم ولا يحتج بأقوالهم، والتحليل والتحريم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦﴾ [النّحل: ١١٦].

---

(١) الحديث السابق الذي أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٦)، ومسلم برقم (٤٤٣٧).

فإذا رأيت رجلاً يحرم أو يحلل من غير دليل شرعي فهو معتوه أو أحمق أو زنديق، لأن من الزنادقة من أتى إلى الدين يستهزىء فحلل وحرم بلا برهان.

فالتحليل للشارع الحكيم: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والرسول ﷺ يملك حق التحليل والتحريم بخلاف خوارج العصر والذين يأخذون بظاهر القرآن ويقولون: السنة لا مجال لها هنا، وليس لها مصداقية ولا مكانة، ونأخذ بالقرآن فحسب.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه..**»(١). فالسنة مثل القرآن ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج.

قال ابن تيمية: الخوارج لا يأخذون من السنة إلا فيما وافق ظاهر القرآن.

أما أهل السنة فأخذوا بالسنة إذا صحت حتى في العقائد.

والمعتزلة لا يأخذون في العقائد بأحاديث الآحاد، أما أهل السنة فيأخذون بالسنة في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك، وهذه قواعد لا بد أن تفهم لشباب الصحوة الرائدة المقبلة على الله الذين يجب عليهم وجوباً لا استحباباً أن يربوا أنفسهم على العلم الشرعي لتكون هذه الصحوة منضبطة.

المسألة الثانية: بلاغة الحديث، وقد سبق معنا اللف والنشر، ثم

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٥٩٦)، وابن حبان برقم (١٢)، والبيهقي في السنن برقم (١٩٨٧٤)، والدارقطني في السنن برقم (٤٦٦٦)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (١٦٣).

مسألة الإيجاز فهو يتحدث بإيجاز مختصر.

ولو كان أحدنا يريد أن يتكلم عن هذه القضايا لكان أخذ ست محاضرات في عقوق الوالدين! ومحاضرة في وأد البنات، ومحاضرة في منع وهات، وقيل وقال، وكثرة السؤال محاضرة، وإضاعة المال محاضرة.

ولكن الرسول ﷺ جمعها في أسطر، وهذه هي البلاغة، وهذه هي الفصاحة، ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٤٨﴾ [العَنكبوت: ٤٨].

ليخرج من بين الصخور السود والجبال السود في مكة فإذا هو أفصح فصيح. يقول (كرسي ميرسون) الأمريكي: إن من أعظم معجزات هذا النبي الأمي أنه ما تعلم ولا قرأ ولا كتب، وبعد أربعين سنة يكون أكبر مفتٍ في الدنيا وأكبر خطيب في المعمورة، هذه أكبر معجزة.

بالله عليكم إنسان عاش أربعين سنة ما حمل قلماً ولا مرسمة ولا عرف سبورة ولا شيخاً ولا أستاذاً، ويأتيه الوحي في حراء فينطلق يتكلم للناس، فإذا هو أفصح من يتكلم في المعمورة وأفتى مفتٍ وأخطب خطيب وأشجع شجاع وأقوى قائد وأعظم سياسي في المعمورة، فهذه معجزة لوحدها، يقول شوقي:

أخوك عيسى دعا ميْتاً فقام له ... وأنت أحييت أجيالاً من الرمم

يقول: عيسى عليه السلام بإذن الله كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، لكن أنت أحييت شعوباً.

لقد كان مسلمو الجزيرة رعاة غنم وإبل وما كان عندهم ثقافة ولا حضارة ولا فنون ولا دراسة ولا شيء، وبعد خمس وعشرين سنة يدخلون حدائق الأندلس ويؤذنون في قرطبة، ويدخلون السند

ويستشهدون في كابول ويرفعون لا إله إلا الله في صقلية وقبرص.

بماذا؟

بالإسلام، وهذا هو السر العظيم الذي أتى به محمد ﷺ.

فالإيجاز في الكلمات نحن نفتقدها جميعاً، مهما أوتي الإنسان من الفصاحة لا يستطيع أن يجاريه ﷺ.

ما بنى جملة من اللفظ إلاّ وابتنى اللفظ أمة من عفاء

كلمة واحدة يحيي بها الله ألوفاً من الناس وهي منه ﷺ.

الأمر الثاني: السجع في الحديث، وهو موافقة أواخر الكلم على حرف.. مثل: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات**»، «**ووأد البنات**»، «**ومنعاً وهات**»، تنتهي الكلمات بالتاء.

ثم قال: «**وكره لكم قيل وقال**»، «**وكثرة السؤال**»، «**وإضاعة المال**»، فانتهت باللام.

ولكن الرسول ﷺ كره السجع، فقد جاءه رجل من الأعراب فقال: يا رسول الله: (كيف يودى من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهلّ، ومثل ذلك يطلّ)، قالها في قصة طويلة ينكر فيها حكم الرسول ﷺ بالدية عليه لقتله حمل المرأة.

فقال ﷺ: «**أسجع كسجع الأعراب**»[1]، يقول: كيف تسجع كسجع الكهان؟ وغضب ﷺ.

يقول أهل العلم: كيف غضب هناك ﷺ بينما سجع هنا؟

والقرآن فيه سجع كثير، ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢

(١) أخرجه البخاري بلفظ «**إنما هذا من إخوان الكهان**» برقم (٥٦٢٧)، ومسلم بنفس اللفظ برقم (٤٣٤٧)، وأبو داود برقم (٤٥٦٠).

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣﴾ [الذاريات: ١ ـ ٣] هذا سجع.

بينما لام أهل العلم مسيلمة الكذاب يوم أتى يقول في قرآنه المخرف الذي أوحاه له الشيطان الرجيم وذكره ابن كثير في البداية وغيره، يقول: والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً والخابزات خبزاً!!! يعارض بها سورة الذاريات.

فلامه أهل العلم وكذبوه ولعنوه، فما الفرق بين هذا السجع والسجع الذي قاله ﷺ؟

يقول بعض الفضلاء: الفرق في أمور:

أولاً: ذاك تكلف، والرسول ﷺ ما تكلف، بل أتى سجعه سجية كذا مثل الهواء، مثل الماء البارد، يتكلم به فأتى على لسانه، وأما الأعرابي ذاك فقد تكلف وفكر فيها ساعات ونظمها.

وقد قال عمر في صحيح البخاري في كتاب الأدب: نهينا عن التكلف[1].

ولذلك ينهى في دعاء الوتر من بعض الأئمة أن يتكلفوا في الدعاء، فبعضهم يبقى أربعين دقيقة يدعو بالناس في القنوت أو أكثر ويبْكي ويبكي الناس في القنوت وهو ما بكى في القرآن.

يمر بسورة يوسف التي تبكي الحصى وتبكي الحجارة فلا يبكي.

كان عمر إذا قرأ سورة يوسف يبكي ويبكي المسجد معه.

حتى وجد أن بعض الأئمة يحفظ دعاء التراويح من قبل رمضان ويكتبه في أوراق ويحفظه.

والمسألة سهلة! لماذا لا يدعو بجوامع الكلم؟ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى

(١) رواه البخاري برقم (٧١٢٩).

﴿ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، (اللهم إنا نسألك العفو والعافية)، فالدين بلا تكلف.

بل بعضهم يتكلف حتى في الصوت، وقد قلت في بعض المناسبات: أن هذا الأمريكي (دايل كرنيجي) صاحب كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) يقول: لا تتقمص شخصية غيرك.

يقول: أنت خلقك الله شخصية مستقلة فلا تتقمص شخصية غيرك.

لكن عندنا أروع منه قول الرسول ﷺ في الترمذي ولو أن في سنده نظر: «**لا تكونوا إمعة**»[(١)]، يعني لا تلغي شخصيتك وتذوب في غيرك، لأن بعض الناشئة من الشباب يعجب بعالم فيقلده حتى في سعاله ونحنحته.

خلق الله له سعالاً خاصاً لكن يسعل مثل سعال الشيخ! ويبكي مثل بكاء الشيخ! ويمشي مثل مشية الشيخ! وهذا تقليد مذموم.

نعم! قلِّد الشيخ في الكرم، قلِّده في العلم، قلِّده في الصبر، قلِّده في الحلم، أما أن تقلده في هذه الحركات الظاهرة فهذه سذاجة.

أعود إلى الحديث فأقول: السجع هناك جاء متكلفاً، وهنا جاء في غير كلفة.

الأمر الثالث: أن هذا الرجل الذي ذمه ﷺ أتى لصرف الحق، وأتى لغرس الباطل ودحض الحق، فالرسول ﷺ أنكر عليه ذلك ورفض ﷺ هذا المبدأ لأنه لا يصح.

في الحديث يقول ﷺ: «**حرم عليكم ثلاثاً وكره لكم ثلاثاً**»، وهذا لا يقتضي الحصر.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٠١٣)، وانظر المشكاة برقم (٥١٣٩) وورد موقوفاً على ابن مسعود، انظر: مجمع الزوائد برقم (١٥٨).

أما حرم الله علينا في الدنيا إلا هذه الثلاث؟ ولا كره لنا إلا هذه الثلاث؟

لا.. بل حرّم الله عز وجل كثيراً من الأمور تبلغ المئات، فحرم الشرك، وحرم الزنا، وحرم الربا، وحرم الكذب، وحرم الغيبة، وحرم النميمة.

فالعدد هنا لا يقتضي الحصر.

وهناك عدد لا مفهوم له، كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: ٨٠]، هذا لا مفهوم له.

فلو استغفر ﷺ فوق السبعين ما غفر الله لهم.

المسألة الثالثة: قال ﷺ: «**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات**»، وعقوق الآباء أليس محرماً؟ بلى، ولكن قالوا: يدخل في هذا عقوق الآباء.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**الزم رجلها، فثمَّ الجنة**»(١)، ومعنى ذلك أن الجنة قريبة إذا بر العبد أمه فإنها في متناول يده بسبب هذا البر.

وقال أهل العلم: للأم ثلاثة أرباع الحق وللوالد الربع، وأخذوه من قوله ﷺ في الصحيحين لما جاءه رجل فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٥٨٥٢)، وانظر: مجمع الزوائد رقم (١٠٤٣١)، وجامع الأحاديث والمراسيل (٤١٣٤). وفي رواية «**فالزمها، فإن الجنة تحت رجليها**» وهي عند النسائي برقم (٣١٠٦، ٤٢٧٦)، والبيهقي في السنن برقم (١٨١٩٥)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٣٢٦).

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أمك**».

قال: ثم من؟

قال: «**أبوك**»[١].

فجعل للأم ثلاثة أرباع الحق وللأب الربع الواحد، لأن الأم قامت بأمور لا يعلمها إلا الله من البر والصلة والعناء والمشقة والأسى واللوعة.

ورد في ترجمة ابن عمر بسند جيد رضي الله عنه وأرضاه أنه كان يطوف بالبيت ورجل من أهل اليمن يطوف بالبيت حاملاً أمه في شدة حرارة الشمس، وقد تصبب العرق من وجهه وهو متعب ومرهق.

فقال: يا ابن عمر أرأيتني جازيت أمي بما فعلت بي؟

قال ابن عمر: والله ولا بزفرةٍ من زفراتها.

وأورد الزمخشري في الكشاف ونسبه إلى الطبراني، أن رجلاً وفد إلى الرسول ﷺ فقال ﷺ: «**ما لك؟**».

فقال: يا رسول الله ابني ربيته فلما كبر عقَّني وظلمني.

قال: «**هل قلت فيه شعراً؟**».

قال: نعم يا رسول الله.

(١) سبق تخريجه.

قال: «**ماذا قلت؟**».

لأن العرب كانت تنفث همومها في الأشعار، إذا اهتم الواحد منهم أو عقه ابنه، أو طال عليه الليل، أو ضاعت ناقته، نظم قصيدة، فهي أمة فصيحة.. أمة رائعة تتعامل مع الشعر، فلما أتاها الوحي كفاها.

قال الرجل:

غذوتُكَ مولوداً وعِلتُك يافعاً ... تعلّ بما أجري عليك وتنهلُ
إذا ليلةٌ ضافتكَ بالسقم لم أبتْ ... لسقمكَ إلا شاكياً أتململُ
فلما بلغتَ السنَّ والغَاية التي ... إليها بدا فيك ما كنتُ أؤملُ
جعلتَ جزائي غلظةً وفظاظةً ... كأنك أنت المنعِمُ المتفضلُ

فدمعت عيناه ﷺ وجاء بالابن وهزّه بثوبه وقال: «**أنت ومالك لأبيك**».

أصل كلمة: «**أنت ومالك لأبيك**»[1] صحيحة، لكن القصة فيها كلام فهي من باب أحاديث السير.

فعقوق الأمهات يدخل فيها تبعاً عقوق الآباء.

وما معنى عقوق الأمهات؟

قال بعض العلماء: قطع الأم والوالد من الزيارة.

وقال بعضهم: ألا تنفق عليهما وهما يستحقان النفقة.

وقال بعضهم: أن تعقهما حتى يبكيا من العقوق، فإذا بكيا فقد بلغت درجة العقوق.

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٣٥٧)، وأحمد في المسند برقم (٦٨٨٣)، وابن حبان في صحيحه برقم (٤٠٩، ٤١٨٢) والبيهقي في السنن برقم (١٦٠٥٤).

والصحيح أن عقوق الوالدين تكدير خاطرهما وعصيانهما في غير معصية الله عز وجل، وعدم الوفاء بحقوقهما، فإذا لم يرضيا عنك فأنت عاق.

قال: «**ووأد البنات**»، وهو قتل البنات وهن على قيد الحياة، وهذا مذهب للعرب، فقد كانوا في الجاهلية يصيبهم العار من أن يرزق الرجل منهم بنتاً فيذبحها ويقتلها وهي صغيرة، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التّكوير: ٨، ٩]، سوف يسألها الله ويسأل من قتلها.

وأول من قتل الموؤودة قيس بن عاصم المنقري التميمي، وهو من سادات العرب وكان حليماً كريماً، لكن خشي العار كما زعم فأتته ابنة فقتلها وكسر عنقها ودسّها في التراب ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ﴾ [النّحل: ٥٩]، فدسها في التراب ورزقه الله الإسلام فيما بعد.

وكان حليماً وسيداً مطاعاً.

قال: يا رسول الله، رق عظمي وشاب رأسي ودنا أجلي، فعظني.

قال: «**يا قيس، إن مع القوة ضعفاً، ومع الغنى فقراً، وإن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، يا قيس إن معك قرين يدفن معك وأنت ميت وتدفن معه، هو عملك**»(١).

فبكى قيس بن عاصم. وهو المقصود بقول القائل:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من ألبسته منك نعمة ... إذا زار عن بعْد بلادك سلّما
وما كان قيس موته موت واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

---

(١) تقدمت قصة قيس في ص: (١٤٠) وانظر البداية والنهاية (٧١/٥)، ومجمع الزوائد (٧٩٥٤، ١٨٧٧١).

والحمد لله انتهى وأد البنات مع الإسلام، ولكن ظهر نوع من الوأد العصري للمرأة. ففي الجاهلية القديمة كانوا يذبحونها بالسكين، أما في الجاهلية العصرية فتقتل إرادة المرأة وحرية المرأة وكرامة المرأة وحق المرأة، وهم يزعمون أنهم ينادون بحرية المرأة، ويزعمون أنهم ينادون بحق المرأة، ويزعمون أنهم يحافظون على حقوق الإنسان.

وما أكلوا شيئاً كما أكلوا الإنسان أو شربوا.. فهم الذين أكلوا المرأة وشربوها في كرامتها ومروءتها.

وأد المرأة في هذا العصر أن ينزع حجابها ويهاجم الحجاب ويدعى أنه رجعية وتخلف.

وما هو إلا العظمة والروعة والجمال للمرأة.

وما هو إلا الستر والصون والكرامة.

ووالله يوم كانت المرأة متحجبة كانت لها قيمة، وكانت النفوس تحبها وتقدرها، فلما تبذلت المرأة وأدخلت بعد الحرب العالمية الثانية في أتون المصانع، وأصبحت عاملة، وأصبحت موظفة وسكرتيرة وتشارك في البرلمان، أصبحت ممجوجة ومملولة وأصبحت متبذلة.

يقول الشاعر العربي:

إذا سقط الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماءٍ إذا كن الكلاب ولغن فيه

ومن وأد المرأة أن نجعلها في غير المكان المناسب الذي خلقها الله له.

خلقها الله أمينة على الجيل مربية.

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم نبت إن تعاهده الحيا بالريِّ أورق أيما إيراق

الأم رسالة أخرجت العظماء، فهي أم خالد وسعد وطارق وحسان وأبو بكر وابن تيمية وصلاح الدين والعظماء على مر التاريخ.

فأرادها النبي ﷺ والإسلام أن تكون جوهرة في صدف.

ومن وأد المرأة أن هاجموها وسحقوا كرامتها أمام العالمين، فمرة بمقالة تستهزىء بالنقاب والحجاب ويسمونه خيمة.

ومرة يقولون: متى يسمع صوت المرأة؟

قال: «**وحرّم عليكم منعاً وهات**»، أن تمنع ما في يدك، فالبخل حرام في الإسلام.

والبخل نوعان: بخل بالعلم، وبخل بالمال.

والبخل بالعلم أشد وأنكر، وهو من أكبر الذنوب والخطايا. يقول سبحانه وتعالى عن البخل بالعلم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٩، ١٦٠].

لم يكن عند علماء الإسلام بخل بالعلم، فعالم المسلمين وعلماء السلف كانوا علماء عامة، كالإمام أحمد والبخاري ويحيى بن معين وابن المديني ومسلم والترمذي وأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن تيمية وابن القيم، فكلهم علماء عامة.

ما كان العالم يغلق عليه ثلاثة أقفال، فإذا أتيته تستفتيه كأنك تراجعه في معاملة (تعال بكرة)! ويفتيك بالقطّارة. كأنه ينفق عليك من شحمه ولحمه ودمه.

لا.. بل كان علماء أهل السنة تجدهم في السكة، وفي الشارع، وفي المسجد، وفي البيت، وفي المهرجان، وفي المقبرة، وفي كل مكان ينشرون علمهم كما ينشر السيل.

وأخطأ من قال: العالم لا بد أن ينفصل عن المجتمع، ولا بد أن يربي الشباب تربية فردية ولا يتصل بالعامة، فقط لأن الانتقاء وارد.

نقول: قد تكون هذه من الوسائل، أما أن ينصرف علماء الإسلام عن العامة فهذا الخطأ الواضح، حيث سيختلي بهم كل أفاك أثيم.

والمنع بالمال أن يبخلوا ويأمروا الناس بالبخل.

والبخل كريه والبخل أسود، وأشر الأخلاق البخل.

والعرب ما ذمت خلقاً كما ذمت البخل وكرهته، حتى أصبح كالكفر عندهم، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وأما كراهية السؤال فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**»[١]. وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم**»[٢]، وورد أيضاً في المسألة أن النبي ﷺ قال: «**من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح**»[٣].

فسؤال المال من غير حاجة ملحة محرم، والذين يسألون الناس ولهم ما يكفيهم هؤلاء لا ميزان لهم عند الله ولا قدر.

شاب في الثلاثين يطلب الناس!! اذهب يا أخي وتاجر وابذل واخدم نفسك.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٦٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤٩)، وأحمد برقم (٤٦٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٦٢٧)، والترمذي برقم (٦٤٥)، والدارقطني في السنن برقم (١٩٧٤)، والبيهقي في السنن برقم (١٣٣٦٧).

دخل عمر رضي الله عنه وأرضاه إلى المسجد فوجد شباباً جالسين في المسجد فقال: ماذا تفعلون؟

قالوا: نعبد الله.

قال: من يطعمكم ويسقيكم؟

قالوا: الله.

قال: أعلم أنه الله. لكن من يقدم لكم الطعام والشراب؟

قالوا: جيراننا.

قال: انتظروني قليلاً، فذهب وأغلق عليهم الباب وأخذ درة من خشب تخرج الوساوس من الرؤوس فضربهم بها وطردهم وقال: اخرجوا، إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة!

فالواجب على المسلم أن ينزه نفسه عن المسألة، وأن يتعفف عن الناس، وأن يطلب الرزق الحلال من الله.

قوله: «**قيل وقال**»، وهو الذي يشعّب الكلام على الناس فينقله.. فهمّه أن يصبح كوكالة الأنباء: قال فلان ورد عليه فلان، وسمعت أن فلاناً قال ولكن فلاناً يعترض عليه.

يتناقل الشائعات وليس عنده عمل، فلا يعرف أن يقرأ القرآن ولا يتدبر ولا يطلب العلم ولا يدعو إلى الله، متفرغ لهذه الأقاويل منذ الصباح.

قوله: «**كثرة السؤال**»، قيل: كثرة السؤال بالتعنت بأن يسأل العلماء ليعنتهم بالمسائل، يعني ما يستفيد.. فقط يعنت طلبة العلم، وهذه يجيدها كثير من الشباب وللأسف ليثبت للناس أنك لا تعلم شيئاً. فيأتي بالمسائل الشاذة والغريبة والمحيرة التي لا يفتي فيها فطاحل العلماء، وكل هدفه أن يوقفك عند حدك كما يزعم.

وهذه لا علاج لها إلا العلاج الذي يصرف من صيدلية عمر! فعندما جاء (صبيغ) يسأل في التفسير ويتعنت ويتكلف قبض عليه الفاروق وعاقبه بالضرب والنهر حتى تاب من فعله ذلك، وهذه يستحقها من يفعل كفعل صبيغ في كل مكان وزمان.

وقال مالك: النهي عن الأسئلة، أي: الأغلوطات، وهي المسائل الصعبة العويصة لا لقصد الانتفاع، كمسألة أهل الفترة ومسألة أولاد المشركين ومسألة الجن ودخولهم الجنة ونحو هذه المسائل.

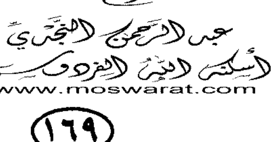
قوله: «**وإضاعة المال**»، أي على المعصية كما يفعل بعض الأغنياء اليوم عندما يضيعونه في السفريات والسياحة واللهو والمعاصي المتنوعة، ولكنك لو أردت منه دعماً للإسلام أو للمسلمين لرفض وأبى وانقلب كأشد بخيل على وجه الأرض.

والإسلام وسط لا إسراف ولا تقتير، بل بين ذلك قواماً كما ذكر سبحانه.

أسأل الله أن يفقهني وإياكم في دينه وفي كتابه.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.







هدي نبوي

١ ـ الحلة الثمينة.

٢ ـ رحمة الأبناء.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

١ ـ الحلة الثمينة:

رأى عمر حلة سيراء تباع فقال: يا رسول الله ابتع هذه والبسها يوم الجمعة وإذا جاءك الوفود.

قال ﷺ: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له**».

فأتي النبي ﷺ بحلل فأرسل إلى عمر بحلة فقال: كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟

فقال ﷺ: «**إني لم أعطكها لتلبسها ولكن لتبيعها أو تكسوها**»، فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم[1].

هذا الحديث له قصة وفيه قضايا:

أما قصته فكما سبق، فقد كان عمر رضي الله عنه وأرضاه يريد

(١) سبق تخريجه.

أن يظهر الداعية ﷺ بمنظر الجمال والجلال والكمال، لأنهم ـ أي الصحابة ـ كانوا يحبونه أكثر من أنفسهم ﷺ.

ففي صحيح البخاري أن عمر قال: يا رسول الله إنك أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي.

قال ﷺ: «**لا يا عمر**»، أي ما وصلت تلك المنزلة التي يريدها الله والتي أريدها منك.

فقال ﷺ: «**لا حتى أكون أحب إليك من نفسك**».

قال عمر: فوالله الذي لا إله إلا هو يا رسول الله إنك أحب إليّ حتى من نفسي. فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»[(١)].

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: قال ﷺ: «**ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ـ ومنها ـ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»[(٢)].

فعمر رأى هذه الحلّة وهي لعطارد بن حاجب بن زرارة، وهو تميمي وفد للمدينة بحلل يبيعها، وكان هذا في السنة التاسعة كما بيَّن ذلك ابن حجر الحافظ.

وكان عطارد من بني تميم بل هو أخطبهم، فقدم معهم عندما أتى وفد بني تميم إلى النبي ﷺ وكانوا قد استعدوا بشاعرهم وخطيبهم ليتحدوا خطيب وشاعر النبي ﷺ.

فذهبوا إلى النبي ﷺ وقالوا: نريد الإسلام ولكن قبل أن نسلم بين يديك نشترط عليك شرطاً.

قال: «**ما هو الشرط؟**».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٥)، وأحمد في مسنده (٢٢١٢٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٦، ٢١)، ومسلم برقم (١٢٨).

قالوا: لا نسلم حتى نفاخرك وتفاخرنا.

وهذه سنة عند العرب في الجاهلية، إذا وفدوا عند الملوك تمادحوا وتفاخروا في حلبة المصارعة لينظروا من ينتصر ويفحم خصمه.

فوافق ﷺ وأجاب طلبهم، وهذا من سماحته ما دام لا يعارض هذا الإسلام، ولو ردهم أو رفض طلبهم لخسر قبيلتهم كلها.

ثم أمر حسان بن ثابت شاعره وثابت بن قيس خطيبه بالاستعداد.

فقام خطيبهم (وهو عطارد صاحب الحلّة) وكان خطيباً مصقعاً كأنه الرعد عندما يتقاصف، فأخذ المنبر وبدأ يمدح بني تميم ويذكر فضائلهم. فلما انتهى نادى النبي ﷺ ثابت بن قيس فقام يرد على خطيبهم، فنزل عليهم بصواعق متتالية حتى أذعنوا وسلّموا بأن خطيب النبي ﷺ أفضل من خطيبهم.

ثم قام الزبرقان بن بدر شاعرهم فقال:

نحنُ الملوك فلا حي يضارعنا مِنّا الملوك وفينا تنصب البيع

في قصيدة طويلة.

فلما انتهى قام حسان رضي الله عنه يرد عليهم بنفس قافيتهم ليكون أبلغ في التحدي.

فقال رضي الله عنه:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنّة للناس تتبع

يقول: المكرمات عند الرسول ﷺ وليست عندكم.

يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

في قصيدة طويلة.

فقالوا: غلب شاعرك شاعرنا فأسلموا[1].

فجاء عطارد هذا بحلة من ديباج، وقيل من حرير، فأراد أن يهديها مع حلة أخرى فرفضها ﷺ، فتعرض عمر رضي الله عنه للحلة فرآها في السوق تباع، وكانت جميلة وكان عمر يريد كل جميل للرسول ﷺ، فدل المصطفى ﷺ عليها وقال له: «**تلبسها لصلاة الجمعة وللوفود**»، أي يريده أن يظهر في الخطبة بمظهر جميل وهكذا عند لقاء الوفود، لأن جمال الخطيب وبهاءه مما يساعد على قبول الحق ويعطيه هيبة.

والرسول ﷺ لم ينكر عليه أنه يريد الجمال فما قال له: أنا لا ألبس الجميل أنا أريد الزهد، بل أقره على الجمال وعلى اللباس الحسن للخطيب وللمسلم، وإنما أنكر عليه نوع الحلة التي هي من حرير وقال: «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له**».

قال أهل العلم: أي من لا حظ له عند الله في الآخرة، لأن الكافر يأكل ويشرب من الحلال والحرام، ولكن يلقى الله ولا نصيب له عنده.

والرسول ﷺ ما كان يحرم اللباس الجميل، فلا يظن بعض الناس أنه إذا استقام والتزم أن عليه أن يلبس ثوباً ممزقاً وغترة وسخة، وأن عليه أن لا ينظم حاله ولا يظهر بالجمال.

فهذه دروشة لا يعترف بها الإسلام.

أين الجمال إلا في الإسلام؟

وأين الروعة إلا في الإسلام؟

وأين النظافة إلا في الإسلام؟

(١) انظر خبر وفد بني تميم في سيرة ابن هشام (٢/٥٦٠).

وأين القوة إلا في الإسلام؟

أما رأيت الله كيف جمّل الكون؟ لأنه جميل يحب الجمال.

عند مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه قال رجل: يا رسول الله إني أحب أن يكون لباسي جميلاً ونعلي جميلاً، أفمن الكبر هذا يا رسول الله؟

قال: «**لا إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[١]، بطره أي: ردّه، وغمط الناس: أي احتقارهم وازدراؤهم.

ولذلك كان ابن عباس يلبس حلة بألف دينار.

فقالوا له في ذلك.

قال: أريد أن أظهر نعمة الله عليّ، وأعز دين الله الذي أرسل به محمداً ﷺ.

وكان مالك بن أنس يلبس من أحسن الحلل وهو من أتقى الناس فقالوا له في ذلك.

قال: أريد أن أنصر هذا الدين بهذا اللباس.

وبعد فترة دعا الرسول ﷺ عمر رضي الله عنه وأرضاه.

والرسول ﷺ دائماً يعيش مع أبي بكر وعمر في مشوراته وفي جلساته وفي سمراته، فهو دائماً يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فهو يحب الشيخين صاحبيه لأن عليهما اعتلى الإسلام بعد وفاته ﷺ.

فلما جاءته حلة تشابه حلة عطارد دعا بعمر وأعطاه إياها.

فاستغرب رضي الله عنه كيف يعطيه إياها وقد قال في حلة عطارد

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٥)، والترمذي برقم (٢٠٠٥).

ما قال؟ فقال ﷺ: «**إني لم أعطكها لتلبسها**».

لا يشترط في الهدية أن تلبسها فلك بيعها أو إهداؤها.

والحرير محرم بنص الرسول ﷺ كما عند الإمام أحمد بسند جيد، أنه قال: رفع رسول الله ﷺ حريراً بيمينه وذهباً بشماله فقال: «**أحل لإناث أمتي وحرم على ذكورها**»(١).

وعن ابن عباس قال أن النبي ﷺ أخرج في يده قطعة من ذهب وقطعة من حرير فقال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي، وحلال لإناثهم**»(٢).

فالحرير يهدى للنساء ليلبسنه لا أن يلبسه الرجال.

فعمر لما علم هذا أهداها إلى أخ له مشرك في مكة.

في الحديث قضايا:

أولاً: الحلة لباس كالثوب يلبسه الملوك والأغنياء والوجهاء من العرب، وكانت تنسج باليمن ومنها ما ينسج في الشام بالقطن، وأجودها ما نسج في اليمن بالحرير، وكانوا يلبسون ما حرم لأنهم بلا دين، ولذلك يقول حسان في الغساسنة:

يمشون في الحلَلِ المضاعف نسجها   مشي الجمال إلى الجمال البزّل

ثانياً: في الحديث إشارة إلى أن المعهود والمستقر عند الصحابة أن الخطيب والمصلي يوم الجمعة عليه أن يلبس لباساً جميلاً بل يلبس أحسن ما يجد.

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٩١٣٤)، والنسائي برقم (٥٢٤٩)، والطيالسي في مسنده برقم (٥٠٦).

(٢) انظر مجمع الزوائد برقم (٩٥٦٨).

فعلى المسلم أن يتجمل ليوم عيد المسلمين، وهو يوم الجمعة، وأن يلبس أحسن لباس.

ثالثاً: الذين لا خلاق لهم عند الله هم الذين باعوا أخراهم بدنياهم، والذين ما عاشوا لا إله إلا الله، وما استظلوا بمظلة لا إله إلا الله.

وهم الذين ظنوا أن الحياة حياة بطون وفروج، فعموا وصموا عن لا إله إلا الله.

فهم لا يسألون عن الحرام ولا عن الحلال، ولكنهم عندما لبسوها في الدنيا لم يلبسوها في الآخرة جزاءً وفاقاً، وهكذا كل محرم استعجله صاحبه في الدنيا لم يذقه في الآخرة، كالخمر والغناء وغيرها من المحرمات.

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له**»[1].

ولذلك يقول ابن القيم:

قال ابن عباس ويرسل ربنا ... ريحاً تهز ذوائب الأغصان
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الإنـ ... ـسان كالنغمات بالأوزان
يا خيبة الآذان لا تتعوضي ... بلذاذة الأوتار والعيدان

وكذلك من شرب في إناء الفضة حرمه الله الشرب في آنية الفضة، وكذلك الذهب.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١)، وأحمد برقم (١٣٥٥).

ففي صحيح البخاري ومسلم عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تأكلوا في آنية الذهب والفضة، ولا تشربوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»**[١].

فحق على الله عز وجل أوجبه على نفسه أن من ترك شيئاً له عوضه بخير منه.

فإني أدعو نفسي وإياكم لترك هذه المحرمات ليعوضنا الله خيراً منها في الجنة.

رابعاً: جواز الهدية للمشرك، لأن في الحديث أن عمر أرسلها لأخيه وكان مشركاً.

قال أهل العلم: إن كان يطمع أن يسلم هذا المشرك فله ذلك، لأن ذلك يكون تأليفاً لقلبه وتحبيباً له في الإسلام.

فأنت إذا رأيت قريباً لك ضالاً أو مشركاً أو كافراً فلك أن تتحفه وتهديه، ولك أن تهش وتبش في وجهه، لعل الله أن يرزقه الهداية والإسلام.

ذكروا في ترجمة عبدالله بن المبارك رضي الله عنه أنه كان له جار يهودي، فكان إذا اشترى لحماً بدأ به وإذا أتى بفاكهة أعطاه.

فجاء بعض التجار إلى اليهودي وقالوا: نشتري بيتك.

قال: بيتي بألفي دينار: ألف قيمته وألف قيمة جوار ابن المبارك!

فسمع عبدالله بن المبارك فتأثر بهذه الكلمة فأعطى اليهودي ألف دينار وقال: هذه قيمة الدار ولا تبعها، ثم دعا له.. فأسلم.

وبعض الناس يغلط في مبدأ الولاء والبراء الذي قال فيه ﷺ:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٩٩)، ومسلم برقم (٥٣٥٥).

«من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان»[١]، رواه أبو داود بسند صحيح.

يخلطون بين هذا وبين بر الكافر أو المشرك وصلته، خاصة إذا رجي إسلامه، فهم يتنكرون لكل كافر ولا يلقونه بابتسامة أو بأمور تجذبه إلى التعرف على الإسلام وإنما هو العبوس والعنيف، وهذا ما جعل كثيراً من الكفرة لا يحرصون كثيراً على التعرف على هذا الدين وهم بين أظهره وقريبين منه.

ذكر الغزالي أن رجلاً كافراً صاحب ابن مسعود إلى طريق الكوفة، فلما فارقه قال ابن مسعود: روفقت بالسعادة.

فقيل له: أتقول هذا لكافر؟

قال: سبحان الله رافقني ساعة والله يقول: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البَقَرَة: ٨٣].

فلا بد من التفرقة بين البراء وعدم مودة الكافر، وبين تأليف قلبه بالكلمة أو بالبسمة لعله أن يسلم ويهتدي.

خامساً: أن اللباس الجميل لا يعارض الزهد، وقد مر هذا في غضون الحديث.

دخل فرقد السبخي الزاهد على الحسن البصري بثوب صوف ممزق.

فأشاح الحسن البصري بوجهه وقال: لعلك ظننت أن الرسول ﷺ حبّذ الصوف، والله إني أخاف عليك أن تفتن بهذا اللباس أخوف عليّ ممن يلبس البرد والحلل.

وهذا موجود عند بعض الناس عندما يلبس لباساً ممزقاً ليظهر بين

---

(١) سبق تخريجه.

الناس أنه زاهد وأنه متقشف، وهذه شهرة والشهرة مذمومة.

ولكن أحسن الأمور أوسطها، بأن تلبس ما يلبسه جمهور الناس، فلا تلبس الغالي الذي يلفت نظر الناس، ولا تلبس الرخيص الذي يلفت نظر الناس.

قال النووي في رياض الصالحين: ويكره أن يقتصر من اللباس على ما يزري به نفسه أو كما قال.

ولذلك في سنن البيهقي بسند فيه نظر: «**نهى رسول الله ﷺ عن الشهرتين**»[1]، أي من يلبس الغالي أو الزهيد ليلفت الناس ويشتهر بينهم.

٢ ـ رحمة الأبناء:

قال البخاري: (باب) رحمة الوالد لولده وتقبيله ومعانقته.. عن أنس رضي الله عنه قال: أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبله وشمه.

الرسول ﷺ هو كما قال الله عز وجل عنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ومن رحمته ﷺ أنه كان يعانق الأطفال ويقبلهم ويمازحهم ويحملهم، لأن جبابرة العرب ما كانوا يستصحبون الأطفال في مجالسهم ولا كانوا يحملون الجواري على أكتافهم، بل كانوا يقتلون الجواري.

فلما أتى الرسول ﷺ بيَّن لهم أن من الرحمة رحمة الأطفال.

ولذلك من حقوق أهلك عليك ومن حقوق أطفالك عليك أن يكون لهم ساعة من يومك وليلك، تعانقهم وتقبلهم وتمازحهم، لأنهم يشتاقون لدخولك والجلوس معك، وهذا ما كان يفعله ﷺ.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن برقم (٦١٣٢)، وانظر جامع الأحاديث والمراسيل برقم (٥٩٨).

ولا يعتذر أحد بأنه مشغول بوظيفته أو بعمله، فوالله إنه لا يبلغ عشر معشار شغل المصطفى ﷺ الذي كانت أمور الأمة تدار على كفه من الجهاد والإدارة والسياسة والفتيا والتعليم والخطابة وبناء الناس وتربية الناس وإعطاء الناس وهداية الناس ودعوة الناس، ومع ذلك وجد من وقته ما يُفرح فيه الأطفال ويداعبهم.

وكان ﷺ قد رزقه الله بالبنات أكثر من البنين، لأنه ما كان يعيش له أبناء بل كانوا يتوفون لحكمة أرادها الله.

قال بعض أهل العلم: من هذه الحكم أنه كان خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلو ترعرع له ابن ولو شب له ابن لكان نبيّاً، والله جعله خاتم الأنبياء.

فرزق ﷺ بإبراهيم من مارية، فلما بلغ السنتين كان يذهب ﷺ إليه في بيت مارية فيأخذه ويقبله ويشمّه ويعانقه ويمازحه ﷺ.

وفي مرة من المرات دعي ﷺ إلى بيت مارية.

لماذا؟ لأن إبراهيم كان في سكرات الموت.

سبحان الله!

لقد كان من أحب الناس إلى قلبه، فأراد الله أن يجعل حبه خالصاً له سبحانه وتعالى.

فأتى وإبراهيم في سكرات الموت، فأخذه ودموعه تهراق ﷺ حتى يقول له ابن عوف: ما هذا يا رسول الله؟

قال: «**يا ابن عوف إنها رحمة**».

ثم أخذ ﷺ يعانق ابنه عناق المودع له وهو يقول: «**تدمع العين**»، انظر إلى كلمات الوداع الصادقة الحارة الموجهة، «**تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا**

إبراهيم لمحزونون»[١].

أما العين فتدمع والقلب فيحزن ونحن محزونون بفراقك، لكن والله ما نقول إلا ما يرضي الله، فلا نتسخط على القضاء والقدر.

فالله الذي أعطى، والله هو الذي أخذ.

أثر عن داود عليه السلام أنه كان له من الولد قبل سليمان عليه السلام أربعون.

فصلى مرة من المرات، فأراد الله أن يبتليه ويختبر إيمانه ويرفع درجته ويمحص يقينه ويرى هل يشكر أم لا؟

فسلّم داود من الصلاة فوجد الأربعين أمواتاً جميعاً، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل. . إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم قال: «اللهم أبدلني خيراً منهم».

فرزق بسليمان عليه السلام.

وفي صحيح مسلم عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من أصيب بمصيبة فقال: اللهم أجرْني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، أجاره الله في مصيبته وأخلفه الله خيراً منها»**[٢].

فلما توفي أبو سلمة زوجها قالت: «اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها»، ثم قالت: قلت في نفسي من هو خير من أبي سلمة؟

قالت: فأبدلني الله عز وجل رسول الله ﷺ، فتزوجها المصطفى.

فالرسول ﷺ كان من أرحم الناس.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨٠)، ومسلم برقم (٥٩٧٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٠٧٦، ٢٠٧٧)، وأبو داود برقم (٣١٢١).

أرسلت إليه ابنته زينب يوماً بأن ابنها قد حضرته الوفاة ليحضر، وهذا الحديث صحيح، فقال وكان مشغولاً ﷺ بوفد من الناس: «**قولوا لها إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بمقدار**».

فقالت زينب: والله ليأتين.. لأنها ابنته ولها إدلال عليه، ولأنها في مصيبة رضي الله عنها وأرضاها، وتريد أن يشاركها المصطفى ﷺ.

ولا بد من شكوى إلى ذي قرابة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

فقام ﷺ وقام معه الناس وذهب إلى بيتها، فأخذ الطفل بين يديه ونفسه تقعْقع.

فبكى ﷺ حتى سمع له نشيج ونحيب، فقال سعْد: ما هذا؟

قال: «**رحمة جعلها الله في قلب من يشاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[1].

فالرسول ﷺ من أرحم الناس، فهو يبتسم وقت التبسم، ويبكي وقت البكاء.

وصفه سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: ٤]، قال بعضهم: إنك لعلى دين عظيم.

فسيرته ﷺ عظيمة كاملة، فمن أراد الاهتداء فعليه به فإنه ﷺ الموجه الذي لا يضل أبداً.

ولذلك فعندما قدم أهل العراق للحج جاء أحدهم إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال له: لقد قتلت بعوضة فما عليّ؟

قال ابن عمر: من أين أنت؟

قال: من العراق.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٥٢٧، ٦٥٠٧، ٧٢١٢)، ومسلم برقم (٢٠٨٥).

قال: سبحان الله! يا أهل العراق، قتلتم ابن بنت رسول الله ﷺ وتسألني عن بعوضة، ووالله لقد سمعت الرسول ﷺ يقول عنهما ـ أي الحسن والحسين ـ: **«هما ريحانتي من الدنيا»**[(١)].

قال العلماء: شبههما بالريحان لأنه يشم، فهو ﷺ كان يقبلهما ويشمهما رضي الله عنهما.

وعندما قدم عليه الأقرع بن حابس التميمي ورآه ﷺ يقبل الحسن رضي الله عنه وهو صغير قال الأقرع: والله إن عندي عشرة من الولد ما قبّلت واحداً منهم.

فقال ﷺ: **«من لا يَرْحم لا يُرحم»**[(٢)]، وفي موقف آخر مع أحد الأعراب عندما سأل: أتقبلون صبيانكم؟ وعلم النبي ﷺ أنهم لا يقبلون قال: **«أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة»**[(٣)].

فهو ﷺ يمتاز برحمة الأطفال والأنس بهم وتقبيلهم، وهو الأسوة لكل متأسٍّ كما سبق.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

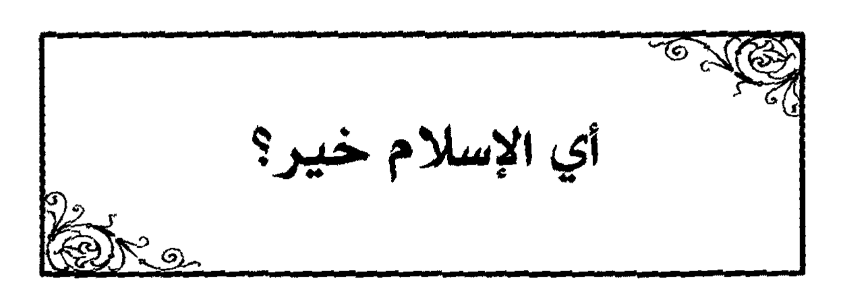


---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى برقم (٨٤٣٧)، وأحمد برقم (٥٥٥٩، ٥٦٥٩، ٥٩٢٣)، وابن حبان برقم (٦٨٥٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٨٦٠)، ومسلم برقم (٥٩٨١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١)، ومسلم برقم (٥٩٨٠).



أي الإسلام خير؟

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟

قال: **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»**[١].

لأن المرجئة أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان.

راوي الحديث هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، قدم من اليمن على سفينة في البحر الأحمر فمالت بهم إلى الحبشة، فكان له كرم الهجرتين حيث واجه المسلمين هناك أيام هجرتهم.

فوصل إلى المدينة فبايع النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١١)، ومسلم برقم (١٢٦).

كان رضي الله عنه نديّ الصوت بالقرآن.

قال له ﷺ: «**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**»[١]، لحسن صوته.

وكان يستمع له ﷺ إعجاباً بصوته.

يقول مسروق أحد التابعين: صليت مع أبي موسى المغرب فقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، فوالله ما سمعت صنجاً ولا ناياً أجمل من صوت أبي موسى، ووددت لو أنه صلى بنا بسورة البقرة.

كان يوماً من الأيام مع رسول الله ﷺ في سفره، فكان المسلمون يرفعون أصواتهم بالذكر، أما هو فيخفي ذكره ويقول بينه وبين نفسه: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

فقال ﷺ للناس: «**اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**».

ثم قال: «**يا عبدالله بن قيس** ـ أي أبا موسى ـ **ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة**»؟

قال: بلى.

قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٢].

استمر أبو موسى مع المصطفى ﷺ إلى أن توفي.

وتولّى ولاية لعمر.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٢٨)، ومسلم برقم (١٨٠٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤١٠٩، ٦٢٣٧)، ومسلم برقم (٦٨١٢).

يقول أهل التراجم: لم يجمع الألوية في الإسلام أكثر من أبي موسى الأشعري، والألوية هي الرايات.

ثم كان من أصحاب التحكيم في زمن الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما.

ثم اعتزل وانزوى وأخذ يصوم ويسرد الصيام في آخر عمره حتى أصبح جلداً على عظم.

قالوا: ما لك كلفت نفسك؟

قال: إن الخيل المضمرة إذا قاربت الوصول اجتهدت. . أو كما قال.

قوله: قالوا يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟

قال: **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»**.

الرسول ﷺ كثيراً ما يسأل عن أفضل الأعمال وأحسنها.

لأن القوم يريدون الآخرة وطرقها، فكانوا يسألونه كثيراً.

بخلاف غيرهم الذين لا يسألون إلا عن الرخص، وكان ﷺ ينوّع الإجابات بحسب السائل الذي أمامه.

فإن كان شيخاً كبيراً دله على الذكر والعبادة التي تناسبه، وإن كان شابّاً دله على الجهاد مثلاً.

وإن كان يغضب كثيراً أشار عليه بعدم الغضب.

وهكذا يعطي كل سائل ما يناسبه لكي ينتفع بالإجابة.

قالوا: يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟

هنا شيء مقدر تقديره: (أي خصال الإسلام أفضل).

قال: **«من سلم المسلمون من لسانه ويده»**.

فجعل الترك ﷺ عملاً، أي أن تكف يدك لتصبح من أفضل الناس.

إنا لفي زمن ترك القبيح به   من أحسن الناس إجمالاً وإفضالا

ومعنى «**من سلم**»، أي لم يصل المسلمين من أذاه شيء، فهم قد سلموا سلامة ظاهرة وباطنة، معنوية وحسية.

سلموا من يده فلم يضربهم.

وسلموا من لسانه فلم يشتمهم أو يغتابهم.. وهكذا كل الأعضاء.

قوله: «**المسلمون**» للغالب، وإلا فيدخل فيه المسلمات، ولكن هذا للتغليب.

أما الكفار فعلى خلاف بين العلماء.

لكن نقول: قال سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البَقَرَة: ٨٣].

فالأصل في ذلك أن يسلم كل الناس منك إلا بحق.

والحق هو الجهاد في سبيله.

ولذلك غلّب ﷺ المسلمين فلم يذكر الكفار.

وأولى شيء يجب أن يسْلم منه الناس منك هو اللسان، لأن تسعة أعشار الذنوب من اللسان.

وكلما أصبح العبد قالت الأعضاء للسان: اتق الله فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججْت اعوججْنا.

وكان أبو بكر يأخذ بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد؛ يعني المهالك.

وقال ﷺ لمعاذ: «**كف عليك هذا**»[(١)]، وأشار إلى لسانه.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٦٨٣)، والنسائي في الكبرى برقم (١١٢٨٩)، وابن ماجه برقم (٤٠٥٩)، وصححه الألباني في الإرواء (٤١٣).

يقول ابن المبارك:

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله إن كنت فارغاً مستريحا
وإذا هممْت بالمنطق الباطل فاجعل مكانه تسبيحا

وصح عن عائشة أنها قالت لشباب يسمرون بعد العشاء: ألا تريحون الملائكة!

أي أن الملائكة تكتب ما يلفظون: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨].

ولذلك واجب العبد أن لا يتكلم إلا بخير، من قرآن وذكر وكلام طيب، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

قال أحدهم للقمان: اذبح شاة وائتني بأقبح مضغتين فيها.

فذبح شاة وجاء له بقلبها ولسانها.

ثم أمره كذلك في اليوم الثاني أن يذبحها ويأتيه بأحسن مضغتين فيها، فجاء له بلسانها وقلبها.

فقال: بالأمس جئت بهما واليوم تجيء بهما، وقد اختلفت الصفات؟

قال: نعم، هذان إن صلحا صلح كل شيء في الإنسان، وإن فسدا فسد كل شيء في الإنسان.

وآثار اللسان كثيرة منها: اللعن، والطعن، والشتم، والغيبة، والسخرية، والاستهزاء، والقذف... إلخ.

فهو منفذ كبير على عالم الإنسان المجهول ينبىء بما يريد؟ وما هي مقاصده؟

فالله الله في سد هذا المنفذ، فلا يخرج منه إلا كل جميلٍ وحسن.

قال: (أي الإسلام أفضل).

وفي حديث ابن عمرو وهو ما ذكره البخاري بعد هذا: (أي الإسلام خير)؟

فكيف الجمع بينهما؟ الصواب أن الاختلاف من الرواة الذين نقلوهما.

قال ﷺ في حديث ابن عمرو: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟

قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[1].

عبدالله هو ابن عمرو بن العاص بن وائل السهْمي.

والعاص بن وائل جد عبدالله مات كافراً.

قال عمرو بن العاص لعمر بعد أن أسلم: أأنت قتلت أبي؟ لأنه قتل في بدر.

قال عمر: لا، وودت أني قتلته!! رأيته كالثور يخور، فمر به علي بن أبي طالب فضربه بالسيف فكأنه أمس الدابر.

وأما عمرو بن العاص فهو داهية العرب وأرطبونها.

قال عمر: رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب.

توفي رضي الله عنه في مصر بعد حياة حافلة بالأحداث، أما ابنه عبدالله راوي الحديث فهو من أزهد الصحابة وأعبدهم، فهو شبيه بقرينه عبدالله بن عمر بن الخطاب.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢)، وأبو داود برقم (٥١٨٩).

بكى من خشية الله حتى أرمدت عيناه.

وكان له مزرعة في الطائف، قال الذهبي: كان فيها ألف ألف عنبة، يعني مليون.

ولكن كان ينفق منها في سبيل الله ويتصدق رضي الله عنه وأرضاه، وسوف يجدها عند الله.

كان يصوم كثيراً، يصوم يوماً ويفطر يوماً، وقد كان يصوم الدهر، لكن الرسول ﷺ نازله حتى صام يوماً وأفطر يوماً.

قال: (أن رجلاً).

لا تهمنا معرفة الرجل من هو؟ لأنه لا فائدة من ذلك في هذا الموطن.

وهو لم يعرف عند العلماء فلا داعي للتمحل في البحث عن اسمه وصرف الجهود لذلك برغم أنه لا طائل منه.

المهم الفائدة من الحديث وقول النبي ﷺ.

قال: «**تطعم الطعام**»، إطعام الطعام هنا هو: إصلاح الطعام وتقديمه للضيف وللجائع.

وقيل: معنى إطعام الطعام: هو إرساله للفقير.

والمعنى متشابه.

وهو من أحسن خصال المؤمن.

قال عبدالملك بن مروان: ما أريد أن أحداً من الناس أب لي إلا عروة بن الورد.

قالوا: لماذا؟

قال: لقوله:

أتهزؤ مني أن سمنْت وأن ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
أوزع جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد
وإني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

يقول: أنت إذا سمنت فلأنه لا يأكل عندك أحد بخلافي، فإني إذا أكلت أكل معي الضيوف، فلذلك لا أسمن كثيراً.

يقول عبدالله بن سلام: رأيت الرسول ﷺ لما قدم المدينة فإذا هو يقول: «**يا أيها الناس: أطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[1].

قال عمر لصهيب: يا صهيب أحبك لولا ثلاث فيك.

قال: ما هي؟

قال: تكنيت ولا ولد لك.

وتكنيت بأسماء الأنبياء (كنيته أبو عيسى).

وأنك تشرك في الطعام.

قال: أما الكنية فكناني رسول الله ﷺ.

وأما الطعام فسمعت الرسول ﷺ يقول: «**وأطعموا الطعام تدخلوا الجنة بسلام**».

فكان يكثر الطعام للناس، حتى يرى عمر رضي الله عنه أنه من الإسراف.

ومن أكرم الناس إبراهيم عليه السلام.

يقال: كان له قصر في أرض كنعان، فكان يقول لعبيده: اذهبوا

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٥٣٤)، وابن ماجه برقم (١٣٧٥)، والدارمي برقم (١٤٦٧)، والبيهقي في السنن برقم (٤٦٩٠).

فمن أتى منكم الليلة بضيف فهو حر لوجه الله.

دخل عليه مشرك فقدم له إبراهيم العشاء وقال: قل باسم الله.

قال: لا أعرف باسم الله.

قال: والله لا تأكل، أتأكل بلا اسم الله؟

فلم يدعه يأكل لأنه لم يقلها.

فأوحى الله إلى إبراهيم: يا إبراهيم، ربيته ستين سنة يأكل ويشرب وأنت استضافك يوماً فمنعته!

وكان لإبراهيم في القرآن روْغتان: روْغة شجاعة، وروغة كرم، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الصَّافات: ٩١ ـ ٩٣] ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الذّاريَات: ٢٦].

فهو قد راغ ولم يذهب.

وجاء بعجل لا تيس أو ماعز.

وسمين أيضاً وليس بهزيل.

ومن أكرم الناس رسول الله ﷺ.

في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال له أعرابي: أعطني يا رسول الله.

قال: «**لا، وأستغفر الله**»[1]، يعني أستغفر الله من «**لا**»، لأنه لا يستخدمها كثيراً.

ما قال لا قط إلا في تشهده   لولا التشهد كانت لاؤه نعم

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (٧٨٢٧).

وصح في البخاري من حديث سهل بن سعد أن امرأة صنعت جبة للرسول ﷺ أو ثوباً فلبسها محتاجاً إليها.

فمر به رجل فقال: يا رسول الله أعطني هذه.

قال: «**انتظرني قليلاً**».

فدخل بيته فلبس إزاره وأعطاه إياها.

فقال الصحابة للرجل: صنع الله بك وصنع، لبسها ﷺ محتاجاً إليها ثم تسأله وتعرف أنه لا يرد سائلاً.

قال: والله ما سألته إياها إلا لتكون كفني.

فكانت كفنه[(١)].

ولكن لا بد أن يكون إطعام الطعام بنية خالصة لله تعالى، لا أن يكون رياء وسمعة، لأنك ستخسر نصيبك عند الله ولو مدحك الناس وأثنوا عليك.

وعند الإمام أحمد عن عدي بن حاتم قال: يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا فهل له في ذلك ـ يعني: من أجر ـ قال: «**إن أباك طلب** ـ وفي رواية: **أراد** ـ **أمراً فأصابه**»[(٢)].

عائشة رضي الله عنها تقول: يا رسول الله، ابن جدعان كان ينفق فهل ينفعه عند الله شيئاً؟

قال: «**لا، إنه لم يقل يوماً من الدهر ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٥٦).

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٧٩٢١، ١٩٠١٠، ١٩٠٢٢)، وابن حبان برقم (٣٣١)، والبيهقي في السنن برقم (١٤٨٦٧)، والطيالسي في مسنده برقم (١٠٣٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٤٧١)، وأحمد برقم (٢٤٢٢٨)، وابن حبان برقم (٣٢٩).

ابن جدعان كان في مكة صعلوكاً يرعى الغنم.

فذهب إلى عرفة فوجد كنزاً من الذهب فحمله إلى مكة.

فأخذ من هذا الذهب ليضيف الناس والحجاج بالعسل والبر واللحم حتى اكتسب المدائح والذكر، لكن ليس له عند الله من خلاق.

يقول أمية بن أبي الصلت فيه وفي أهله:

لا ينكتون الأرض عند سؤالهم	لتطلب الحاجات بالعيدان
بل يشرقون وجوههم فترى لها	عند السؤال كأحسن الألوان
وإذا القريب أقام وسط رحالهم	ردوه رد صواهل وقيان
وإذا دعا الداعي ليوم كريهة	سدوا شعاع الشمس بالفرسان

فالطعام لا يكون إسلامياً إلا بثلاثة شروط:

أولها: أن يكون لوجه الله الواحد الأحد.

ثانيها: أن يكون حلالاً، فلا يقدم لهم لحم خنزير مثلاً ويقول: اللهم تقبل مني إنك أنت السميع العليم!!

ثالثها: أن يكون مقتصداً فيه لا مسرفاً.

أما السلام ففيه مسائل:

أما حكمه: فهو سنة والرد واجب، هذا قول الجمهور، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّساء: ٨٦].

فالسلام سنة.

وقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا**

فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

وردّه واجب على من سمعه، ولو أن بعض الناس قال: يجزىء عن الجماعة أن يرد واحد لحديث: «**يجزىء عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزىء عن الجلوس أن يرد أحدهم**»[2].

أما صيغته: ففي صحيح البخاري في كتاب الاستئذان: «**أن الله عز وجل قال لآدم لما خلقه: اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فسلم عليهم وانظر ماذا يحيونك؟**

فذهب إليهم فقال: السلام عليكم ورحمة الله.

قالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

فزادوه (وبركاته).

قال: هذه تحيتك وتحية ذريتك إلى يوم القيامة»[3].

وانتهى السلام إلى (بركاته).

ولكن في الأدب المفرد للبخاري أن بعض الصحابة كان يزيد (ومرضاته).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: انتهى السلام إلى وبركاته.

لكن هل يجزىء أن ترد بقولك: (وعليكم).

لا يجزىء ذلك عند الجماهير والعلماء جميعاً إلا إذا كان المسلِّم غير مسْلم، بل من أهل الكتاب.

أما فضله: ففي حديث عمران بن الحصين الصحيح قال: كنا

---

(١) رواه مسلم برقم (١٥٧)، وأبو داود برقم (٥١٨٨)، والترمذي برقم (٢٧٥٨).
(٢) رواه أبو داود برقم (٥١٠)، وحسنه الأرنؤوط في زاد المعاد (٢/٤٢٦).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٦، ٦٠٨٤).

جلوساً عند الرسول ﷺ فدخل رجل فقال: السلام عليكم.

فقال ﷺ: **«عشر»**.

فدخل الثاني فقال: السلام عليكم ورحمة الله.

قال: **«عشرون»**.

فدخل الثالث فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال: **«ثلاثون»**(١).

فأنت لا تبخل على نفسك بالحسنات، فإننا أحوج الناس ولو لحسنة واحدة.

وعن أبي أمامة بسند حسن: **«إن أولى الناس بالله تعالى من بدأهم بالسلام»**(٢).

وفي حديث أبي أيوب: **«لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»**(٣).

فأنت أخْير من أخيك إذا بدأته بالسلام، لأن معناه الاطمئنان ومعناه السكينة ومعناه: لا تخف مني فهذا أمان لك.

أما السلام على الموتى: ففي صحيح مسلم أنه ﷺ قال: **«السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين»**(٤).

وأتى رجل إلى الرسول ﷺ فقال: عليك السلام يا رسول الله.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٧٥٩)، وأبو داود برقم (٥١٩٠)، وأحمد برقم (١٩٥٧٢).
(٢) أخرجه أبو داود برقم (٥١٩٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٩٣٦)، ومسلم برقم (٦٤٨٤).
(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢١٠)، وأحمد برقم (٢٢٦٠٣).

قال ﷺ: «**لا تقل عليك السلام فإنها تحية الموتى**»[١].

ولذا قال الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

وعمر رضي الله عنه سمع هاتفاً في عرفة آخر حجة حجها يقول:

عليك سلام من إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق

أما الأحياء فكما سبق لا تقول إلا (السلام عليكم).

وفي الرد من الأفضل أن تأتي بالواو بأن تقول: (وعليكم السلام)، وإذا لم تأت بها فلا شيء عليك، كما ذكر ذلك النووي في الأذكار.

ويجوز لك أن تسلم على أهل الكتاب ولكن تقول: (السلام على من اتبع الهدى)، لفعله ﷺ عندما أرسل رسالة إلى هرقل وقال له فيها: «**السلام على من اتبع الهدى**»[٢].

ولك أن تسلم على مجلس فيه خليط من المسلمين والكفرة فتقول: (السلام عليكم)، وأنت تقصد المسلمين.

كما فعل ﷺ عندما مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود والمنافقين فسلم عليهم.

ويجوز لك السلام على النساء لفعله ﷺ ولكن بشرط: أن لا تسلم بيدك، أي أن لا تمس يد المرأة أثناء السلام كما يفعل البعض هداهم الله، لأن هذا حرام.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٠٨٤، ٥٢٠٤)، وأحمد برقم (١٥٦٤٨) وصححه الأرنؤوط في زاد المعاد (٢/٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧، ٢٨٧٤).

لقوله ﷺ: «**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»[١].

والشرط الآخر أن لا يكون هناك ريبة أو فتنة، وهذه تعرف بالقرائن.

ولك أن تسلم على الأطفال لأنه ﷺ كان يسلم عليهم، لما روى أنس قال: رأيت الرسول ﷺ يسلم على الصبيان[٢].

وهذا من تواضعه ﷺ.

ولك أن تسلم على المصلي وهو في صلاته، ويرد عليك برفع يده قليلاً للأعلى كما ثبت ذلك.

أما المحْدث فقد ثبت أنه ﷺ سلّم عليه رجل فلم يرد حتى ذهب إلى جدار فتيمم ورد السلام وقال: «**إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهارة**»[٣].

هذه بعض مسائل السلام وهي كثيرة، ومن أراد الزيادة فعليه بكتب الأذكار وكتاب (زاد المعاد) لابن القيم فقد أطال فيها.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



(١) رواه الطبراني والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح كما قال المنذري في الترغيب برقم (٢٩٣٨)، وانظر مجمع الزوائد برقم (٨١٧٧).

(٢) رواه مسلم برقم (٥٦١٧، ٥٦١٩)، وأحمد برقم (١٢٧٣٠).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٧)، وابن حبان برقم (٧٨٠)، وأحمد برقم (١٨٦٧٩)، والبيهقي في السنن برقم (٤٢٨)، وصححه الألباني في الإرواء برقم (٥٤).



أي العمل أفضل؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟

فقال: «**إيمان بالله ورسوله**».

قيل: ثم ماذا؟

قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

قيل: ثم ماذا؟

قال: «**حج مبرور**»[1].

في هذا الحديث مسائل:

أولاً: أن الرسول ﷺ كان يجيب السائلين بأجوبة مختلفة.

والقاعدة في هذا أنه ﷺ كان يجيب باختلاف الأشخاص

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٦، ١٥٠١)، ومسلم برقم (٢٠٩).

والأحوال لأنه المعصوم ﷺ، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النّجم: ٣، ٤].

فهو يعلم أحوال السائل الخلفية وما يحتاج إليه في حاله وفي نفسه.

أتى إلى النبي ﷺ رجل وكان فيه حدة فقال: أوصني.

فما قال ﷺ: عليك بالصدقة لأنه لا مال عنده حتى يتصدق به.

لكن قال له: **«لا تغضب»**.

قال: أوصني.

قال: **«لا تغضب»**.

قال: أوصني.

قال: **«لا تغضب»**(١).

فعرف ﷺ أن عنده نوع حدة، فكان علاجها عدم الغضب.

وأتاه رجل آخر كما في حديث عبدالله بن بسر فقال: يا رسول الله دلني على عمل أتشبث به، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ.

فهل يقول له: عليك بالجهاد في سبيل الله وهو شيخ لا يستطيع التماسك على الفرس أو البعير.

لا، بل قال: **«لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»**(٢)، فهذا الأصلح له لأنه يستطيع الذكر في كل أوقاته، وهكذا غيرهم.

وليس ذلك إلا له ﷺ.

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٦٥١)، والترمذي برقم (١٩٤٣)، وأحمد برقم (٨٣٨٩).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٥٠٦)، وابن ماجه برقم (٣٨٧٦) وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب (٣).

ثانياً: أن الرسول ﷺ سئل نفس هذا السؤال في حديث ابن مسعود، وفي حديث أبي هريرة، فتغيرت الإجابات.

فهنا يقول في الإجابة: «**إيمان بالله ورسوله**»، وفي حديث ابن مسعود يقول: «**الصلاة في أول وقتها**»[1]، وهو يراعي حال المخاطبين في الإجابة.. كما سبق.

ثالثاً: أن الأعمال تترتب على وجود الإيمان، فبدونه لا تقبل.

ولعل في هذا المجلس الذي ذكر فيه ﷺ الحديث من لم يستعد أولاً بالإيمان.

أو كان فيه بعض المسلمين الذين هم حديثو عهد بالإسلام، فأخبرهم ﷺ أنه لا عمل ولا قبول ولا جهاد ولا حج إلا بالإيمان.

رابعاً: تفضيل الجهاد على الحج لما فيه من نفعٍ متعدٍّ، برغم أن الجهاد في سبيل الله ليس بركن عند جمهور العلماء.

فقدّمه لأن المجاهد يرفع راية الله ويحمي حوْزة المسلمين ويواجه الكفار.

وأما الحج فإنه يحج لنفسه.

خامساً: أن اعتقاد القلب عملٌ، لأنه ﷺ سئل (أي العمل أفضل)؟ فبيّن أن الإيمان أفضلها وهو من اعتقادات القلب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



(١) سبق تخريجه.



الجوائز السخية



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

يقول ﷺ: **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.**

ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[(١)].

هذه هي الجوائز السخية التي يعلنها عليه الصلاة والسلام للمؤمنين، إذا جعل الناس جوائز من الذهب ومن الفضة ومن السيارات

(١) رواه مسلم برقم (٦٨٠٣)، وأبو داود برقم (٤٩٤٢)، والترمذي برقم (١٩٣٤).

والقصور ومن الدور والبساتين.. جعل ﷺ جوائزه أغلى وأعلى وأجلّ.

أتى الناس إليه ﷺ يريدون الدنيا وحطامها فأعطاهم الدنيا والآخرة.

أتى الناس يطلبون بيوتاً ومزارع، فأعطاهم جنة عرضها السماوات والأرض. وقف خطيباً في الناس يقول: «**أيها الناس إنّني أعطي بعضكم لما جعل الله في قلوبهم من الجزع والهلع، وإني لأدع قوماً لما جعل الله في قلوبهم من الإيمان، منهم عمرو بن تغلب**».

قال عمرو بن تغلب: فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم[1].

وهذا منطق المؤمن أن يقف أمام مغريات الدنيا ويعلم أنه مهما جمع ومهما حصّل فيها فهو قليل في جانب ما عند الله ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍّ﴾ [النّحل: ٩٦].

يقول الزبيري:

خذوا كل دنياكم واتركوا فؤادي حرّاً طليقاً غريبا
فإني أعظمكم ثروة وإن خلتموني وحيداً سليبا

وقد شاهد الإنسان وهو يقرأ التاريخ، شاهد السلاطين والأغنياء والأثرياء وأرباب الدنيا وهم يمرّون مرّ السحاب، جمعوا ثم ذهبوا وكأن شيئاً لم يكن.

في رحلة ابن بطوطة قال: وصلت وراء نهر سيحون وجيحون فوقفت في تربة هناك.

(١) أخرجه البخاري برقم (٩١٢، ٣٠٧٦، ٧٣٦٩)، وأحمد برقم (٢٠٢٧٦).

فقال لي أحد الناس: في هذه التربة رأس ألف ملك!

وسلاطينهم سل الطين عنهم والرؤوس العظام صارت عظاما

وكان علي بن أبي طالب في الكوفة، فدعا بإناء ليشرب فيه من الماء فأتي له بإناء من خزف من فخار.

فبكى رضي الله عنه.

فقالوا: ما لك يا أمير المؤمنين؟

فقال: الله يا طين كم فيك من خد أسيل ومن طرف كحيل!

خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد
صاح هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد

يقول ﷺ في هذه الجمل التي جعلتها بعنوان: (الجوائز السخية) **«من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»**.

لماذا لم يقل ﷺ: نفس الله عنه كربة من كرب الدنيا والآخرة، مع العلم أنه قال بعدها: **«من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة؟»**.

أجاب أهل العلم بجوابين:

الجواب الأول: أنه ليس في الدنيا كرب بالنسبة لكرب الآخرة، فليس فيها مضرة أبداً، وليس فيها ألم إذا قيست بألم الآخرة.

ففي الصحيح أن الرسول ﷺ قال: **«يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة،**

فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[١]، رواه مسلم.

إذاً فألم الدنيا بالنسبة لألم الآخرة لا شيء.

كان عامر بن عبدالله بن الزبير يزن نفسه ويخرج ديته ويتصدق بقيمتها على الفقراء.

فقالوا: لماذا تفعل هذا؟

قال: لكربات يوم العرض الأكبر.. لكربات يوم العرض الأكبر.

الجواب الثاني: قال أهل العلم: إنما قال ﷺ: **«كربة من كرب يوم القيامة»** ولم يقل **«كربة من كرب الدنيا»** لأن بعض الناس يعيش في الدنيا ولا يمر به كربة، وهذا مشاهد من أحوال العالم، فإنك تجد بعض الناس سليماً معافى يموت في بلده.

فما هي كرب الدنيا، وما هي كرب الآخرة؟

أما كرب الدنيا كالدَّين وكالحبس وكالمصائب وكالكوارث وكالحوادث، ولكنها عند المؤمن مسهلة ميسّرة.

يقول ﷺ في الصحيح: **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له»**[٢].

وقوله: **«من نفّس عن مؤمن كربة»**، معنى نفّس أي أزال.. أزال وأزاح كربة الدّين، أو الجوع، أو المرض، أو قضاء الحوائج، أو رفع الظلم عنه، أو الذب عن عرضه والمحاماة عنه.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٠٣٧)، وابن ماجه برقم (٤٤١٣)، وأحمد برقم (١٢٨١٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٤٤٩).

قوله: «**نفس عنه كربة من كرب القيامة**»، ومن أعظم الكرب يوم القيامة تطاير الصحف، نسأل الله لنا ولكم السلامة، فإنه يعطى فريق صحفه باليمين وفريق بالشمال.

فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨﴾ [الحاقّة: ١٩ ـ ٢٨].

ثم من الكرب الميزان، فإن هناك ميزاناً دقيقاً توزن به أعمال الإنسان.. فإن ثقل ميزانه فقد فاز ونجح.. وإلا فالويل والثبور.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]، لا ظلم ولا هضم فهو الذي يشرف على الميزان سبحانه وتعالى.

فيقف الإنسان مبهوتاً أمام الميزان خائفاً وجلاً أن ترجح السيئات بالحسنات، والله المستعان.

ومن كرم الله عز وجل أنه إذا تساوت كفتا الحسنات والسيئات أدخل الله العبد الجنة.

ومن كرمه أن يؤتى بحسنات ما تصوّرها الإنسان فيضعها في ميزان الحسنات فيدخل الجنة.

قوله ﷺ: «**ومن يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة**»، ما أحسن كلمة يسّر! والله بعث محمداً ميسِّراً فقال: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٨﴾ [الأعلى: ٨]، وقال: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾ [طه: ١ ـ ٣]، وقال: ﴿وَمَا

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ووصف رسوله بأنه ميسّر فقال: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

كان الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنباً كتب ذنبه في جبهته.. وكان إذا مس البول شيئاً من جسمه قطع هذا اللحم الذي مسه البول!!

فلما أتى ﷺ قال: «**بعثت بالحنيفية السمحة**»[1]، وكان يقول: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**»[2]، رواه البخاري. فهو سهل في لباسه يلبس مرة الجميل البديع ويقول: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[3].

ومرة يلبس المتواضع حتى يلبس أحياناً صوفاً من شعر.

فهو يلبس لكل حالةٍ لبوسها، إما نعيمها وإما بؤسها.

ويأكل أحياناً ما لذ وطاب من الطعام كالعسل واللحم.. وأحياناً لا يجد خبز الشعير.

وينام ﷺ أحياناً في مكان مريح.. وأحياناً ينام على التراب.

ليكون قدوة للجميع.. لطبقات الناس جميعاً.. لأنه مربٍّ فلم يمل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. لا إلى المترفين الذين جعلوا حياتهم فقط أكلاً وشرباً ومناماً.. ولا إلى الذين أضروا بأنفسهم وكانوا كالرهبانيين وكعبّاد النصارى، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) أورده البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب رقم (٢٩) بلفظ: «**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**»، وأخرجه بنفس اللفظ أحمد في مسنده برقم (٢١٩١٦)، وانظر مجمع الزوائد برقم (٩٦٥٣) وضعفه الألباني في غاية المرام رقم (٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٩).

(٣) سبق تخريجه.

قال: «**من يسّر على معسر**».. المعسر هنا تطلق على من أعسر في الدين، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٠]، أي تنظره إلى أن ييسر الله عليه.. تنظره سنة.. ثم سنة.. ولا تلح عليه وأنت في سعة، ولا تذهب به إلى القاضي ولا ترفع أمره ولا تفضح ستره.. حتى يفرج الله دينه، فإنك إن فعلت ذلك تجاوز الله عنك يوم القيامة.

في الصحيحين أن رجلاً كان يداين الناس في الدنيا فيقول لغلمانه: تجاوزوا عن فلان المعسر لعل الله أن يتجاوز عنّا.. فإذا أتى يوم القيامة يقول سبحانه وتعالى: «**تجاوزوا عنه**» وفي لفظ: «**أنا أولى بالكرم منك تجاوزوا عنه**»(١).

وأما قوله ﷺ: «**ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة**»، فالله ستير يحب الستر، ويحب أن يستر على العباد ولا يكشف أمورهم ولا يفضح ما أسرُّوه، لأنه سبحانه وتعالى يحب أن يضع كنفه وستره على العباد.

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته**»(٢).

قال ابن رجب: يقول أحد العلماء: وجدت أناساً لم تكن لهم ذنوب ولا عيوب فبحثوا عن عيوب الناس فأبدى الله عيوبهم للناس، وكان هناك أناس لهم عيوب وذنوب ستروا على الناس فستر الله عيوبهم وذنوبهم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٠٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم برقم (٣٩٤٨، ٣٩٥٠) عن ربعي بن حراش، برقم (٣٩٥١) عن أبي مسعود رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٧٦)، وأحمد برقم (١٩٤٠٣)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٠٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

يقول الشافعي:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايباً ... لقوم فقل يا عين للناس أعين

ويقول كعب بن زهير:

ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق والباطل

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النُّور: ١٩].

قالوا: عذابهم في الدنيا أن يشيع الله عنهم كل خبث، وعذابهم في الآخرة أن ينكل الله بهم جزاء وفاقاً.

وعن زيد بن أسلم في حديث طويل وفيه أن النبي ﷺ قال: «**من أصاب من هذه القاذورات شيئاً، فليستتر بستر الله، فإنه من يبد لنا صفحته، نقم عليه كتاب الله**»[(١)] وفي لفظ آخر عن ابن عمر: «**اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عنها، فمن ألمَّ فليستتر بستر الله عز وجل**»[(٢)].

قال أهل العلم: يجب على المسلم إذا ابتلي بشيء من الذنوب أن يستتر بستر الله ولا يذهب فيشهد بنفسه، وليقلع عن الذنب.

إن على المسلم أن يستر المسلم فلا يتتبع عورته، فلا يجوز للمسلم مثلاً أن يتسلق الحائط ليرى هل فلان يشرب الخمر في عقر داره.. ولا يصح له أن يتجسس على بيته.. هل يستمع الغناء أم لا؟

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ برقم (١٥٢١)، والبيهقي في السنن برقم (١٧٩٣١).
(٢) أخرجه البيهقي برقم (١٧٩٥٨)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٦٨٩).

يقول: **«كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»**[١]. ولذلك بعضهم يتمدّح إذا فعل الأفاعيل. فإذا سافر مثلاً إلى بعض المدن المتهتكة.. يأتي ويقول: كنا نفعل كذا وكنا نفعل كذا.. وهذا من المجاهرة.

ورد في حديث ابن عمر الصحيح في البخاري أن الله عز وجل يحاسب العبد يوم القيامة ويقرره بذنوب كان عملها.. فيقول الله: **«سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم»**[٢] فنسأل الله مغفرته إنه غفور رحيم.

وكذلك من الستر أن لا تذكر الفواحش التي حلّت في المجتمع كالمتلذذ بها.. لأن بعض الناس يذكر ذلك تلذذاً، فيذكر فواحش المجتمع ويذكر ما حدث من المواقف، ويذكر ما رأى وشاهد من أفلام خليعة ومن أماكن اطلع عليها ويشيعها في المجالس. وهذا خلاف منهجه ﷺ.

وأما قوله ﷺ: **«والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»**، لأن الناس عيال لله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، وكلما أردت أن تتقرب إلى الله فحاول أن تتحبب إلى خلقه بإسداء المعروف إلى عباده سبحانه وتعالى.

أرسل الحسن البصري رحمه الله رجلاً إلى ثابت البناني الرجل الصالح ليذهب معه ليشفع عند السلطان، فأتوا إلى ثابت البناني وهو معتكف في المسجد.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٣٠)، ومسلم برقم (٧٤٣٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٣٩٨، ٥٩٣١، ٧٣٤٨)، ومسلم برقم (٦٩٦٤).

فقال الرجل: أرسلني إليك الحسن لتذهب معي إلى السلطان لتشفع معي.

قال: أنا معتكف الآن.

فرجعوا إلى الحسن.

فقال: اذهبوا له وقولوا له: يا أعيمش (تصغير أعمش وهو الذي في عيونه صغر) ذهابك في حاجة أخيك المسلم أفضل من حجّة بعد حجّة.

فذهبوا إليه فقطع اعتكافه وذهب معهم إلى السلطان.

وذكر الإمام أحمد أن خباب بن الأرت لما ذهب ليجاهد في سبيل الله كان ﷺ يأتي إلى أهله فيحلب لهم غنمهم.

وكان أبو بكر رضي الله عنه قبل الخلافة يخدم بيتاً من بيوت المسلمين لا راعي لهم إلا الله.. فيحلب شياههم.

فلما تولّى الخلافة قالت إحدى البنات في ذلك البيت: لقد تولى أبو بكر الخلافة وسيتركنا.

فكان رضي الله عنه إذا انتهى من أمور الخلافة ذهب وحلب لهم شياههم!

فأيِ شيء هذه العظمة؟.

وكان ابن المبارك إذا رافق الناس اشترط عليهم إذا صاحبهم في السفر أن يخدمهم في السفر.

وفي الصحيحين أن الصحابة سافروا سفراً فصام بعض الناس وآخرون لم يصوموا، فأما الصوام فوقعوا في الأرض من الجوع والألم ليرتاحوا.

وأما المفطرون فقاموا فشدوا الخيام وطبخوا وعملوا، فقال ﷺ:

«**ذهب المفطرون اليوم بالأجر**»[١]، لماذا؟ لأن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

قوله ﷺ: «**ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة**»، أقرب الطرق إلى الجنة طريق العلم.. العلم الشرعي.. علم قال الله وقال رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، فكلما زاد العلم زاد قربة إلى الله.

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، العلم هنا هو العلم الشرعي قال الله وقال رسوله ﷺ، وما قرّبك من الله.

قال ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً**»، قال أهل العلم: من أتى إلى درس، أو أتى إلى عالم، أو أتى إلى طالب علم، سهّل الله طريقه للجنة، فجعل عمله هذا سبباً من أسباب دخولها. لأنه أتى مخلصاً النية لطلب العلم والفائدة وخدمة دينه.

وقال ابن رجب: (وفيه أن الطريق الحسي يسهل يوم القيامة لمن طلب العلم الشرعي)، أي: الصراط المستقيم. فأسعد الناس بالصراط المستقيم من طلب العلم الموروث عن محمد ﷺ، فتعلم آية وتعلم حديثاً، أو جلس في موعظة، أو جلس في محاضرة، فهذا يسهل عليه المرور على الصراط يوم القيامة.

وقال ﷺ: «**وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٤)، ومسلم برقم (٢٥٧٥).

الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». فتدارس كتاب الله عز وجل هو من أشرف الأمور.. عند البخاري: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[(١)]، وكان الصحابة يجتمعون عند عمر أحياناً فيقول عمر: يا أبا موسى ذكّرنا ربنا.

فيندفع أبو موسى يقرأ، فيبكي عمر ويبكي الصحابة.

لكن مجالس الذكر الآن واجتماع الناس على القرآن قد قل كثيراً للمغريات العصرية وللفتن التي غزت الأمة.

وورد في الصحيح أن معاوية خرج على نفر من الصحابة فوجدهم يذكرون الله وهم حلقة في المسجد فقال: ماذا أجلسكم؟

قالوا: جلسنا نذكر الله سبحانه وتعالى ونسبحه ونكبره ونهلله.

قال: آلله ما أجلسكم إلا هذا؟

قالوا: آلله ما أجلسنا إلا هذا.

قال: أما إني ما استحلفتكم تهمة لكم، ولكن أبشركم بشرى، كنت مع نفر من الصحابة فخرج علينا ﷺ ونحن نذكر الله في المسجد.

فقال: «**ما أجلسكم**»؟

قلنا: نذكر الله يا رسول الله.

قال: «**آلله ما أجلسكم إلا ذكر الله**»؟

قلنا: آلله ما أجلسنا إلا ذكر الله.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٧).

قال: **«أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»**(١).

والسكينة قد نزلها الله على رسوله ﷺ في الغار ويوم حنين وفي مواطن كثيرة، وهي اطمئنان وبرد سلام وراحة وسكينة وسعادة ينزلها الله على القلوب فتسعد سعادة ما بعدها سعادة وتفرح.

فإذا نزعت السكينة من هذا القلب أصبح خائفاً مضطرباً قلقاً فزعاً لا يستقر على شيء، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨].

وهذه السكينة تحصل بالإيمان وتحصل في مجالس الذكر التي يذكر فيها الرحمن.

في الصحيح أن أسيد بن الحضير رضي الله عنه وأرضاه قام يصلي في الليل ويقرأ سورة البقرة، فكانت فرسه تدور في مكان البيت وتكاد أن تطأ ابنه وهو نائم، فلمّا كادت أن تقطع حبلها وهو يقرأ القرآن بصوت شجي أنهى صلاته وسلّم، ثم أخذ الفرس ونظر إلى السماء فإذا ظلة فيها كالمصابيح فوق البيت، فوقف مدهوشاً مذهولاً.. ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فأخبره.

قال: **«أرأيتها؟»**.

قال: نعم.

قال: **«والذي نفسي بيده إنها الملائكة تنزلت لسماع قراءتك، ولو بقيت تقرأ حتى الصباح لرآها الناس لا تتوارى عنهم»**(٢).

وأما غشيان الرحمة.. فإن رحمته سبحانه وتعالى واسعة، وهي

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٨٠٧)، والنسائي برقم (٥٤١٠)، والترمذي برقم (٣٥١٠)، وأحمد برقم (١٦٥١٦)، وابن حبان برقم (٧٩٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨٩٨)، ومسلم برقم (١٨٠٩).

خاصة وعامة.. عامة للكافر والمؤمن.. وخاصة للمؤمنين.

فالرحيم للمؤمنين ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، والرحمن عامة للكافر والمؤمن وفي الدنيا والآخرة.

وفي الحديث: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»(١)، فنسأل الله أن يرحمنا وإياكم رحمة عامة وخاصة.

وأما قوله ﷺ: «**وحفتهم الملائكة..**» فإن لله ملائكة، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، نؤمن بهم على الجمع والتفصيل، وأن الله جعل لهم تخصصات، فمنهم ملائكة للقطر، وملائكة لتنزل الذكر منهم جبريل.. وملك الجبال هذا مهمته فقط الجبال.. وملك للريح.. وملك آخر لقبض الأرواح، وملك للصحف، إلى غير ذلك.

يقول ﷺ في الصحيح: «**أطّت السماء وحق لها أن تئطّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً**»(٢) ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدّثر: ٣١].

وأما قوله ﷺ: «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»، فالمعنى أن من اعتمد على نسبه ولم يعتن بعمله لا ينفعه ذلك عند الله شيئاً، وأن صاحب النسب العظيم والعمل الحقير لا ينتفع بنسبه.. إنما ينفع العمل.

وكان ﷺ يقول في الصحيح: «**يا معشر بني هاشم لا يأتين الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم**»، لأن بعض الناس الآن يعتمد على نسبه دائماً، في كل مجلس يذكر سلالته وأنه ابن فلان وأن أباه فعل وصنع.

والله يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٨)، ومسلم برقم (٦٩١٨).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٩)، وابن ماجه برقم (٤٢٨١)، والبيهقي في السنن برقم (١٣٥٠٠)، والحاكم في المستدرك برقم (٣٩٣٢، ٨٦٨٠).

رفع بلال وجعله أكرم من أبي جهل المخزومي ومن الوليد بن المغيرة، وجعل سلمان الفارسي من أهل البيت وصهيب وخباب وابن مسعود.

يقول ﷺ: «**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**»[1].

فالنسب الطيب مع الإيمان خير على خير.. أما أن يكون النسب مصدر إزعاج للآخرين وتعالٍ وتكبر وتفاخر، فهذا هو الويل والدمار.

إذا فخرت بآباء لهم شرف نعم صدقت ولكن بئس ما ولدوا

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



(١) رواه البخاري برقم (٣٣٠٩، ٣٣١٣، ٣٤١٧)، ومسلم برقم (٦٤٠٦، ٦١١٤).



الوصايا الثمينة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

عن أبي ذر وعن معاذ بن جبل رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسن»**[(١)].

هذا الحديث روي عن أبي ذر، وروي عن معاذ وهو أصل من أصول الدين، وقاعدة كبرى من قواعد الملة.

وفيه ثلاث ركائز:

١ ـ تقوى الله.

٢ ـ إتباع الحسنة السيئة.

٣ ـ مخالفة الناس بخلق حسن.

لقد أوصى ﷺ الصحابة بوصايا متنوعة، فأوصى واحداً منهم كما

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٩١)، وأحمد برقم (٢٠٩٧٥)، والدارمي برقم (٢٧٩٠) عن أبي ذر رضي الله عنه. وأخرجه أحمد برقم (٢١٦٨٢) عن معاذ رضي الله عنه.

في البخاري بقوله: «**لا تغضب**»[١]، لأن الغضب داؤه، فأوصاه ﷺ بما يناسب شخصه.

قال بعض أهل العلم من المحدثين: إنما اختلفت وصاياه ﷺ لاختلاف الناس وأحوالهم.

وأوصى ﷺ رجلاً كما في حديث عبدالله بن بسْر عند الترمذي وقال: «**لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله**»[٢]، لأنه رجل كبير يناسبه الذكر.

وأوصى ﷺ أبا أمامة كما عند أحمد فقال: «**عليك بالصيام فإنه لا عدل له**»[٣].

وأوصى معاذاً كما في سنن الترمذي فقال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئاً**»[٤]، لما سأله عن شيء يقربه من الجنة ويباعده عن النار.

ووصاياه ﷺ كثيرة تأتي مرةً في المعتقد كقوله لأبي الدرداء في وصية طويلة أولها: «**لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حرقت**»[٥].

ومرة تكون في العبادة كقوله لمعاذ كما في أبي داود: «**قل: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[٦].

ومرة في الدعاء كما قال في البخاري ومسلم لأبي بكر: «**يا أبا بكر قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[٧].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه أحمد برقم (٢١٧٧٣، ٢١٩٠١)، وابن خزيمة برقم (٣٣٨٨).
(٤) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٨٣).
(٥) انظر: مجمع الزوائد برقم (٥١١٧).
(٦) أخرجه أبو داود برقم (١٥٢٣)، وأحمد برقم (٢١٧٤٩).
(٧) أخرجه البخاري برقم (٨٢٥، ٦١٨١، ٧٢٢٢)، ومسلم برقم (٦٨١٩).

ومرة في الخلق كما مر معنا في حديث نهيه ﷺ ذلك الرجل عن الغضب.

ومرة في التفكير في آيات الله عز وجل يوم قال لأبي جريّ الهجيمي: «**أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك...**»(١).

أما التقوى: فقد قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].

قال بعض الفطناء: إذا رأيت الرجل يأنف من قول الناس له: اتق الله، فاعلم أنه قد باع نصيبه من الله.

وقال رجل لعمر: اتق الله يا أمير المؤمنين.

قال: لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فيّ إذا لم أسمعها.

وتقوى الله عز وجل نص عليها في الكتاب والسنة بأحاديث وبآيات كما سبق.

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٦]، قالوا: من يكابر على النصيحة فهو من جنس من تأخذه العزة بالإثم، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

وقد اختلف العلماء في تعريف التقوى على أقوال كثيرة:

فمنهم من نظر إلى أصلها في الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٠٨٤)، وأحمد برقم (٢٢٨٢١)، والبيهقي في السنن برقم (٢١٥٥٨)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (١٩١٨).

ومنهم من نظر إلى مردودها.

ومنهم من عرفها بمنطق أهل السلوك وأهل أعمال القلوب.

قال ابن تيمية عن التقوى: هي فعل المأمور واجتناب المحذور.

وهو كلام شرعي سني.

وقيل: هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية.

وقال ابن مسعود: تقوى الله أن يذكر فلا ينسى، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر.

وقال علي فيما نسب إليه: التقوى هي العمل بالتنزيل (وهو الوحي من الكتاب والسنة)، والرضا بالقليل، والخوف من الجليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

وهذه تحتاج إلى محاضرة مستقلة.

وقال معاذ: التقوى هي أن تتجنب الشرك، وأن تطيع الله، وأن تخلص العبادة.

وقال الحسن البصري في التقوى: هي أن تؤدي ما لله عليك، وما للناس عليك من حقوق، وأن تجتنب ما نهى الله عنه أو كما قال.

وذكرها عمر بن عبدالعزيز فقال: أما إنها ليست بقيام آخر الليل وبصيام الهواجر والتخليط بين ذلك ـ يعني بالسيئات ـ، ولكنها الانكفاف عن المعاصي.

وقال طلق بن حبيب: هي العمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

وقد ذكر أبو الدرداء لها تعريفاً آخر وهي: أن تكون مراعياً ما لله عليك من حقوق.

وكل هذه التعريفات تتداخل.

وسئل أبيّ بن كعب عن التقوى فقال للسائل: أمررت بوادٍ فيه شوك؟

قال: نعم.

قال: ماذا فعلت؟

قال: تحفزت وشمّرت.

قال: فهذه التقوى.

ورأيت في ترجمة رجل من بني إسرائيل أنه اختفى في غابة فأراد أن يفعل معصية فقال: لا يراني أحد ولا يعلم بي أحد.

فسمع هاتفاً يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [المُلك: ١٤].

وأوصى بعض الصالحين ابنه فقال: اتق ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۝٢١٩﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٩].

فهو لا تخفى عليه خافية.

أحد العباد اسمه حبيب بن محمد، كان يبيع ويشتري، فكان يبيع الدرهم بالدرهمين.

فمر بالصبيان فقالوا: أنت حبيب المرابي.

فقال: سبحانك يا رب فضحتنا أمام الناس.

فتاب إلى الله من الربا ثم تصدق بأمواله.

فمر على الصبيان فقالوا: مرحباً بك يا أبا محمد.

قال: سبحانك أنت الذي تمدح وأنت الذي تذم.

وهذا كلام جيد، ويوصف به سبحانه وتعالى، فإن مدحه زين وذمه شيْن.

وقوله ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»، معنى ذلك أنك إذا قدحت في مسمى التقوى الذي أوصى به رسوله ﷺ فإن عليك أن تبادر بالعلاج.

قال علي كما ذكر ذلك الغزالي في الإحياء: عجباً لكم، عندكم الداء والدواء.

قالوا: ما هو الدواء والداء؟

قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار.

ونحن عندنا دواء من صيدلية محمد ﷺ ولكننا لم نستخدمه.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحياناً فننتكس

قال: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»، دل على ذلك القرآن.

قال المولى سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: **١٣٣**].

يروى عنه ﷺ أنه سئل: كيف تكون الجنة عرضها السموات والأرض؟ فأين النار؟

فقال: «**أين الليل إذا أتى النهار**»[١]؟، وهذا قياس صحيح.

ثم قال تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ۝١٣٣ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝١٣٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝١٣٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ

(١) رواه أحمد برقم (١٥٣٥١، ١٦٣٧٥).

وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣ ـ ١٣٦].

وعن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: «**أذنب عبد ذنباً فقال: يا ربي أذنبت ذنباً فاغفر لي.**

فغفر الله له.

ثم أذنب ذنباً فقال: يا ربي اغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

فغفر له.

فأذنب ذنباً فقال: يا رب اغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

فقال الله: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا فليفعل عبدي ما شاء»(١).

والمعنى عند أهل العلم حتى لا يفهم فهماً خاطئاً أنه إذا أذنب ثم استغفر فإنه سينجو، وليس معناه أنه أباح له تعالى المعصية.

وفي الترمذي والسنن حديث ليس بالقوي: «**ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة**»، ومعناه صحيح لكن سنده ليس بالقوي(٢).

فإن العبد لو ارتكب ذنباً في يوم ثم استغفر وتاب على أن لا يعود غفر الله له.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٩٣٥)، والنسائي في الكبرى برقم (١٠١٥٤).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٥١٥)، والترمذي برقم (٣٧٠٢)، والبيهقي في السنن برقم (٢١٢٢٥)، وانظر المشكاة برقم (٢٣٤٠).

ثم عاد ثم استغفر وتاب غفر الله له.

ثم عاد ثم استغفر وتاب غفر الله له.

وهكذا.

وقال حبيب بن الحارث: يا رسول الله إني رجل مقراف للذنوب.

قال: «**تب إلى الله**».

قال: فأعود.

قال: «**تب إلى الله**».

قال: فأعود.

قال: «**تب إلى الله**».

قال: إلى متى يا رسول الله؟

قال: «**حتى يكون الشيطان هو المدحور**»[١].

أما حديث: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٢]، فقد رواه ابن ماجه وحسنه حافظ الدنيا ابن حجر بشواهده.

ومعناه صحيح، فإن تاب من الذنب كان كمن لا ذنب له لأنه سيغفر له سبحانه.

ولذلك من الجهل أن يعير الإنسان الناس بذنوبهم إن كانت في الجاهلية، كرجل كان يشرب الخمر وكان مشهوراً ثم تاب وأناب وأصبح عبداً صالحاً.

فإذا أمر أو نهى قال: اسكت أنت كنت تشرب الخمر.

---

(١) رواه أبو نعيم كما في كنز العمال (١٠٤٤١)، وانظر مجمع الزوائد برقم (١٣٥٧١)، وجامع الأحاديث برقم (١١١٩٧، ١١١٩٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤٢)، والبيهقي في السنن برقم (٢١٠١٣)، والشهاب في مسنده برقم (١٠٨).

سبحان الله!

عمر بن الخطاب كان يعبد الصنم وهو أفضل من مسلمي الكرة الأرضية في هذا الوقت، ومع ذلك أصبح ثاني الخلفاء الراشدين لما تاب وأناب.

ويروى عنه ﷺ أنه قال: «**المؤمن واه راقع، فالسعيد من هلك على رقعه**»[(١)]، رواه الطبراني في الصغير وفيه ضعف.

ومعنى الحديث أن دينه مثل القربة يخرقها بين الحينِ والآخر.

ولذلك قال ابن الجوزي: لا يخلو المؤمن من جروح، لكن الله أن لا تكون الجروح في الوجه!

وهذا تشبيه بذنوب العبد التي لا بد أن تصيبه.

فهو لا بد أنه يعالجها ويبدأ بالأهم منها.

إن اللبيب إذا شكا من جسمه   مرضين مختلفين داوى الأخطرا

وقوله: «**فالسعيد من هلك على رقعه**»، يعني أن من مات وهو راقع فهو السعيد.

أما من مات على وهيه وعلى خرقه فهذا المسكين.

وقال ﷺ فيما يروى عنه: «**ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون**»[(٢)] الحديث فيه مقال وسنده يقارب الحسن.

---

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبزار، انظر: مجمع الزوائد رقم (٥٣٥٧١)، جامع الأحاديث والمراسيل رقم (٢٣٤٥٩)، والترغيب والترهيب رقم (٤٧٤٨).

(٢) رواه أحمد برقم (٦٥٢٥، ٧٠٢١)، وعبد بن حميد في المنتخب برقم (٣٢٠)، وانظر مجمع الزوائد برقم (٩٦٤٧١)، مسند الشاميين برقم (١٠٦٥)، والترغيب والترهيب برقم (٣٤١٣، ٣٧٢٠).

أما قوله ـ وهذا الشاهد ـ: **«واغفروا يغفر لكم»**، أي سامحوا الناس يسامح الله لكم، والجزاء من جنس العمل.

أما أقماع القول فهم الذين يستمعون القول فيكونون كالأقماع لا يستفيدون من الكلام.

وقال ابن عباس ولا يصح مرفوعاً إلى الرسول ﷺ: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار»[١]. والمعنى أن صاحب الكبيرة كلما استغفر وأناب وتاب غفر الله له.

وأن صاحب الصغيرة إذا أصر عليها وداوم عليها واستمر أصبحت كبيرة.

وورد في السنن أن الرسول ﷺ: وصف صاحب الصغائر بقوم **«ذهبوا للخلاء فجمعوا حطباً صغيراً، فجمع هذا عوداً وهذا عوداً ثم أجّجوا ناراً عظيمة»**[٢].

فالصغائر تجتمع على العبد حتى تهلكه والعياذ بالله.

وهاهنا مسائل في التوبة:

أولاً: شروط التوبة ثلاثة:

الأول: العزم على أن لا يعود إلى الذنب.

الثاني: الندم على ما كان من الذنب.

الثالث: رد حقوق الناس كالأموال والأراضي والممتلكات.

---

(١) رواه الشهاب في مسنده برقم (٨٥٣) عن ابن عباس، وابن عساكر عن عائشة (١٧/٤) وانظر جامع الأحاديث والمراسيل رقم (١٨٢٧١، ١٨٦٨٥، ٢٦٢٣٠)، والفتح الكبير برقم (١٠٧٢٦)، وفيض القدير (٥٦٧/٥).

(٢) رواه أحمد برقم (٣٨١٧)، والبيهقي في السنن برقم (٢١٢٢٢)، والطيالسي في مسنده برقم (٤٠٠)، والترغيب والترهيب برقم (٣٧٣٠).

لأنه لا تصح التوبة بدون التخلص من حقوق الناس.

لأن حقوق الناس مبنية على المشاحة، وحقوق الله مبنية على المسامحة.

فأنت إذا أذنبت مع الله ملء الأرض وتبت إليه غفر لك.

وإذا أذنبت مع العبد فسوف يطلب حقه ولن يسامحك إلا القليل منهم.

قال الشعبي:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا ربي لعفوك سلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

ثانياً: فضل التائبين:

قال ابن تيمية: أعظم المنازل منزلة التائبين.

وقد ختم الله حياة الرسول ﷺ بقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر: ١ ـ ٢]، هل قال له: استبشر بالمنزلة العالية؟

هل قال له: ادخل الجنة؟

هل قال له: قصرك في الجنة كالربابة؟

لا.. بل قال: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾ [النّصر: ٣].

إن جهدك كبير ولكن استغفر وتب، فالتوبة أعلى منزلة عند الله.

قال ابن تيمية: وختم رسول الله الصلاة بالاستغفار.

أي أنه يقول بعدها كما هو معلوم: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

وختم الله الحج بالاستغفار: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البَقَرَة: ١٩٩].

أما فرح الله بالتائب فيكفي حديث: «**لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم كان في فلاة فضاعت عليه ناقته وعليها طعامه وشرابه في الصحراء، فلما قام وجدها عند رأسه فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»[1].

فمن ظن أن الله يريد أن يعذب العبد فقد أساء الظن بربه.

بل الله رحيم يفرح بتوبة العبد.

ولذلك يخطىء كثير من الشباب الذين أسرفوا على أنفسهم عندما يظنون أن الله لا يغفر ذنوبهم وجرائمهم السابقة لهولها في أعينهم.

ونسوا أن الله تاب على القاتل الذي قتل مائة نفس من بني إسرائيل برغم عظم جرمه، ليبين لهم الله أنه الغفور الرحيم الذي لا يتعاظمه ذنب.

فواجبهم أن يتركوا تلك الوساوس التي صرفتهم عن الهداية والتوبة ويقدموا مسرعين لئلا يفوتهم قطار السعادة، وقطار التوبة الماضي في طريقه دون ملل أو كلل.

قال الرسول ﷺ: «**ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله من ذاك الذنب إلا غفر الله له**»، ثم تلا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٥][2].

---

(١) رواه مسلم بنحوه برقم (٦٩٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢)، والترمذي برقم (٤٠٣، ٣١٠١)، وابن ماجه برقم (١٤٤٠)، وأحمد برقم (٢، ٤٨، ٥٧)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (١٣٢٤).

وتسمى هاتان الركعتان بركعتي التوبة، وهي ثابتة وصحيحة.

وأرشد إليها إخواني ممن فعل سيئة أو خطيئة، كبرت أو صغرت، أن يذهب إلى الماء فيتوضأ ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله.

وفي الصحيحين أن رجلاً قال: يا رسول الله أصبت حدّاً فأقمه علي.

فسكت عنه ﷺ.

فلما صلى ﷺ الصلاة قال: «**أين فلان؟**».

قال: ها أنا يا رسول الله.

قال: «**أصليت معنا؟**».

قال: نعم.

قال: «**اذهب فقد غفر الله لك ذنبك بصلاتك**»[1].

ومعنى الحديث: أن هذا الرجل عمل ذنباً ليس عليه فيه حد، وهو يظن أن عليه حداً كالزنا والقتل مثلاً.

فأخبره ﷺ أن هذا الذنب تكفره الصلاة والتوبة.

وقيل: بل كان هذا الذنب قبل أن تنزل الحدود فجعل ﷺ كفارته الصلاة، والله أعلم.

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء**»؟

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٦٧٥)، ومسلم برقم (٦٩٥٥).

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «**فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الذنوب والخطايا**»[١]، أو كما قال ﷺ.

قال بعض السلف: تحترقون تحترقون ثم تصلون فيكشف الله ما بكم.

وعند مسلم في الصحيح «**من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره**»[٢]، نسأل الله من فضله.

وهذا في الصغائر، أما أهل الكبائر فلا بد لهم من التوبة.

وعند مسلم في الصحيح قال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات**»؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»[٣].

وفي مسلم أن رجلاً من الأنصار كان بعيد الدار عن مسجد الرسول ﷺ، فقال له أصحابه: لو اشتريت حماراً تركبه إلى المسجد في ذهابك وإيابك في الظلماء وفي الرمضاء.

قال: لا.. إنني أسأل الله أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إلى أهلي.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٢٢)، ومسلم برقم (١٤٧٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٣١).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٥٤٠)، والترمذي برقم (٥١)، وأحمد برقم (٩٥١٤).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٤٦٤).

فأخبر الرسول ﷺ فقال: **«قد جمع الله لك ذلك كله»**[1].

وفي السنن: **«بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»**[2].

وكان ابن عمر يقارب خطاه إذا ذهب إلى المسجد حتى كأنه نملة.

أما انتظار الصلاة بعد الصلاة، أي أنك إذا صليت انتظرت الصلاة التالية في المسجد.

والظاهر والله أعلم انتظارها بالقلب ومراعاة الوقت.

ذكر الإمام أحمد عن عدي بن حاتم في كتاب الزهد أنه قال: ما دخلت عليّ الصلاة إلا وكنت لها بالأشواق.

فالصالحون دائماً مشغولون بوقت الصلاة: متى يؤذن؟.. هل أذّن..؟

وأحد السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظلّه: **«رجل قلبه معلق بالمساجد»**[3].

ثم قال ﷺ مبيناً الركن الثالث من هذه الوصية: **«وخالق الناس بخلقٍ حسن»**.

لما انتهى من حقوق الله عز وجل على عبده ذكر حقوق الناس عليه فقال: **«وخالق الناس بخلق حسن»**.

والله ذكر الخلق الحسن وأصوله في القرآن كثيراً، كقوله سبحانه وتعالى في رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، ﴿ٱدْفَعْ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٥٦١)، والترمذي برقم (٢٢٢)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٧٢١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥١، ١٤٠٣، ٦٦٥٨)، ومسلم برقم (٢٣٣٣).

بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٞ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤]، ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤]، ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعرَاف: ١٩٩]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفُرقَان: ٦٣]، ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البَقَرَة: ٨٣].

وعند الترمذي وغيره قوله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً**»(١)، وفي رواية أخرى: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، الموطؤون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وليس منا من لا يألف ولا يؤلف**»(٢). والأكناف هي أطراف الشيء والأجنحة، أي يوطئونها للناس ويألفهم الناس.

وروى أحمد وأبو داود وابن حبان: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٣)، وهذا حديث حسن وهو صحيح المعنى.

وروى أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان: «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق**»، ثم ذكر: «**وإن صاحب حسن الخلق يدرك درجة الصائم القائم**»(٤).

وعند أبي داود بسند صحيح والطبراني في الكبير قال المصطفى ﷺ: «**أنا زعيم**» والزعيم الوكيل، «**أنا زعيم بيت في أعلى**

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٠٢٥).

(٢) انظر: مجمع الزوائد برقم (٦٩١).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٤)، وأحمد برقم (٢٤٦٢٠)، وابن حبان برقم (٤٧٩).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٥)، والترمذي برقم (٢٠٠٩)، وأحمد برقم (٢٧١٠٦، ٢٧١١٩)، وابن حبان برقم (٤٨٠).

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٦)، والبيهقي في السنن برقم (٢١٦٤٢)، وفي مسند الشاميين برقم (١٦٠٧) وانظر: مجمع الزوائد برقم (٤٠٧).

الجنة لمن حسن خلقه»[1].

وحسن الخلق عرفه الأئمة بأنه بسط الوجه، بأن لا تغضب، وأن تبتسم، وأن لا تكفهرّ.

يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر ما معناه: رأيت أناساً يتزمتون ويظهر عليهم العبوس، ويظهرون التعبد للناس، وإن القلوب لتنفر منهم.

ورأيت أناساً يتبسمون ويمزحون، وإن القلوب تطوف بهم، لأن الحب من الواحد الأحد وليس من الناس.

وحسن الخلق بذل الندى، وكفّ الأذى، وبسطة الوجه.

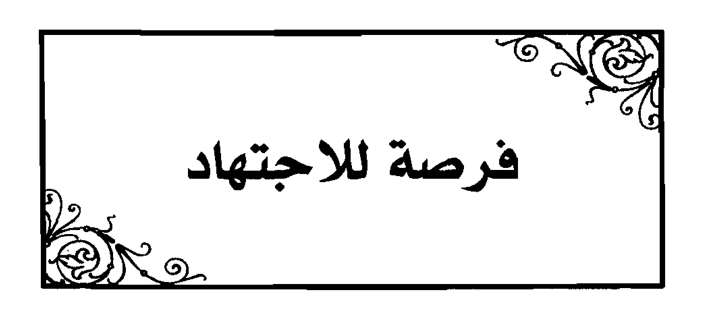
وعلى المسلم كذلك ألا يحوج الناس لسوء الخلق، فإن بعض الناس يحوجك إلى أن يسوء خلقك، إما بالإلحاح بالطلب، وإما بعدم معرفة الوقت المناسب، وإما أن يكثر عليك بالمسألة، وإما أن يدخل عليك بجلافة وبكلام فظ.

وقد غضب ﷺ وهو معصوم لما اضْطرّ لذلك.

أسأل الله لي ولكم أن يجعلنا من المتقين التائبين الذين يتعاملون مع الناس بحسن الخلق.

والله أعلم، وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.





فرصة للاجتهاد

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[1].

هذا الحديث بدأه ﷺ بجمله المختصرة النافذة، وبعباراته البليغة التي وجهت إلى الأمة العربية فعلّمتها البلاغة.

ومعجزته ﷺ في القضية التي أجادها العرب، والعرب أجادوا الفصاحة، فهي أمة البلغاء.

فأتى ﷺ فغلبها من جنس ما برعت فيه.

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧)، وأحمد برقم (٢٢٥٢٢)، والدارمي برقم (٦٥٨)، والبيهقي في السنن برقم (١٨٨)، وعند الترمذي برقم (٣٦٥٥) وأوله: «**الوضوء شطر الإيمان**» وعند ابن حبان برقم (٨٢١) وأوله: «**إسباغ الوضوء شطر الإيمان**».

قال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**»، الطهور هو النقاء والصفاء، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤]، قيل: طهّر قلبك وروحك من الأدناس.

وقيل: طهّر عرضه.

وقيل: طهّر ثيابك الظاهرة إذا أردت أن تصلي.

واستدل أهل العلم بهذه الآية على وجوب تطهير الثياب.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحَجّ: ٢٦]. فالطهر دينه، والطاهر رسوله، والطاهر بيته، والطاهر منهجه.

وسمى ﷺ الطهور الوضوء، فعند الترمذي: «**الوضوء شطر الإيمان**»[(١)]، وعند مسلم: «**الطهور**».

وهو شطر الإيمان لأنه يطهر الأعضاء، والإيمان يطهر الباطن، فنصف باطن ونصف ظاهر. فالظاهر هذا الطهور، والباطن لا إله إلا الله، فتجتمع طهارة الظاهر وهي الوضوء والغسْل، وطهارة الباطن وهي الإيمان الذي غرسه الله في القلوب.

أما «**شطر**»، فهو عند أهل اللغة النصف. يقال: شطر الشيء أي نصفه. ويقال شطر للقسمين ولو لم يكونا نصفين. كثلث وثلثين، فيكون هذا الجزء شطراً وهذا شطراً.

أما الإيمان إخوة الإيمان ففيه ثلاث قضايا:

١ ـ الإيمان عند أهل السنة إذا ذكر بدون إسلام شمل الإسلام.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٦٥٥).

وإذا ذكر الإسلام مع الإيمان، فالإسلام شيء والإيمان شيء آخر، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجرَات: ١٤].

قال أهل العلم: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

وإذا ذكر الله عز وجل الإسلام وحده شمل الإسلام الدين فيدخل فيه الإيمان تبعاً، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥].

٢ ـ الإيمان يزيد وينقص عند أهل العلم.. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والمؤمنون متفاوتو الدرجات، فأعلاهم بعد محمد ﷺ، أبو بكر رضي الله عنه، ثم يبدأ العد التنازلي حتى يصل إلى من ليس في قلبه إلاّ مثقال ذرة أو حبة من خردل من إيمان.

والناس ينجون يوم القيامة بحسب إيمانهم على الصراط، ولا يثبت إلا من زاد إيمانه.

ويدخل بعض المؤمنين النار ثم يخرجهم الله بما في قلوبهم من إيمان من النار، نعوذ بالله وإياكم من النار.

ومن يفعل كبيرة يخرج إلى درجة الإسلام.

فأعظم الدرجات الإحسان، ثم الإيمان، ثم الإسلام.

فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، وليس كل مؤمن محسناً.

قال ﷺ: «**الحمد لله تملأ الميزان**»، الحمد هو: الثناء العاطر على من يستحق الثناء، ولا يستحق الثناء لذاته إلا الله.

والله حمد نفسه وهو تعالى يحب المدح.

يقول الأسود بن سريع؛ وهذا عند أحمد وعند الطبراني قال: ردفت الرسول ﷺ فقلت: يا رسول الله ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي (يعني قصيدة نظمتها في الله)؟

قال ﷺ: «**أما إن ربك تبارك وتعالى يحب المدح، هات ما امتدحت به ربك**»[١].

ولذلك مدح الله نفسه وأثنى على نفسه بنفسه، ووصف نفسه، ونزه نفسه، وقدس نفسه.

فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١].

وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١].

وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فَاطِر: ١].

وقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصَّافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

والحمد غير الشكر؛ لأن الشكر يكون على النعمة كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

فالشكر أن يقدم لك إنسان جميلاً فتقول: شكر الله لك.

أما الحمد فهو لمن يقدم لك الجميل أو لم يقدم.

والله محمود لثلاثة أسباب:

أولاً: ما من نعم ظاهرة ولا باطنة إلا من الله، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ٥٣].

---

(١) أخرجه أحمد برقم (١٥٢٨٦)، وانظر: مجمع الزوائد برقم (٣٩٢٣١).

الثاني: أنه يحمد لأفعاله، فأفعاله كلها كاملة ومحمودة وحسنة وطيبة فلا عيب فيها.

الثالث: أن أسماءه كلها صفات مدح.. فلا ينام، وليس ببخيل، ولا يغفل.. إنما صفاته كلها صفات مدح: حكيم عليم قدير.. تبارك الله رب العالمين.

أما قوله: «**الحمد لله تملأ الميزان**»، ففيها قضايا: ما هو هذا الميزان؟

قيل: ميزان الأعمال الذي تسجل فيه الحسنات.

والصحيح عند أهل السنة أنه ميزان حسي خلافاً لعلماء الكلام وللمناطقة الذين قالوا: بأن هذا الميزان وهمي وليس ميزاناً محسوساً، وإنما ميزان ضربه الرسول ﷺ للناس حتى يفهموا ذلك.

وهذا خطأ، بل الميزان محسوس ينصبه الله يوم القيامة وله كفتان، يقول تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

فيضع الله الحسنات في كفة والسيئات في كفة. وفي الصحيح: «**أن الله عز وجل ـ يمثل العمل الصالح لصاحبه في القبر على صورة إنسان حسن الهيئة، ويمثّل أعمال المجرم على صورة رجل قبيح الهيئة**»[1].

---

(١) كما ورد في مسند الإمام أحمد برقم (١٨١٨٦)، والطيالسي في مسنده برقم (٧٥٤) وصححه الألباني في المشكاة برقم (١٦٣٠).

فالله يجسّم الأعمال فتأتي الأعمال في أجسام الصدقة والصيام والحج وبر الوالدين وحسن الخلق، فيضمها الله في كفة.

ويجسم الله الأعمال السيئة الكذب والنفاق والغيبة والنميمة والربا والغناء فيضعها في كفة.

من الذي يحكم على الميزان؟

من الذي ينظر إلى لسان الميزان؟

إنه الواحد الأحد ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: ٤٦].

وصح أن الله ـ عز وجل ـ قبل أن يضع الميزان ينادي: لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

فيجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[إبراهيم: ٤٨] ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وينادي الله سبحانه وتعالى: أين ملوك الأرض؟ أين المتجبرون؟ أين المتكبرون؟(١).

ثم هو الله سبحانه وتعالى يفصل النزاع وهو الذي يراقب الميزان.

وصح عنه ﷺ: «**أن رجلاً من الأمة يأتي فيرى أن سيئاته قد رجحت وأن حسناته قد خف ميزانها فيقول ـ سبحانه وتعالى ـ: إن لك عندنا حسنات، فيأتي ببطاقة مكتوب فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٩٤، ٦٣٧٢)، عن أبي هريرة، ومسلم برقم (٧٠٠٠) عن ابن عمر بنحوه.

فتوضع في الكفة فترجح»[١]، ولا يرجح مع اسم الله شيء، هذه من المعاني الخالدة في الميزان.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرَّحمٰن: ١ ـ ٧].

قال أهل العلم: الميزان اثنان: ميزان في الدنيا وهو العدل، وهو الميزان الذي يتحاكم به الناس في الدماء والأموال والذوات والأشياء والمبيعات والمكيلات والموزونات.

فالله أقام الدنيا على العدل، وجاء بالسلطان للعدل، وأنزل السيف بالعدل.

وهناك ميزان لا يحكم به إلا الله، ولذلك يقول: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤]، فلا يحكم إلا هو ولا يظلم أحداً ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فُصّلَت: ٤٦].

فعلى العبد أن يعتني بأعماله لترجح في ميزانه عندما لا يظلم سبحانه وتعالى أحداً من الناس.

قوله ﷺ: «**سبحان الله**»، معناها أنزهك يا رب، فالتسبيح والتقديس دون سواك.

فنفى عنه تعالى النقائص.

وأهل السنة من قواعد عقيدتهم أنهم لا ينفون نفياً خاصاً حتى يثبتوا المدح، بل ينزهونه سبحانه بالعموميات.

---

(١) رواه أحمد برقم (٦٩٧٥)، والترمذي برقم (٢٧٠٨)، وابن ماجه برقم (٤٣٩٢)، والحاكم في المستدرك برقم (١٩٧٣)، وابن حبان برقم (٢٢٤، ٢٧٠٨)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٥٥٥٩).

فأنت لو كنت عند ملك من ملوك الدنيا ـ ولله المثل الأعلى ـ لا تقول له قاصداً مدحه: يا من لا يكنس الشوارع! يا من ليس يبخل ولا يكذب ولا... إلخ، وإنما تقول: يا كريم، يا أجود الناس، ويا أعدل الناس.. إلخ.

فلذلك لا بد أن نثبت له سبحانه صفات المدح والتقديس والتنزيه التي تليق بجلاله.

فلا يمدح في السراء والضراء إلا هو.

تذهب العيون والأبصار والأسماع فتقول: الحمد لله.

فالرسول ﷺ كان الصحابة يقتلون بين يديه فيتأثر ويظل باكياً فيه لوعة وأسى فيقول: الحمد لله على كل حال.

ويموت طفله بين يديه فيقول: **الحمد لله**.

وتموت بناته فيقول: **الحمد لله**.

فلا يحمد على مكروه إلا الله.

ولذلك لما دمّر الله الأمم قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥].

ولذلك لا يقال لبشر: دمرت بيتي شكر الله لك أو حمداً لك، إنما تقال في حق الله رب العالمين لا في حق البشر.

قوله: «**وأما التسبيح**»، فهل تسبح الكائنات؟

نعم.. ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

يقول الرازي: هذه الكائنات لا تسبّح بألفاظها، إنما تسبّح بلسان الحال، أي أنها تشهد شهوداً ظاهراً بأن الخالق هو الله.

ولذلك فأول سورة نزلت على الرسول ﷺ هي: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العَلق: ١].

في ماذا يقرأ؟

قيل: اقرأ في كتاب الكون:

وكتاب الفضاء اقرأ فيه سوراً ما قرأتها في كتابي

فنقرأ في التل، وفي الرابية، وفي الهضبة.

نقرأ في الحمامة وفي الوردة وفي الهرة، فكل شيء يدلك على الله.

فنثبت التسبيح لها، لا نفهمها نحن والله يفهمها.

كان بعض علماء السلف يقول: إن النبات يسبح.. فأتى العلم الحديث ليقول بأن النبات يطلق نغمات من الصوت (ذبذبات) لا يفهمها إلا النبات الآخر!

فسبحان من خلق!

أما فضل التسبيح فيقول ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت ذنوبه حتى ولو كانت كزبد البحر**»(١)، وعند الترمذي بسند حسن: «**من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة**»(٢).

وقال الرسول ﷺ لأبي ذر: «**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟**» قال: نعم يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله. فقال: «**إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٢٥٨)، ومسلم برقم (٦٧٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٢، ٣٦٠٣)، وابن حبان برقم (٨٠٣)، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٥٦١)، والحاكم في المستدرك برقم (١٨٨٣).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٦٨٧٦).

وكان يقول ﷺ، وهذا آخر حديث في البخاري ختم به صحيحه، وروى هذا الحديث أيضاً مسلم: **«كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»**(١)، هذه من أغلى الكلمات.. وهي من أسهل الكلمات.

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر كلاماً ما معناه: يقول عجباً لك إذا علمت أن كل كلمة بغرسة في الجنة وبنخلة، فكم تضيع عليك النخلات؟

بعض الناس يتحدث ساعتين في الهرج والمرج والضياع والهراء والفحش، وإذا طلبته ليسبح قال: لا.. ساعة لربك وساعة لقلبك! والدين يسر!

«مرّ الرسول ﷺ بإبراهيم الخليل شيخ التوحيد وسلّم عليه.

فقال: من؟

قال: محمد.

قال: الرسول؟

قال: نعم.

قال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»(٢). في سند هذا الحديث نظر وهو في فضائل الأعمال.

ويقول ﷺ عند مسلم: **«لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٢٥٩، ٦٥٣٤، ٧٣٩٧)، ومسلم برقم (٦٧٩٦).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٠)، وحسنه الألباني في المشكاة برقم (٢٣١٥).

إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»[١]، وفي لفظ آخر: **«أو غربت»**.

والتسبيح يستخدم للتنزيه: يأتيك خبر فتقول: سبحان الله.. سبحان الله هذا بهتان عظيم.

ويأتي للتعجب: ترى خلق الله في الكون فتقول: سبحان الله!

ويأتي للتوجع: يأتيك خبر فتقول: سبحان الله.

ويأتي للإنكار: فتقول: سبحان الله، إذا سمعت بمنكر.

كان أبو إسماعيل الهروي الإمام الكبير صاحب كتاب (منازل السائرين) الذي شرحه ابن القيم بكتاب (مدارج السالكين) كان هذا الإمام شديداً على أهل البدع في عهده، وكان يعيش في عهد أحد السلاطين الكبار، فوجد المبتدعة ضرراً من وجود هذا الإمام ينعم بالحرية في البلد ويبث دعوته.. وهي دعوة التوحيد لو كانوا يعلمون.

فذهبوا وأحضروا صنماً على صورة إنسان نحتوه ثم دخلوا مسجد أبي إسماعيل ووضعوه تحت السجادة ثم وشوا به إلى الملك.

وقالوا: أبو إسماعيل يعبد الأصنام ولا ينزه الله!! وأن له صنماً يعبده تحت سجادته!

فقال الملك: أحضروه إلي.

فأحضروا أبا إسماعيل بعد أن وجدوا الصنم في المسجد.

فقال له الملك: ما هذا يا أبا إسماعيل؟

قال: صنم.

قال: ما حكم من يعبد الصنم؟

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٧٩٧).

قال: هو ملعون وكافر!

قال: أنت تعبد الصنم؟

قال: سبحانك هذا بهتان عظيم.

فكاد قلب السلطان أن ينخلع من هذه الكلمة.

ثم قال: لقد كذبتم عليه، ولقد صدق. فجلدهم مائة جلدة! وأطلق سراحه لهذا التنزيه لله الذي صدر من داخل قلبه، حتى أثّر في محدثه ولم يأبه بأقاويل الكذبة والوشاة والمغرضين.

أما قوله ﷺ: «**والصدقة برهان**»، البرهان هذا هو الشعاع الذي يلي الشمس.

والشمس تسمى عند العرب ذكاء، وتسمى إياك، وتسمى الغزالة.

يقول قائلهم يمدح خليفة:

غزالة أنت فخر الناس طراً وأنت الحاكم البطل البريع

وكان الخليفة لا يعرف اللغة العربية الفصيحة، فقال: اسحبوا ابن الفاعلة هذا.. أيمدحني بأنني غزالة!! فأخبروه فرضي.

ولذلك واجب أن تحدث الناس على قدر عقولهم. وأما (إيَاك) فهي من أسمائها أيضاً، ولذلك يقول أبو عبيد: لا يقرأ (إيَاك) في الفاتحة بل تكفر إذا اعتقدت ذلك، لأن المعنى (الشمس نعبد!!).

فلا بد أن تشدد وتقول: ﴿إِيَّاكَ﴾ [الفَاتِحَة: ٥].

والبرهان: الحجة القاطعة، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البَقَرَة: ١١١]، وإنما سمي برهاناً لأنه واضح مثل شعاع الشمس، ولأنه ساطع ولأن الناس يرونه.

قال ﷺ: «**الصدقة برهان**»، أما الصدقة فإذا أطْلقت في الكتاب

والسنة فيقصد بها الزكاة المفروضة والنافلة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التّوبَة: ٦٠]، يعني الزكاة وهي تدل على الصدقة المستحبّة في أحاديث كثيرة.

فهي تشمل هذا وهذا.

وأما فضلها فهي مكفرة للخطايا وهي تشرح صدر العبد، فلذلك عدّها ابن القيم من أسباب انشراح الصدر.

ولذلك شبّه ﷺ الكريم والبخيل «**برجلين عليهما جبّتان، فلا يزال الكريم ينفق فتتسع الجبة له، ولا يزال البخيل يمسك حتى تضيق عليه**»[١].

يقول أبو هريرة: يوسعها ولا تتسع (يعني الجبة) من ضيقها.

ولذلك فنفوس البخلاء من أضيق النفوس لأنهم ما بذلوا.

ونفوس الكرماء من أشجع النفوس.

ويقولون: في الغالب يجتمع في الكريم الشجاعة، وفي الشجاع الكرم.

ودائماً يجتمع في البخيل الجبن، وفي الجبن البخل.

فتجد الشجاع دائماً كريماً لأنه يجود بالنفس صباح مساء.

يجود بالنفس إن ضنّ البخيل بها والجود بالنفس أغلى غاية الجود

فيقول ﷺ: «**الصدقة برهان**»، أي دليل على صدق صاحبها في الإيمان.

لأن المنافق ما يتصدق بالمال لأنه لا يحتسب الأجر من الله

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٢٤، ٢٨٥٠، ٥٦٦٤)، ومسلم (٢٣١٢).

تعالى، وغير مؤمن حق الإيمان بأجر الصدقة وثوابها عند الله تعالى، فهو يشك في النصوص ويقول:

خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعت به   في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

لذلك تجد المنافقين يقولون: أمسكِ مالك ولا تصرف، واجمع درهمك الأبيض ليومك الأسود.

ففضائل الصدقة كما سبق في أنها تشرح الصدر وتكفر الخطايا وتطفئها كما يطفىء الماء النار وتحبب الخلق إلى الإنسان.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسان

وهي من أجود ما يكون، ولم يكن الناس منذ زمانهم يمدحون شيئاً كمدحهم الإنفاق والبذل.

وأكرم من في الخليقة إلى يوم الدين هو محمد ﷺ، وبعده أبو بكر الصديق الذي دفع ماله كله في سبيل الله، لأنه ابتغى ما عند الله والدار الآخرة، لذلك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الليل: ١٨]، فهو زكي النفس طاهر القلب.

وأما بعض الكرماء فإنهم ينفقونها طلباً للسمعة وطمعاً في المحمدة، مثل حاتم الطائي الذي لم يخل مجلس من ذكره، لكن ليس له في الآخرة من خلاق.

قال الرسول ﷺ كما في مسند أحمد لعدي بن حاتم: «**إن أباك طلب شيئاً فأصابه**»[1].

وقد أصاب ما أراد كما قال ﷺ، فقد ضرب الغاية القصوى في الكرم. كان يقول لمن عاب نحفه وهزال جسمه:

---

(١) سبق تخريجه.

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
أوزع جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد
وإنني امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

قال الرسول ﷺ: **«الصبر ضياء»**، لماذا قال ضياء ولم يقل نور؟

لأن الضياء نور فيه حرارة، والنور نور بلا حرارة، وشعاع بلا حرارة.

فهما كالشمس والقمر: الشمس فيها ضياء وحرارة، والقمر فيه ضياء دون حرارة ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يُونس: ٥].

ولذلك لا يقال: ضياء القمر، بل يقال: نور القمر.

ولا يقال: نور الشمس، بل يقال: شعاع الشمس.

وقد وصف الله شريعة موسى بأنها ضياء، ووصف شريعة محمد ﷺ بأنها نور.

فشريعته ﷺ مثل القمر، وشريعة موسى مثل الشمس.

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبيَاء: ٤٨].

أما شريعة الرسول ﷺ، فيقول سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المَائدة: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعرَاف: ١٥٧].

قال أهل العلم: الحكمة من هذه المباينة بين الصنفين أن شريعة

موسى فيها آصار وأغلال، فسماها الله ضياءً لما فيها من آصار تحرق.

أما شريعة الرسول ﷺ فهي يسر: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ [الأعلى: ٨]، وقال: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١، ٢] فكانت ميسرة.

فشريعة الرسول ﷺ حنيفية سمحة، وشريعة موسى جامدة شديدة.

فإن اليهودي مثلاً إذا أذنب يكْتب على جبينه الذنب الذي فعله بالليل.

وكانوا إذا أصاب بشرة أحدهم البول قطعها وقرضها!

أما نحن فشريعة سمحة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ففيها من الرخص ما يناسب الإنسان، وطموح الإنسان، وأشواق الإنسان، وآمال الإنسان.

فالمريض له رخصة، والمسافر له رخصة، والحاج والنفساء والصغير والنائم والمجنون.

فللّه الحمد والشكر.

قال: «**الصبر ضياء**»، لأن في الصبر مشقة، وبالصبر يدرك الإنسان كل خير، ولذلك قال ﷺ: «**اعلم أن النصر مع الصبر**»[1]، ولا ينتصر الإنسان على نفسه إلا بالصبر.

وعلى عدوِّه إلا بالصبر.

كان عنترة بن شداد عبداً شجاعاً جاهلياً ليس مسلماً، وكان يحطم الرؤوس بسيفه، ومن أشجع العرب.

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٨٠٨)، وانظر: مجمع الزوائد برقم (١١٧٩٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٦٣٥٥).

قال له أحد الناس: يا عنترة كيف تغلب الرجال ولا نغلبهم نحن؟

قال عنترة: أعطني أصبعك وأعطيك أصبعي لتعرف السر.

ففعل، قال: عض أصبعي وأعض أصبعك!

فعض ذاك وعض عنترة حتى قال ذاك: آه.

فقال: هكذا أغلب الرجال!

أقسمت أن أوردها حرة ... وقاحة تحت غلام وقاح
إما فتى نال المنى فاشتفى ... أو فارساً زار الردى فاستراح

والعربي الشجاع إذا ضُرب بالسيف كتم أنفاسه، ولذلك فخبيب بن عدي رضي الله عنه لما شنق في مكة ما أخرج صوت جبن وجزع، وإنما تقدم إلى الموت بصبر وبسالة وقال:

فلست أبالي حين أقْتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أشلاء شلو ممزع

وحبيب بن زيد أحد الصحابة مزّق مسيلمة الكذاب جسده وقطّعه قطعة قطعة.

قالوا: فضمّ أسنانه بعضها على بعض لكي لا يصدر صوتاً.

● والصبر ثلاثة أقسام:

١ ـ الصبر على أقدار الله المؤلمة.

٢ ـ والصبر على أداء الطاعات.

٣ ـ والصبر على اجتناب المعاصي.

وأعظمها الصبر على أداء الطاعات، بأن تصبر على الصلوات في

وقتها، وعلى قيام الليل، وعلى الوضوء، وعلى الصدقة، وعلى الحج، وعلى الصيام إن كان في حرارة.

والصبر على الأقدار المؤلمة: أن تصبر على موت طفلك، وموت والدتك أو والدك.

وتصبر إذا أخذ الله بصرك، أو أخذ سمعك، أو أخذ مالك.

والصبر على المعاصي: أن تصبر عن المحرمات، وعن اجتناب الفواحش، واجتناب المنهيات.

وقد ابتلى الله عز وجل الخليقة بهذه الثلاثة، فبعضهم يصبر على الطاعات ولا يصبر عن المعاصي، فتجده يقوم من العشاء إلى صلاة الفجر، ولكن إذا عرضت له فتاة جميلة لا يصبر عن النظر إليها.

وبعضهم يصبر عن المعاصي ولا يصبر على الطاعات، فتجده لا يسمع الغناء ولا يعصي الله عز وجل، لكن من أصعب الأشياء عليه القيام للصلاة.

وبعضهم يصبر على هذا وهذا ولا يصبر على الأقدار المؤلمة، فإذا أتته أو أصابته جراح، أو ماتت ابنته، أقام الدنيا وأقعدها، وظل يبكي سنة ويسخط على القضاء والقدر.

يذكر أن أحد العوام من الجهلة بالشرع كان عقيماً، ثم رزقه الله بطفلة، وكان جاره عنده تسع بنات.

فمرضت هذه البنت وأشرفت على الوفاة فأخذ يقول: هذه بنت واحدة وجاري عنده تسع بنات وتأخذها!!

سبحان الله!

فتوفيت ابنته فخرج ينظر إلى السماء ويقول: على الضعفاء مثلي تستطيع، أما صاحب التسع ما تستطيع!!

أستغفر الله! أستغفر الله! أستغفر الله!

وهذا من الخذلان وعدم التوفيق، حيث لا تنفعه حسناته ولو كانت مثل الجبال إذا تسخط القدر ولم يرضه.

وأسعد الناس الذي إذا أذنب استغفر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر.

صبراً في البلاء، وشكراً في الرخاء، واستغفاراً عند الذنب.

وأنت إذا فتحت هذه الأبواب الثلاثة وأعطيت كل باب حقه أسعدك الله في الدنيا والآخرة.

وأما قوله ﷺ: «**القرآن حجّة لك أو عليك**» القرآن هو كلام الله المعجز الذي لا يشابهه كلام ولا كتاب، وهو النور والشفاء للمؤمنين، قال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال بعض السلف: ما جالس أحد القرآن فقام عنه سالماً، فإما أن يربح أو يخسر، ثم تلا الآية السابقة.

أما قوله ﷺ: «**حجة لك**»، فلأن من عمل بالقرآن دافع عنه القرآن يوم القيامة. فعند الحاكم في المستدرك: «**يأتي القرآن والصيام فيقول الصيام: يا رب منعته طعامه في النهار، ويقول القرآن: يا رب منعته نومه في الليل، فيشفعان فيه**»[١].

ولا يزال القرآن يدافع عن العبد يوم القيامة حتى يدخله الجنة.

وفي حديث أن الرسول ﷺ وصف **سورة تبارك بأنها المنجية،**

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٦٦٠٩)، والحاكم برقم (٢٠٧٣)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (١٩٦٣). وانظر: مجمع الزوائد برقم (١٨٠٥).

أنجت صاحبها من عذاب القبر(١). وهذا لمن قام بها وتدبرها وعمل بما فيها.

فأوصيكم بقراءة سورة تبارك ولو مرة واحدة في اليوم وأن تحفّظوها أبناءكم.

أما قوله: «**أو عليك**»، فهو لمن أبطل تعاليمه وأبطل مراسيمه، فهو يحجه ويكذبه ويدمغه ويقول: يا ربي قرأني ولم يعمل بي وخالف أوامري.

فعلى الإنسان أن يستعرض حياته ومنهجه ونفسه على ضوء القرآن الكريم الذي نزل على سيد المرسلين ﷺ.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً، فيؤتى بالرجل قد حمله فيخالف أمره فيتمثل له خصماً فيقول له: يا ربي حملته معي أشر حامل، تعدى حدودي، وضيع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبّه على منخره في النار.**

ويؤتى بالرجل الصالح قد حفظ أمره ويتمثل خصماً دونه ويقول: يا رب حملته معي فخير حامل، حفظ حدودي، وعمل بفرائضي، واجتنب معصيتي، وعمل بطاعتي، فما يزال يقذف له بالحجج فيقال: شأنك به، فيأخذه بيده، فما يزال حتى يلبسه حلة إستبرق، ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر الذي في الجنة»(٢).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: القرآن شافع مشفّع، وحامل

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٩٦٧)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٢١٥٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٢٥٧٨٠) وانظر: مجمع الزوائد برقم (٨٣٦١١).

مصدّق، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، واقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان كغيايتان أو غمامتان أو كفرقان من طير صوافّ تظلان صاحبهما يوم القيامة**»(١).

وصح أيضاً أنه يقال لصاحبه: «**اقرأ وارتق ورتل، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»(٢)، فيقرأ الذي كان يقرأ في الدنيا ويرتل ويقف عند مستوى حفظه في الدنيا.

فنسأل الله وإياكم أن يعيننا على حفظ كتابه والعمل به آناء الليل وأطراف النهار.

وأما قوله ﷺ: «**كل الناس يغدو**»، فالغدو عند أهل اللغة هو أول النهار.

قال النابغة الذبياني:

زعم البوارح أن رحلتنا غداً ... وبذاك تنعاب الغراب الأسود

فهم يتشاءمون بالغربان يقول: زعم البوارح أن رحلتنا غداً، وبذاك أخبرنا الغراب الأسود، أخبرنا أننا سوف نسافر غداً.

وقد يستخدم الغدو في غير الصباح، فإن من ذهب ورجع قالوا: غدا وراح.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٨٢٤)، والبيهقي في السنن برقم (٤٠٨٩)، وأحمد برقم (٢١٨١٧).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٤٦٥)، والترمذي برقم (٢٩٩٤)، وأحمد برقم (٦٧٨٠)، وابن حبان برقم (٧٤٣)، والنسائي في الكبرى برقم (٧٩٦٣)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٢١٣٤).

وقوله: «**يغدو**»، فمعناه يذهب في تجارة وفي كسب وفي عمل، فهو أحد رجلين: إما راضٍ عنه الله سبحانه وتعالى، وإما مغضوب عليه.

والناس كلهم على ذلك: الأستاذ والموظف والجندي والمسؤول والكبير والصغير والفلاّح والطبيب والمهندس والمؤذن، كلهم على أحد صنفين، فهو يغدو في الصباح فيركب سيارته مثلاً إلى عمله، فإما أن يكون في غضب الله حتى يعود، وإما أن يكون في رضى الله حتى يعود.

وأنا أضرب مثلاً: موظف ذهب متوضئاً وقد صلى الفجر في جماعة، فذهب إلى عمله وفي نفسه أن ينصر دين الله، وأن ينصر أولياءه، وأن ينهي أمور المسلمين، وأن يساعد المحتاجين، وألا يتغيب عن وظيفته، وأن يؤدي أمره على أحسن وجه لحديث: «**إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه**»[1]، فهذا في رضا الله حتى يعود.

ولكن موظفاً ترك صلاة الفجر فلم يصلها في جماعة، وقام بلا ذكر، وذهب إلى عمله معقوداً قلبه على الغضب وعلى الكبر، لا يريد نفع المسلمين ولا أداء عمله على أحسن وجه، ولا يريد الإحسان إلى المساكين، بل يؤخر معاملات الناس ويرتشي في أموره، ويغضب إذا دخل عليه الصالحون، فاتخذ من منصبه حرباً لأولياء الله وحرباً لعباد الله، فهذا في غضب الله حتى يعود.

والناس كلهم على ذلك، والله رقيب على الأعمال، رقيب على التصرفات، وهو الذي يحاسب الناس ولا يحاسبه أحد، فلا معقب لحكمه، وهو سبحانه يستعرض الناس يوم القيامة، الجنود والموظفين

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده برقم (٤٣٨٩)، وانظر: مجمع الزوائد برقم (٦٤٦)، والسلسلة الصحيحة للألباني برقم (١١١٣).

والأساتذة والطلاب والأطباء وغيرهم، فيعتق بعضهم من النار ويردي آخرين في العذاب بما فعلوه.

«**فبائع نفسه**»، أي من الله.. وأفضل من باع نفسه لله هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين وقعوا العقد مع الله فوفّوا به، ورسول الله ﷺ شهيد عليهم وعلى بطولاتهم.

سعد وسلمان والقعقاع قد عبروا إياك نعبد من سلسالها رشفوا
أملاك ربي بماء المزن قد غسلوا جثمان حنظلة والروح تختطف
وكلّم الله من أوس شهيدهم من غير ترجمة زيحت له السجف

فهذا البيع وهذا الشراء، يقول تعالى عن هذا الصنف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧].

ويقول سبحانه وتعالى عن الصنف الثاني: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزُّمر: ١٥].

ويقول: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٦]، لأنهم كانوا يستهزئون بالصالحين ويخادعونهم، فيظْهرون أمامهم الإيمان، ولكن إذا خلوا إلى شياطينهم عادوا لكفرهم.

فكأنهم اشتروا هذه الضلالة ودفعوا عوضاً منها الإيمان الذي أوشك أن يكون معهم.

وفي الصحيحين أن الرسول ﷺ لما أنزل الله عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَراء: ٢١٤].

قال في الشراء والبيع: «**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله**

لا أغني عنكم من الله شيئاً.. يا بني عبدالمطلب، لا أغني عنكم من الله شيئاً».

وفي رواية للبخاري: «**يا بني عبدمناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً**»[١].

قوله: «**أو موبقها**»، أي مهلكها كما ذكرت سابقاً.

ولذلك يوصي بعض العلماء بأن ينظر المرء في أعماله طول اليوم عند النوم ويحاسب نفسه على ما عمل لعله أن يبتعد عن أسباب الهلكة.

والعتق الحقيقي هو أن تعتق رقبتك من النار، والعبد الحقيقي هو عبد شهوته، وعبد بطنه، وعبد درهمه، وعبد منصبه.

قال ﷺ في الصحيح: «**تعس عبدالدينار وعبدالدرهم وعبدالخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش...**»[٢].

قال بعضهم:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو كنت قنعت لكنت حرا

وقال الآخر في عبودية الواحد الأحد:

لا تدعني إلا بيا عبدي ... فإنها أشرف أسمائي

يقول أهل العلم: من لم يكن عبداً لله يكون عبداً لغيره.. حتى

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٦٩٤، ٤٦٥٣)، ومسلم برقم (٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٢١)، وابن حبان برقم (٣١٨٨).

تجد أن بعض الناس لا يتشرف بحمل عبودية الله، فلذا يكون عبداً لغيره.

وأما المؤمن فخلاف ذلك فهو يردد:

ومما زادني شرفاً وفخراً   وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي   وأنْ صيّرت أحمد لي نبيّا

أسأل الله أن يعتقني وإياكم من النار، وأن يجعلنا نستثمر مسائل هذا الحديث الشريف الذي هو (فرصة للاستثمار) عند أهل الألباب.

وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصبحه وسلم.





صدر للمؤلف عن دار ابن حزم

* الإسلام وقضايا العصر.
* اقرأ باسم ربك.
* إلى الذين أسرفوا على أنفسهم.
* تاج المدائح.
* تحف نبوية.
* ترجمان السنة.
* ثلاثون سبباً للسعادة.
* حتى تكون أسعد الناس.
* حدائق ذات بهجة.
* دروس المسجد في رمضان.
* سياط القلوب.
* العظمة.
* فاعلم أنه لا إله إلا الله.
* فتية آمنوا بربهم.
* لا تحزن.
* مجتمع المُثل.
* هكذا قال لنا المعلم.
* وجاءت سكرة الموت بالحق.
* ورد المسلم والمسلمة.
* ولكن كونوا ربانيين.